كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣ - ربيع الاول ١٤٠٣

المختار

من ريدرز دايجست

الحب صانع المعجزات ٩
فنجان شاي بالملح والبهار ١٥
درب الحرير ١٨
٧ رجال في زورق غارق ٢٦
السرطان: الاشعة ام الجراحة؟ ٣٢
المركبات الفضائية تنتظر ربات البيوت ٣٦
موسييف: عرس روسي يعبر القارات ٤٠
ذهب وفضة تحت الماء ٤٧
حرانية: قرويون مصريون يغزلون التراث ٥٢
عُمان، بوابة الخليج ٦٠
يوم غارت البحيرة في جوف الارض ٦٦
الحياة حلوة ٧٢
حسناء القطار ٧٨
أعين البحار ٨٧
ماذا نفعل لمواجهة الشدائد؟ ٩٣

الملل الجنسي: ظاهرة قابلة للشفاء

(ص ٨١)

عقل الجنين يكتمل في الشهر السادس ٩٨
اسطورة المرسيدس ١٠٢
كهوف النمسا، قلاع مسحورة ١٠٨
الالواح الشراعية ١١٤
كتاب الشهر: بطرس الاكبر ١٢١
كتابة الرسائل فن ينقرض ٥

اكتب واربح ١ - دائرة المعارف ٤٥ - الضحك خير دواء ٧٧ - القسيمة ٨٦ - تأملات ٩٧ - حكايات ١١٣ - حديقة افكار ١٤٤

درب الحرير جسر حضاري بين الشرق والغرب

(ص ١٨)

فنجان شاي بالملح والبهار!

(ص ١٥)

لبنان ٥٠٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٧د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٧ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٧٠٠م - ليبيا ٧٠٠د - اليمن ٧ر - مسقط ٦٠٠ب - العراق ٦٠٠ف - تونس ٥٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - أنكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥د.

AL MUKHTAR min Reader's Digest January 83 № 50

صباح الخير!
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه
كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أي وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه ، فقهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.
PI 2959

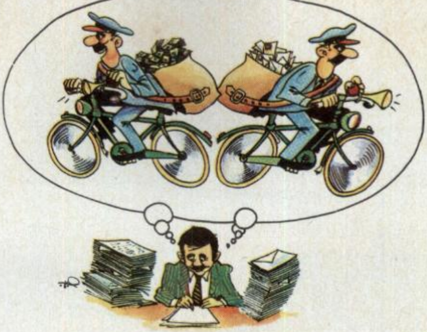

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب واربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.

جهاز تمليق هوندا الجديد و مكابحها المتطورة تتيح سيطرة أفضل في القيادة و الفرملة

أن ثبات هوندا "أكورد" على الطرق متميز بفضل جهاز التعليق الجديد من تصميم مهندسي هوندا البارعين الذين اعطوك سيارة مضمونة للقيادة ومريحة للركوب ·

"أكورد" فيها مكابح متفوقة بديسك امامي، ودماغ الكتروني مع جهاز احتياط يؤمن وقاية مضاعفة ضد أي خلل، مما يجعلك تتمتع بالقيادة وبراحة البال في آن ·

"أكورد" ٤ ابواب لها ميزات اخرى عديدة · جربها لدى اقرب وكيل هوندا لتختبر بنفسك هذه السيارة العائلية الفخمة والمتطورة ·

HONDA®

ACCORD

المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري.

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ« ريدرز دايجست »:
رئيس التحرير: ادوارت. طومسون، مدير التحرير: الان دوليرو، المدير العام: جون ا. اوهارا.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية – بيروت.
الخدمات الصحافية: شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت. التحرير: شارع روما، بناية هاشم، ص.ب ٢٢٦ – ١١ التلكس (المؤقت) ANAHAR 22322 LE بيروت. التلفون ٣٤٠٥٥٦ – ٣٤٠٠٤٤. الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب ٨٧٠٧ – ١١، التلكس LE 22288 التلفون ٣٤١٥٩٧ – ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest. 37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

تنشر « ريدرز دايجست » في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية(وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية اضافة الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ« المختار من ريدرز دايجست » بموجب اتفاق خاص مع شركة « ريدرز دايجست » في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من « المختار » او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان، جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: مرفأ ليفورنو (سكالا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
January 1983 Nº 50 (New Series) Vol. 5

© 1983 BY AN NAHAR P.I. S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN INC

اكثر من ١٠٠ مليون يقراون « ريدرز دايجست » في ١٨٠ بلداً بـ ١٦ لغة.

تعرفوا على أصحاب الفخامة
أفراد عائلة سامسونج

سامسونج تقدم لكم الآن مجموعة
فخمة من الأدوات الإلكترونية وأدوات
المنزل ذات المستوى التكنولوجي
الرفيع والجودة المضمونة .
أدوات سامسونج تتمتع بخدمة
ممتازة في العالم وفي معظم البلاد
العربية .
أضيفوا شيئاً من الفخامة إلى حياتكم
وأسرعوا لمشاهدة أدواتنا في صالات
عرض سامسونج .

أفراد عائلة سامسونج جيل المستقبل

سامسونج
SAMSUNG

كتابة الرسائل فنّ ينقرض

الرسائل الحقيقية هي التي تزخر بالصدق والمحبة· ورُب كلمات قليلة روت غليل مشتاق اكثر من صفحات طويلة جافة خالية من اي حنين

امضيت ذات شتاء في قرية مكسيكية صغيرة يعتمد سكانها صيد الاسماك مورداً لرزقهم· ونزلت في فندق لطيف يطل على المحيط الهادىء، حيث تعرفت على اناس سرعان ما اصبحنا اصدقاء· واخذنا نمضي الوقت في الغطس لصيد الحيوانات البحرية، او في التنزه على جزيرة بعيدة حيث نستغرق في الحديث عما قرأناه من كتب او عن حياتنا الخاصة التي نعيشها في غير هذا المكان· ولما كانت الصداقة صعبة المنال في زماننا، فلم اشأ ان اخسر اصدقائي حين حان وقت الفراق·

"اكتبوا الي!" هتفت لهم من الحافلة التي انطلقت في اتجاه الطريق الساحلية·

وتبادلنا الرسائل فعلا· ولدى لقائنا في السنة التالية قال صديقي الانكليزي: "صرخت فينا يومئذ أن اكتبوا، وكأن حبل حياتك معقود بالرسائل·"

بطريقة ما، انه معقود بها فعلا· اذا لم اكتب الرسائل، فاني اشعر اني معقودة اللسان واني سأفقد حس تقديري للأمور واخسر نصف الناس الذين احمل لهم في قلبي اهتماماً خاصاً· واذا لم اتلقّ رسائل، فاني اشعر بالحرمان· فالرسائل تحمل سجل ايامي كما المذكرات عند الآخرين· اليها افضي بدخيلة نفسي، فامثل دور المهرج واثرثر واحتفل واكتشف وافكر·

وبي حاجة دائمة الى تلقي رسائل

(c) 1979 by Suzanne McNear, condensed from Vogue (Semtember '79).
Conde Nast Publications, Inc, New York, N.Y.

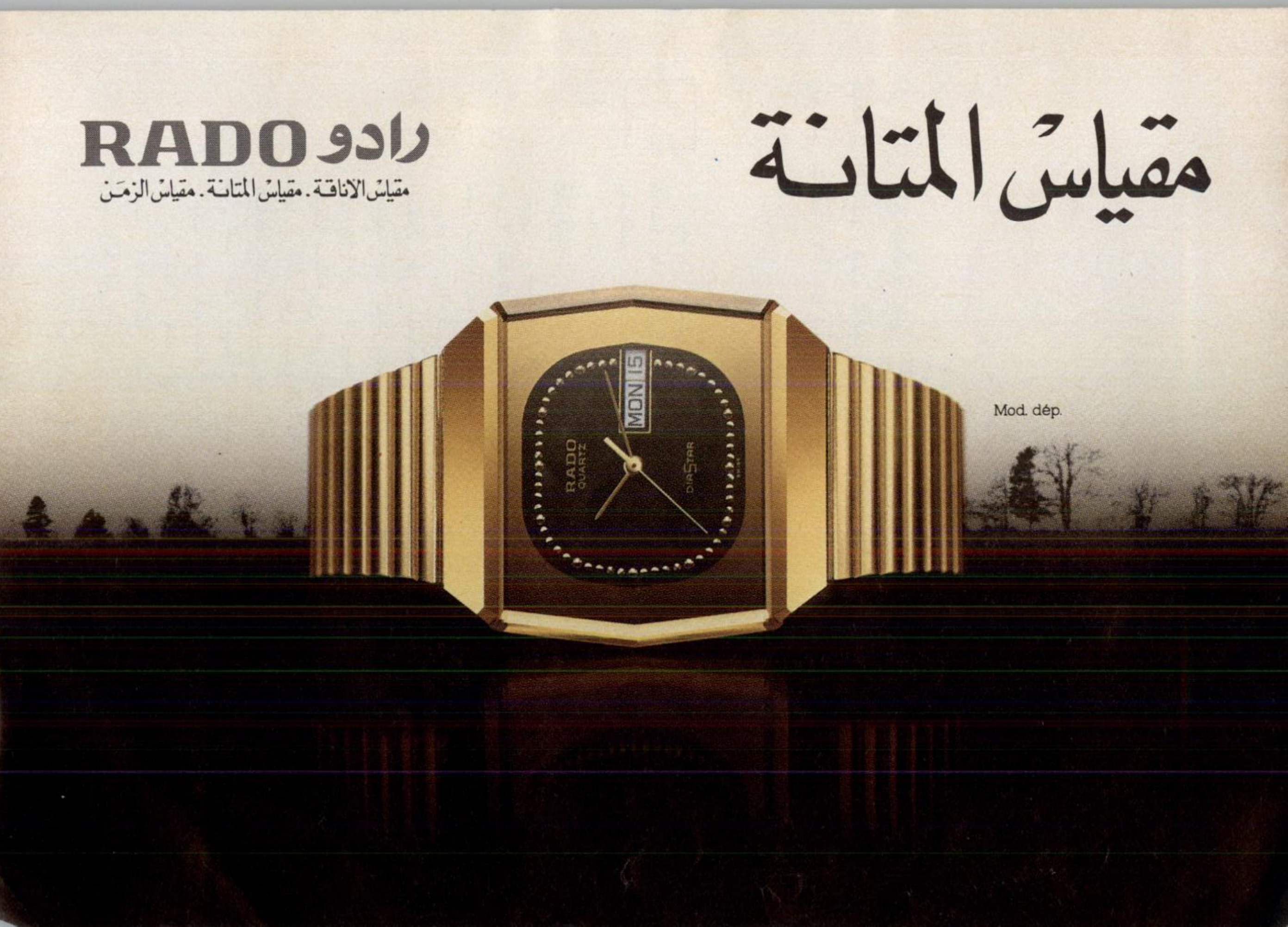

مقياسُ المتانة
RADO رادو
مقياسُ الاناقة . مقياسُ المتانة . مقياسُ الزمن
Mod. dép.
MON 15
RADO
QUARTZ
DIASTAR

من اصدقاء قريبين وبعيدين، مع ادراكي ان كتابة الرسائل لا تنتمي الى هذا العصر، وانها فن تلاشى.

ما الذي يجعل كتابة الرسالة امراً صعباً؟ لي صديقة كانت غير مستعدة، بل غير قادرة على كتابة الرسائل طوال سنة قضتها في باريس. واذكر "نشراتها" من فرنسا. لقد كانت خالية من الافكار وملأى بالوقائع. لوائح تحمل اسماء اماكن واشخاص، وكتابات متعجلة غير شخصية، تماماً كقوائم المصبغة. وهي كتبت لي مرة: "عطلة اسبوع عائلية عادية. الامطار تهطل. اصيب الاولاد بالزكام. سنطير يوم السبت. سأذهب الى الفرن الآن."

ما بها؟ ماذا قال زوجها؟ ماذا كان يرتدي؟ ماذا اكلوا خلال عطلة الاسبوع؟ البطيخ؟ محاراً فيه لآلىء؟ صديقتي جعلتني اشعر انها منغمسة في حياتها الجديدة الى حد انها لا تملك ان تضيع وقتها مع امثالي.

لا يمكن للمرء ان يخط رسائل حقيقية وهو يشعر انه مكره عليها وجاثم على طرف الكرسي بدلا من الجلوس المريح. فالرسائل تستلزم الوقت والجهد. وهي في رأيي كالهدايا، فيجب ان يكون المرء قادراً اولا، ثم راغباً.

ولا اعني هنا اي رسالة قديمة او بطاقة تعلن "اتمنى لو كنت هنا" وقد رسمت علامة "×" على احدى نوافذ الفندق، او احدى بطاقات المعايدة المتصنعة والمنسوخة. عندما اقول "رسالة" اعني تلك التي تبثها ذاتك وتبوح لها بمكنونات نفسك لتغذي صداقتك مع الطرف الآخر. اعني الالفة في النبرة والمودة في العبارة اللتين تشعان عندما يتحدث الناس بمحبة وبلا تحفظ. وقد تكون افضل الرسائل لا تتعدى بضعة اسطر صادقة او بضع كلمات سطرت على بطاقة بريدية.

واظن ان الناس توقفوا عن كتابة الرسائل لأنهم لا يريدون استنزاف الوقت ولانهم لا يشعرون بالراحة. تلك الحاجة المروعة الى اللياقة والتحدث بصوت آخر مقبول اكثر، تغلق الشفاه عن حديث الحماسة والمرح والثقة. وهي الادوات التي تلزمنا للكتابة. وهكذا يفقد كل منا شيئاً عزيزاً.

ان تعرف ان احدهم ينتظر استئناف الحديث، ان تكتب بعمق او تخط كلماتك من دون تصميم فتتركها تندفع تلقائياً وانت تتخيل البسمة مرتسمة على وجه الشخص الآخر او ترى حاجبه ارتفع عجباً، فذاك مصدر فرح. ان تفتح رسالة صادقة تأتيك دونما توقع يعوضك شهراً كاملا حمل اليك اياماً فارغة جوفاء.

■ **سوزان ماكنير**

البطاقات السياحية

عندما نذهب في رحلة الى الخارج، لماذا نصر على شراء بطاقات مختلفة الرسوم لارسالها الى اشخاص مختلفين؟

ساشا غيتري

العمـلة الـتي يَحمـلهـا كـل رحـالـة خبـير

المسافرون الخبيرون الذين يجوبون العالم هم أدرى من ان يحملوا عملة عادية. انهم يفضلون عملة عالمية: شيكات بنك اميريكا السياحية. فهذه الشيكات قابلة للصرف في اكثر من ١٦٠ بلدا وللاسترداد في اكثر من ٤٠،٠٠٠ مكان حول العالم. وهي الآن متوفرة بعملات العالم الرئيسية: الدولار الامريكي، المارك الالماني، الجنيه الاسترليني. وشيكات بنك اميريكا السياحية تدعمها مؤسسة بنك اميريكا كوربوريشن التي تبلغ اصولها اكثر من ١٠٠ بليون دولار امريكي. فلا عجب اذن أن المسافرين الذين يعرفون طريقهم يحملون شيكات بنك اميريكا السياحية حيثما ذهبوا.

BankAmerica Travelers Cheques. World Money.*

BA CHEQUE CORPORATION

الحبّ صانع المعجزات

سنة بعد سنة، ثابرت على عنايتها بطفل تخلى عنه ذووه . وذات يوم حصلت المعجزة

لم تدرِ إدارة مستشفى ميلووكي العمومي في ولاية ويسكونسن الامريكية ماذا تفعل بالطفل لسلي ذي الاشهر الستة. فهو، منذ ولادته، كفيف ومتخلف عقلياً ومصاب بالشلل المخي. وكان ضعيفاً متبلداً لا يهتز لاي صوت أو لمس. أما والداه فقد تخليا عنه.

وكان أن ذكر طبيب أطفال أمام الادارة اسم مي لمكي، وهي ممرضة ومربية أطفال تعيش في جوار المستشفى. وتم الاتصال بها وعرض مشكلة لسلي عليها. وأوضحت لها الموظفة أن الطفل سيموت في وقت قصير، وأضافت: "هل تقبلين ان تعتني به هذه المدة؟"

Photos: Dale Guldan

فاجابت مي: "إذا أخذته فهو لن يموت." ولم تذكر الموظفة شيئاً من المساعدات المادية التي تقدمها المحافظة في هذه الحالات، ولم تطرح عليها مي أي سؤال في هذا الشأن.

حدث ذلك قبل إحدى وثلاثين سنة. وكانت مي في الثانية والخمسين، تعيش مع زوجها الثاني جو في منزل صغير على ضفة بحيرة في ضاحية بيووكي. وهي قدمت الى الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الاولى، حيث تزوجت وأنجبت خمسة أطفال. وتوفي زوجها الاول عام ١٩٤٣، فتزوجت جو لمكي بعد خمس سنوات وهو عامل بناء ماهر.

ولا تزال مي، وهي تبلغ ١٣٧ سنتيمتراً طولا و٤١ كيلوغراماً وزناً، على عهد جو الاول بها: تتكلم بصراحة وتعمل من غير كلل، كما أن إيمانها العميق بالله لم يتزعزع. وفي الثالثة والثمانين، قلما يراها المرء تمشي على مهل، بل تقطع المسافات ركضاً.

عندما أخذت مي الطفل لسلي اعتبرته كائناً انسانياً لا يختلف عن الآخرين، موكلة الى نفسها تعليمه ومنحه الحب والعطف. ولما احتضنته لتطعمه وجدت أنه تنقصه حركة المص التلقائية عند غالبية الاطفال. ويبدو أن ممرضات المستشفى كن يغذينه بالانابيب. وسرعان ما علمته مي المص بوضعها فوهة القنينة بين شفتيه وتقليد صوت المص بشفتيها.

وباتت تغني على مسمعه تهويدة حفظتها منذ أيام طفولتها، مبدلة بعض الكلمات لتطابق وضعه:

"لست سوى طفل صغير
هبط من السماء.
لست سوى صغير
نزل هكذا بلا عينين.
لست سوى طفل صغير
بلا صوت ولا حراك.
آه أيها الطفل الصغير
الذي لا يعرفه تماماً سوى الله."

وكانت تغسله ثم تهدهده ساعات وهي تتحدث اليه أو تغني. أما هو فلم يتحرك أو يصدر صوتاً البتة.

حكمة إلهية – سنة بعد سنة ظلت مي تعتني بالطفل وهو لا يتحرك ولا يذرف الدمع ولا يسمع له صوت. ولو لم توثقه الى الكرسي لكان سقط أرضاً.

ولم تكف مي عن التحدث الى لسلي. وكانت تدلك ظهره وساقيه وذراعيه وأصابعه. كما كانت، وهي تصلي، تبكي أحياناً، فتحمل يدي الطفل وتضعهما على خديها علّه يحس الدمع. وتقول له وهي تفعل هذا: إني حزينة الآن، وها أنذا أبكي."

ورفضت مي أن تنظر الى لسلي كعبء عليها. وقالت لنفسها: "إني لم اسعَ الى هذا الطفل، مما يعني ان ثمة حكمة إلهية دفعت به الي. ولا بد من أن يكشف الله تعالى عن حكمته يوماً."

ولم تجد مي أي حرج في اظهار الطفل للملأ. فهو كان بمثابة ولدها الذي محضته حبها غير منقوص. وخُيِّل إليها أن ثمة مكاناً في متاهات دماغه يحاول أن يتغلب على العوائق. ولذلك كانت فخورة به. ومرة قالت لها امرأة كانت شاهدتها

مراراً في الحافلة تتكلم الى الطفل دونما انقطاع: "لماذا لا ترسلينه الى مؤسسة؟ إنك تضيعين وقتك."

وأجابتها مي على الفور: "بل أنت التي تضيعين الوقت. إن هذا النوع من الاطفال هو علامة عطف ومحبة. فهو يشغل عطفنا ومحبتنا أكثر من ساعة او شهر او عام. انه يشغلهما على الدوام."

وذات صيف أمضى جو، زوج مي، ساعات في البحيرة وهو يحمل لسلي ثم ينزله في الماء علَّ تلك الدمية من اللحم والدم تتحرك إرادياً. وقالت مي إنها رأت الطفل مرة أو اثنتين يهز أطرافه. الا أن ذلك لم يدم.

وفي الخريف التالي أخذته الى مركز للتدريب وإعادة التأهيل في ميلووكي. ولم تحصل على أي عبارة تشجيع، إذ أجمع المسؤولون هناك على استحالة التقدم في حال ذلك الطفل.

غير أن التشاؤم المهني الذي واجهته مي لم يثبط عزيمتها. فهي أيقنت أن لسلي سوف يكسر يوماً قيود سجنه، وأن عليها أن تساعده في تحقيق ذلك. وراحت تفكر في طريقة لادخال فكرة المشي الى ذهنه. فهو لم يدب على أربعته ولم يرَ أحداً يمشي.

وطلبت من جو الذي لا يعرف التذمر أن يصنع حزاماً جلدياً لخصرها ويجعل له عرى. وبعد ذلك باتت تخطو وقد علقت يدي لسلي في تلك العرى لتلقينه حركة المشي. لكنه كان يتبعها مترهلا وهو يسقط مرة بعد اخرى.

"إنها الموسيقى" – كان لآل لمكي في ذلك الوقت سياج يطوق منزلهم والارض المحيطة به. وأخذت مي توقف لسلي أمام السياج وتعلق يديه بفتحاته. وأمكنه بعد اسابيع أن يدرك أن السياج يعينه على الوقوف. وهكذا بات في وسعه أن يقف على قدميه وهو في السادسة عشرة.

بعد ذلك حاولت مي أن تلقنه السير في محاذاة السياج، وهي لا تنفك تشجعه بقولها: "تقدم يا حبيبي... قليلا، قليلا." وكررت ذلك مئات المرات وهي تحرك بنفسها يديه وقدميه. وأخيراً استمد فكرة الحركة في محاذاة السياج.

وما أن تحقق له ذلك حتى بدأت مي تغريه بالابتعاد عن السياج، فتدعوه قائلة: "تعالَ الى ماما يا حبيبي." وبعد أشهر تعلم أن يتقدم خطوتين أو ثلاثاً وهو لا يتكىء على السياج.

وكان ذلك صراعاً شاقاً لا ينقطع، إلا أن مي لم تنظر اليه كصراع قط. فهي تحاول خدمة ولدها، لكنها كانت مدركة على الدوام أنها تحتاج الى مساعدة، فلا تنفك تتضرع الى الله تعالى كي يفعل شيئاً من أجل لسلي: "أجل، إنه في الثامنة عشرة، لكنه طفل."

ولاحظت يوماً سبابة لسلي تتحرك فوق شريط محكم الشد ربط به صندوق. وبدا كأنه ينقر وتراً. وقالت مي لنفسها: "أتكون هذه علامة؟ وما مغزاها؟"

وأضافت: "الموسيقى! أنها الموسيقى."

ومنذ ذلك اليوم لم تنقطع

مي وجو يصغيان الى عزف لسلي٠

الموسيقى في منزل آل لمكي، وهي تنبعث من الاسطوانات المسجلة او من الراديو والتلفزيون٠ وظلت الموسيقى تدور ساعة بعد ساعة من غير أن يبدي لسلي أي علامة على الاصغاء٠

ثم اشترى الزوجان آلة بيانو مستعملة ووضعاها في غرفة نوم لسلي٠ وما فتئت مي تمرر أصابعه على المفاتيح لتعلمه أن في إمكانه إصدار الاصوات٠ لكنه لم يكترث إطلاقاً٠

وحدث في شتاء ١٩٧١ أن قامت مي وسط الليل على صوت الموسيقى٠ وكانت الساعة الثالثة فجراً٠ وأصغت حسناً، فتناهت الى سمعها كونشيرتو تشايكوفسكي الاولى على البيانو وهزت جو وسألته: "هل تركت الراديو دائراً؟"

– كلا!

"إذاً من أين تأتي الموسيقى؟"

وقفزت من السرير وأنارت ضوءاً خافتاً في غرفة الجلوس٠ ومن هناك أمكنها أن ترى لسلي جالساً الى البيانو يلعب على مفاتيحه وقد علت وجهه ابتسامة مشرقة٠

عبارات وعبرات – لم يسبق أن قام لسلي من السرير بمفرده أو جلس على كرسي البيانو من غير مساعدة، كما لم يسبق أن مرر أصابعه إرادياً على مفاتيح الآلة الموسيقية٠ وها هو الآن يعزف قطعة طويلة برشاقة وثقة٠

وجثت مي على ركبتيها وهي تقول: "أشكرك يا ألله! إنك لم تنسَ لسلي٠"

ولا شك في ان الفتى كان يصغي الى الموسيقى بكل أفكاره ويطبعها في ذهنه٠ ولكن لا أحد يعرف لماذا

تفجرت من مخزنها تلك الليلة الشتوية، فجاءت كهبة ريح. والواقع أنه اختزن كل أنواع الموسيقى التي سمعها، من كلاسيكية وشعبية ومحلية وزنجية وغربية.

وهذا "الرشد الموسيقي" فتح الباب أمام لسلي للتعبير عن انفعالاته وأفكاره. وغدا، من وقت الى آخر، يتفوه بكلمة. وفي عصر أحد الايام كان بعض الاولاد يلعبون على الجانب الآخر من السياج، فسألتهم مي عما يفعلونه هناك. وقال أحدهم: "إننا نتسلى." وإذ ذاك تقدم لسلي بضع خطى نحو السياج وقال: "أنا أتسلى." وجاء ذلك بصوت خشن لكنه مفهوم. وكانت تلك الجملة الاولى التي يتفوه بها. وضمته مي اليها وهي تشكر الله.

وبعد أشهر قليلة، فيما هم قاعدون في غرفة الجلوس، أخذ لسلي يرتجف فجأة وسالت الدموع على خديه. وراح يشهق ويقول: "أنني أبكي! إنني أبكي." ولم يسبق أن بكى. لكنه فعل ذلك للمرة الاولى، كما فعلت مي قبل سنوات. وراقبته مي وهو يبكي طوال عشرين دقيقة، وشكرت الله على أن في إمكانه التعبير عن آلامه وهواجسه الدفينة. ووجدت في طوفان الدمع مشهداً جميلاً. وبعد ذلك تعلم لسلي أن يجد طريقه الى غرف المنزل، كما لقنته مي وجو استعمال الحمام. وبات ينظف أسنانه ويستحم بمفرده.

في تلك الاثناء نمت قدرة لسلي على العزف على البيانو. وبات يؤدي قطعة غيرشوين "اللحن الازرق" ببراعة تامة ومن غير أي شائبة.

وتعلم الغناء أيضاً. وقد تسنى له أن يقلد أصوات العديد من المغنين قبل أن يتعلم النطق بوضوح. وكان صوته القوي يرتحل بعيداً الى البيوت المجاورة. واصبح في امكانه تأدية أدوار اوبرالية مختلفة.

وقبل ثلاث سنوات بدأ لسلي الكلام على نحو جدي وله من العمر ٢٨ سنة. وعلى رغم أنه لا يقوى على المحادثة من حيث هي أخذ وعطاء، إلا أنه يستطيع تركيب الجمل وطرح الاسئلة والاجابة عنها. وأحياناً يعبر عن آرائه، كما فعل وهو يتابع مسلسلا هزلياً على التلفزيون ذات مساء، إذ قال: "الافضل تغيير هذا البرنامج! إنهم جميعاً مجانين."

أمام الناس — مع انتشار الاخبار عن موهبة لسلي، بات يتلقى دعوات الى عزف البيانو. وبعد التأمل في الامر ارتأت مي أن ظهور لسلي في المجتمعات من شأنه تقويته. وهي تقول: "لا شك في أن اولئك الذين يراقبونه ويستمعون اليه سيتولد لديهم أمل لم يختبروه قط. ذلك أنهم سيلمسون ما أمكن إنجازه بالنسبة الى كائن ظن ميؤوساً منه ومشرفاً على الموت."

وقد أدى لسلي معزوفاته في النوادي والمدارس وأمام جمعيات خاصة بالاطفال المعاقين وأهلهم. كما ساهم في الاحتفالات الجامعية والمعارض وفي برامج التلفزيون المحلية والعالمية.

ولا يخفى أن لسلي يحب الموسيقى والغناء والاداء من كل قلبه. وأحياناً

ينفجر بالغناء وهو في ردهة مطار أو في طائرة. ويحتار المستمعون لدى سماعهم مقاطعه الافتتاحية. ولكن ما أن ينطلق حتى يتحسن أداؤه كثيراً، ثم يختم قطعته وسط إعجاب الجمهور وتصفيقه الحاد.

ثمة أشياء كثيرة لا يقوى عليها لسلي بعد. فهذه الاصابع التي تسيطر ببراعة على مفاتيح البيانو لا تزال عاجزة عن استعمال الشوكة والسكين. وعلى رغم أن كلماته لا تأتي بسهولة، فانه يجيب بكل ثقة متى سئل عما تعني الموسيقى له: "الموسيقى؟ إنها المحبة."

ان الخبراء والمختصين وقفوا بحيرة طوال قرنين امام ظاهرة الطفل الانطوائي الذي لم ينضب ينبوع المعرفة لديه. ويقول أحدهم وهو برنارد ريملاند: "الانجازات التي يحققها الانطوائي العارف تتجاوز عادة إمكانات أشد العقول قدرة.. ترى كيف يمكن ولداً بمعدل ذكاء ٣٧ (علماً أن المعدل الطبيعي يبدأ بالمئة) أن يخبرك فوراً أن حاصل ضرب ٦٤٢٧ في ٤٢٣٤ هو ٢٧،٢١١،٩١٨؟"

والانجاز الذي حققه لسلي بعد طفولته هو من هذا القبيل. ويضيف ريملاند، مدير معهد البحوث في سلوك الاطفال في سان دييغو (كاليفورنيا) وأحد أبرز الخبراء في حقله: "إننا عاجزون عن مجاراة إنجاز الانطوائي العارف، كذلك عن تفسيره."

غير أن مي لمكي، من ناحيتها، تعتقد أن للعجيبة تفسيراً واحداً. وهي لا تزال تهب لسلي يومياً محبتها التي جعلت تلك المعجزة ممكنة الحدوث.

■ **جوزف بلانك**

لقد حاول الفلاسفة عبثاً أن يجدوا بديلا للوصايا الالهية وقوة الله تعالى.

سقراط

برهان على الجرأة

قليلون هم الذين يملكون الجرأة على النوم حين ينعسون. فأكثر الناس يذهبون للنوم لأنه واجب عليهم.

ت.ف.

الذاكرة تكره الاسئلة

كانت امرأة تملأ استمارة خاصة بدورة تعليمية حول تقوية الذاكرة، وفيها اسئلة معهودة تتناول عنوان المنزل والعمل ورقم الهاتف وما الى ذلك. وأجابت عن هذه جميعاً بالآتي: "لو كنت أعرف هذه الامور، لما جئت اليكم."

ر.ر.

ما رأيكم بفنجان شاي بالملح والبهار؟

١١ قاعدة ذهبية لتحضير شاي لذيذ يوردها كاتب بريطاني شهير

اذا ما فتشت في اي كتاب طبخ عن كلمة "شاي"، فغالباً ما تجد بضعة اسطر من التعليمات السطحية الناقصة التي لا تحسم بعض النقاط المهمة. وهذا مدعاة للعجب، لان افضل الطرق لصنع الشاي هي موضوع قابل للجدل الحاد.

وعندما اقلب وصفتي الخاصة لصنع فنجاه الشاي الافضل، اجد ما لا يقل عن ١١ نقطة بارزة اوردها هنا، وكل منها قاعدة ذهبية ومبدأ هاد:

١. قبل كل شيء يجب ان يكون الشاي هندياً او سيلانياً. وعلى رغم

Condensed from «The Collected Essays, Journalism and Letters of George Orwell,» edited by Sonia Orwell and Ian Angus. Copyright (c) 1968 by Sonia Brownell Orwell and reprinted by permission of the publishers, Secker and Warburg Ltd., London, and the estate of the Late George Orwell.

ان للشاي الصيني مزايا لا يمكن الاستخفاف بها، فهو اقتصادي ويحلو شربه من دون حليب، لكنه خلو من المنبهات. فالمرء لا يشعر انه اكتسب حكمة او شجاعة او ازداد تفاؤلا بعد شربه. وكل شخص يستخدم عبارة "فنجان شاي لذيذ" لا بد وان يعني الشاي الهندي.

٠٢ يجب تحضير الشاي بمقادير قليلة، اي في ابريق. فالشاي الذي يسكب من وعاء معدني ضخم يفقد طعمه المميز، وشاي الجيش الذي يعد في مِرجل يحمل طعم الشحم والكلس. ابريق الشاي يجب ان يكون مصنوعا من الفخار او الخزف الصيني. فأباريق الفضة تحط من نوعية الشاي، كذلك الاباريق المطلية بالمينا. اما اباريق القصدير (البيوتر) النادرة هذه الايام فليست سيئة في هذا المجال.

٠٣ يجب تسخين الابريق قبل تحضير الشاي. وافضل الطرق لتحقيق هذه الغاية تكون بوضع الابريق في مؤخر الموقد او جانبه عوضاً عن غسله بالماء الساخن.

٠٤ يجب ان يكون الشاي قوياً. فالكمية المتوجب اضافتها الى ابريق ذي سعة ليتر واحد هي ست ملاعق صغيرة مفعمة بالشاي. ان عشاق الشاي الحقيقيين لا يحبونه قوياً فحسب، بل يفضلونه اقوى قليلا مع الوقت.

٠٥ تجب اضافة الشاي مباشرة الى الابريق والاستغناء عن المصفاة والاكياس الرقيقة واي بدعة اخرى تأسر الشاي وتعوق امتزاجه بالماء. وفي بعض البلدان تزود اباريق الشاي بسلال صغيرة متدلية تحت الفوهة تلتقط الاوراق الضالة باعتبارها مضرة. والحقيقة ان المرء يمكنه ابتلاع اوراق الشاي بكميات كبيرة من دون ان يتسبب ذلك في اي ازعاج. واذا لم يكن الشاي طليقاً في الابريق، فانه لا يمتزج كما ينبغي.

٠٦ على المرء ان يأخذ ابريق الشاي الى الغلاية وليس العكس. فالماء يجب ان يغلي فعلا لحظة صبه. ويعني هذا ان على المرء ابقاءه فوق النار فيما هو يسكب. ويضيف بعض الناس انه يجب استخدام الماء الذي بلغ للحال درجة الغليان، لكني لم الحظ ان هذا يضفي أي فرق.

٠٧ بعد تحضير الشاي يجب تحريكه. والافضل هز الابريق ثم السماح للاوراق بان تركد في القاع.

٠٨ يشرب الشاي في "فنجان الفطور" اي ذاك النوع الاسطواني من الفناجين وليس النوع المسطح الضحل. ففنجان الفطور يتسع لكمية اكبر، بينما يبرد الشاي في النوع الآخر قبل ان تتاح للشارب فرصة تذوقه.

٠٩ ضع الحليب مع الشاي بدلا من القشدة التي تعطيه طعماً يبعث على الغثيان.

٠١٠ يصب الشاي اولا في الفنجان.

وهذه اكثر النقاط اثارة للجدل. فمدرسة "الحليب أولا" تقدم حججاً مقبولة، لكني أؤكد افضلية حججي بالبرهان القاطع. فصب الشاي اولا وتحريكه في اثناء ذلك يتيحان للمتذوق ان يحدد كمية الحليب التي يريدها تماماً، فيما لا تنطبق هذه القاعدة على الشارب الذي يبدأ بصب الحليب لأنه قد يزيد الكمية المبتغاة.

١١. على المتذوق ان يشرب الشاي خالياً من السكر، الا اذا كان يشربه على الطريقة الروسية. وانا انتمي الى هذه الاقلية. ومهما يكن، فكيف تعتبر نفسك نصيراً للشاي اذا كنت تقضي على نكهته باضافة السكر؟ يبدو من المقبول والحال هذه ان نضيف اليه الملح او البهار. فمن المفروض ان يكون في طعم الشاي بعض المرارة. فاذا جعلته احلى، فانك لا تعود تتذوق الشاي بل السكر. وفي امكانك اذذاك ان تحضر مشروباً شبيهاً باذابة السكر في الماء الساخن.

وقد يجيب بعض الناس انهم لا يحبون الشاي لذاته، بل يشربونه ابتغاء للدفء او كاحد المنبهات. وهم بالتالي يحتاجون الى السكر للتخلص من طعمه. لهؤلاء المضللين اقول: "جربوا الشاي من دون سكر لاسبوعين، وسيصبح احتمالا بعيداً ان تعودوا الى تخريب طعم شايكم بتحليته."

■ جورج اورويل

الزواج الناجح؟

في يوبيل زواجه الذهبي، سُئل الصناعي الامريكي هنري فورد عن سر الزواج الناجح، فأجاب: "أنه السر نفسه الذي جعل سيارة فورد ناجحة. حافظ على طراز واحد."

هـ.ب.

ضيافة الملكة

يروق ملكة بريطانيا اليزابيت الثانية تسلُّم رسائل الشكر من ضيوفها الذين يقضون عطلة نهاية الاسبوع في أحد القصور الملكية، لكنها لا تحب اشارتهم الى الطعام من قريب أو من بعيد. وهي تعلل ذلك بقولها: "الأفضل أن يوجهوا الشكر على الطعام الى الطباخ، لا الى الملكة."

ويوماً بلغتها الرسالة الآتية من ضيف ظريف: "أشكرك، يا صاحبة الجلالة، على دعوتك الكريمة. الاقامة كانت طيبة والحديث ممتعاً. أما الطعام، كالعادة، فلا يستحق الذكر."

صحيفة "صنداي اكسبرس"، لندن

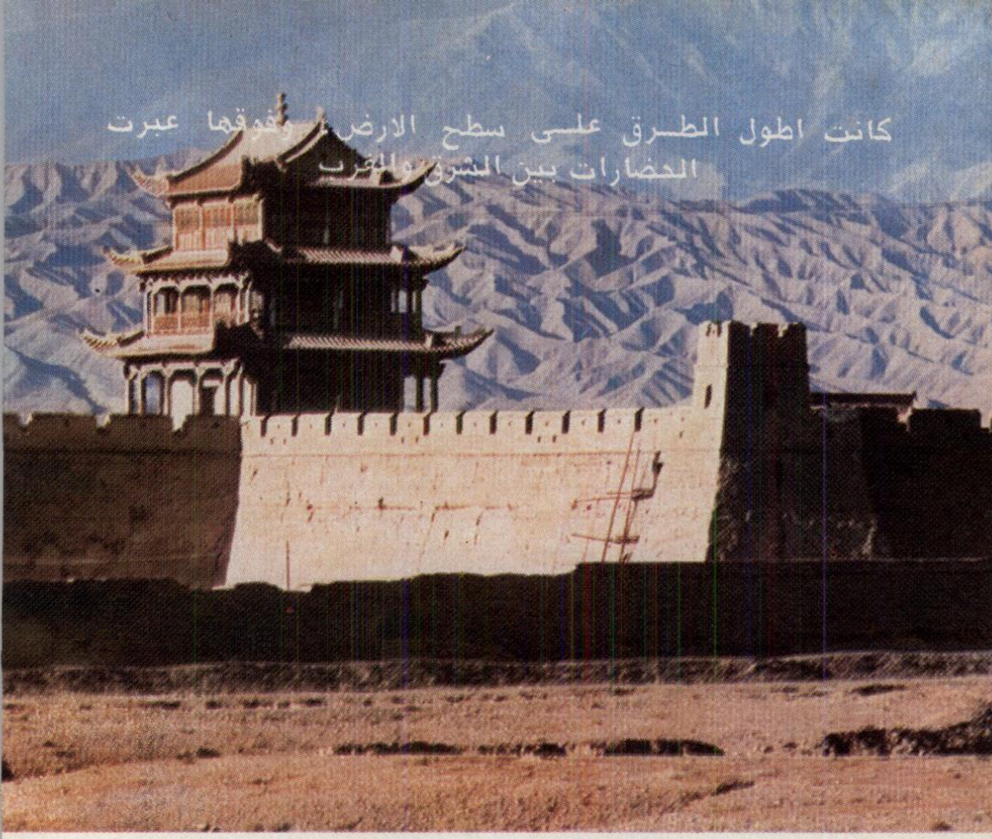

كانت اطول الطرق على سطح الارض، وفوقها عبرت الحضارات بين الشرق والغرب

درب الحرير
جسر حضاري
بين الشرق والغرب

جيايوغوان: الطرف الغربي الاقصى لجدار الصين العظيم.

ف

فتنتُ منذ نعومة اظفاري بما كنت أقرأه عن درب الحرير الاسطورية. تلك الطريق التي كانت تمتد نحو ٦٦٠٠ كيلومتر من تشانغ آن (سيان حالياً) الى شواطىء البحر الابيض المتوسط، ثم تمتد ٢٤٠٠ كيلومتر اخرى من هضاب البامير الى الهند. فهذه الطريق التجارية القديمة بتشعباتها في رحاب الامبراطورية الرومانية كانت أطول الطرق على سطح الارض.

طوال ١٥٠٠ سنة ظلت درب الحرير تنقل البضائع والافكار بين ثلاث حضارات قديمة، في الصين والهند وروما. فمن الشرق كانت قوافل الابل والخيل والثيران تنقل الأفاويه والحرير (الذي اعطى الطريق اسمه) ومن الغرب حملت الصوف والنباتات الغريبة والحيوانات والحجار الكريمة.

في شهر يوليو (تموز) من العام ١٩٨٠ حققت حلم طفولتي: القيام برحلة على درب الحرير. فاغتنمت فرصة اجازتي الصيفية من معهد هونغ

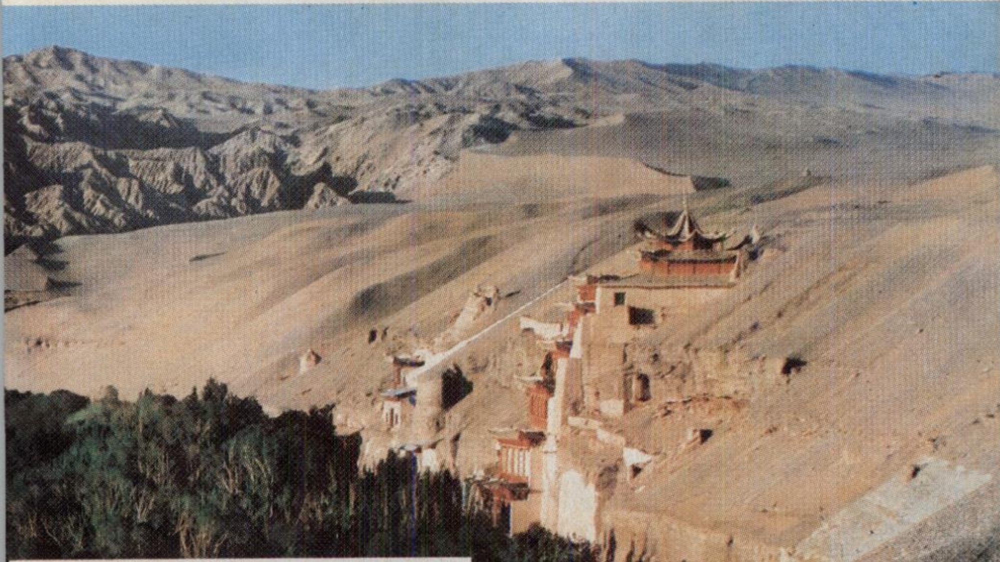

Tso hong Man

مغاور ماغاو قرب دونهوانغ.

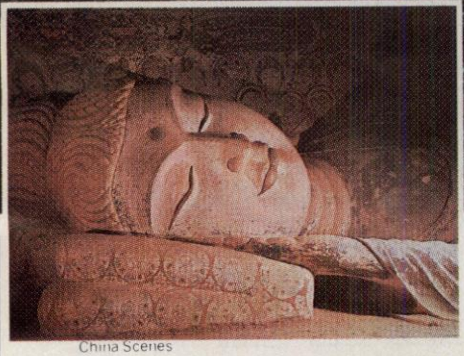

China Scenes

نيرفانا.

كونغ التقني، وركبت القطار الى لانشو في مقاطعة كانسو الصينية حيث تعبر درب الحرير النهر الاصفر.

الابل والخيول رحلت منذ عهد بعيد. وعندما وصلت الى لانشو كدت ان اختنق بالدخان الحارق الذي تنفثه المصانع البتروكيميائية في جو مدينة تعج باكثر من مليوني نسمة. من ثم ركبت قطاراً يقتفي أثر درب الحرير مسافة ١٣١٥ كيلومتراً ويصل الى اورومكي في مقاطعة سينكيانغ. هذا الخط الذي تم انشاؤه عام ١٩٥٩ كان جزءاً من خطة لربط الصين بشبكة السكك الحديد السوفييتية. وكان مفترضاً ان يغدو الاساس لـ"درب حرير" جديدة بين الدولتين العظميين.

وانطلقنا عبر ممر هوشي، المعبر الوحيد بين وسط الصين وشمالها الغربي. وكان الرمل يتسرب الينا من

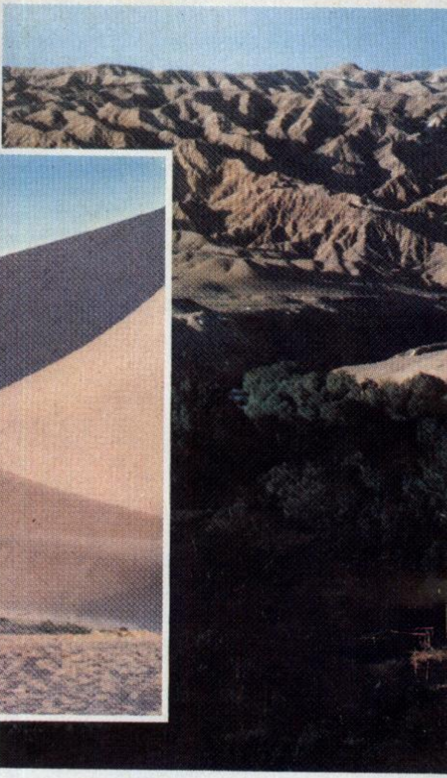

Joint Publishing co (HK Branch)

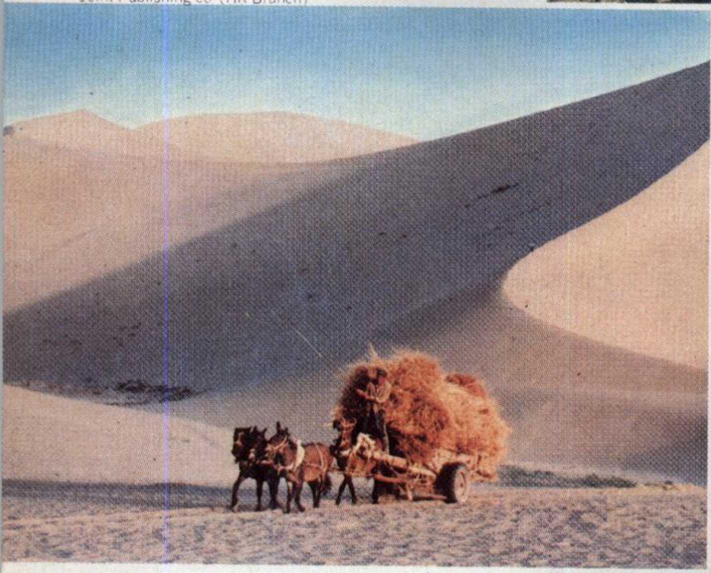

رجل يقود عربة تجرها الحمير في منطقة الرمال المغنية قرب دونهوانغ .

خلال ستائر القطار . والى يميننا برزت جبال لونغشو وهولي من قلب صحراء غوبي . والى يسارنا كانت الجرف الصخرية المكللة بالثلوج، في جبال كيليان التي يبلغ ارتفاعها ٥٠٠٠ متر، تكاد تحجب عنا أشعة الشمس .

بعد ١٨ ساعة من السفر وصلنا الى جيايوغوان، الطرف الغربي الاقصى لجدار الصين العظيم . وعلى نقيض ما هو قرب بكين، حيث الجدار مبني بالآجر، فانه في هذا الجزء مشيد بالطين المرصوص . في الايام الغابرة كان المسافر الذي يودع الصين يرمي حجراً على الجدار تيمناً بالخير . وكان ارتداد الحجر يبشر بالعودة سالماً، والا فالمسافر هالك .

عبر القرون ظل المجرمون والسياسيون الذين يخسرون الحظوة الامبراطورية ينفون عبر هذا الباب

جبال تيانشان، وتبدو
البحيرة الى اليسار،
والى اليمين
اطفال من التيبت،

China Scenes

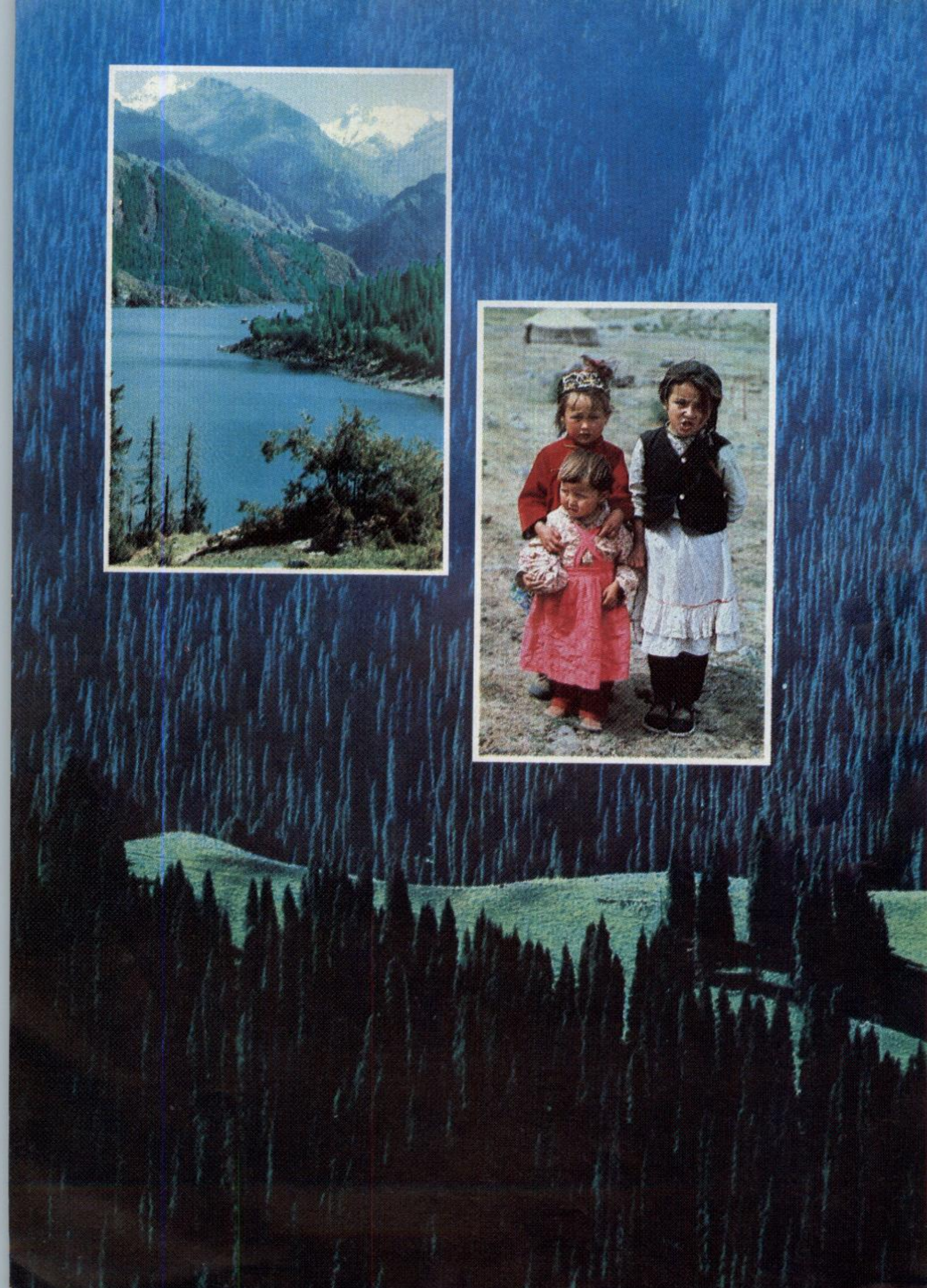

ليواجهوا اخطار الصحراء الواسعة وراءه. وتقول احدى الاغاني الشعبية:

"أجر قدمي من جيايوغوان
وتنبسط صحراء غوبي امامي،
فأنظر ورائي وأدرك
أني عبرت عتبة الجحيم."

الرمال المغنية ـ غادر القطار جيايوغوان ومضى هادراً فوق صحراء غوبي القاحلة بمناظرها المملة. وخلنا انفسنا نمخر في بحر من الرمل والحصى، حيث تلوح الكثبان في الأفق البعيد كأنها شواطىء لا يمكن بلوغها. وشعرت بألم في عيني وبانقباض في قلبي.

وللمرة الاولى ادركت كيف ان المسافر الذي يأخذه الدوار من رهبة القفر والخوف من ان يتوه في الصحراء يفقد ادراكه لواقع الاشياء. الناسك هسوان تسانغ الذي سلك هذه الطريق في القرن السابع ميمماً شطر الهند حسب انه يرى جنوداً زاحفين تحت رايات خفاقة في عرض الصحراء. كما ان الرحالة ماركو بولو في القرن الثالث عشر كتب ما يأتي: "في الليل، المسافر الوحيد الذي يتأخر عن الركب يسمع الارواح تتكلم ويخال انها رفاقه في السفر. وحتى في النهار يسمع المرء احياناً عزف آلات موسيقية، خصوصاً قرع الطبول، وايضاً صليل السلاح." ويعتقد بعضهم ان اصوات "الرمال المغنية" تصدر عن كثبان الرمل التي تبرد وتتقلص.

بعد يومين وصلت الى اورومكي عاصمة مقاطعة سينكيانغ، او الحدود الجديدة، التي تحتل سدس مساحة الصين. عدد سكان هذه المقاطعة ١٢ مليون نسمة، منهم ٥،٦ ملايين من اليويغور و٨٠٠ الف من القازاق وعشر قبائل اخرى من الاقليات. فهذه المقاطعة هي ملتقى الاقليات الصينية. وفي الشوارع المحاطة بأشجار الحور تقوم اسواق لبيع اللحم المطبوخ وفطائر اليويغور والمعجنات الباردة والزبيب، كذلك ثمار البطيخ الاصفر "هامي" المكومة على الارصفة. اورومكي هي المحطة الاخيرة للسكة الحديد ولدرب الحرير في الصين. وهي كذلك مقصد الخبراء الذين يفدون حاملين فسائل مؤصلة ومعدات جيولوجية من اجل تحويل الصحراء سهولا مخضلة والتنقيب عن المعادن وانشاء مصافي النفط.

وصلت بعد ظهر اليوم التالي الى مدينة تورفان التي تقع عند الحوافي الشمالية لغور تورفان العظيم الذي ينخفض ١٥٤ متراً تحت مستوى سطح البحر. وهو أعمق اغوار الصين واشد بقاعها حرارة. كانت الحرارة وقتئذ ٤٠ درجة مئوية. وحين خرجت من الحافلة كانت نعل حذائي تبعث دخاناً وقد احالت اشعة الشمس العاتية وجه الارض أديماً ابيض. حين يهطل المطر هناك تتبخر قطراته قبل ان تبلغ التراب.

اكتشفت في ما بعد ان هذه المدينة، التي يخيل الى المرء ان النمل يجد صعوبة في التنفس ضمنها، هي في الواقع واحة. انها توفر الغذاء للوافدين من قبائل اليويغور والهوي والهان الذين يزرعون الكتان والقطن والثمار بما

فيها العنب الشهير الخالي من النوى وبطيخ "هامي." اما مورد الحياة لسكان هذه المدينة العشرين الفاً، فهو القنوات الجوفية التي يبلغ عددها نحو الف وتدعى "كاريز." وهي تجلب مياه المثالج على سفوح جبال تيانشان المجاورة.

مجد عظيم – في اليوم التالي واصلت رحلتي في سيارة مقفلة، فاجتزت مسافة ٤٠ كيلومتراً في اتجاه الجنوب الغربي الى كاوتشانغ. في عهد سلالة "هان" كانت هذه المدينة مركز حضارة تورفان ومقر حكومتها. وهي اليوم أشهر آثار درب الحرير التي تروى عنها الاحاديث. كانت كاوتشاونغ مركزاً متقدماً للحامية العسكرية في القرن الاول قبل الميلاد، لكنها هجرت في القرن الرابع عشر الميلادي. غير ان اطلال هذه المدينة التي شيدت على نسق العاصمة القديمة العظمى تشانغ آن، تبزّ اليوم اطلال بومبايي في ايطاليا التي تبدو ازاءها خرائب لا شأن لها. هنا، فوق مساحة مليوني متر مربع، تنتصب الجدران والأزقة المتهدمة التي تدل على اماكن الحوانيت والاسواق حيث أتقن الحرفيون الصينيون الاوائل بعض المهن كالطباعة والنسيج. كما ان اطلال الحصون المنيعة وواجهات المعابد التي يعود تاريخها الى عهد سلالة تانغ تفصح عن المجد العظيم الذي كان ذات يوم مارعاً هنا.

في طريق عودتي الى تورفان عرجت على سلسلة جبلية رهيبة تدعى "جبل اللهب." ثنايا هذا الجبل ووهاده المتقاربة تظهره كصفحة بحر هائج ينحرف نحو العلاء، وتتراءى قممه السامقة كألسنة من نار تلذع أديم السماء.

ودعت سينكيانغ وركبت القطار مرة اخرى. ثم نقلتني حافلة من مدينة ليووان النائية في مقاطعة كانشو مسافة ١٣٠ كيلومتراً غرباً الى تون هوانغ، الواحة التي تُحدد نهاية صحراء غوبي وبداية صحراء تكليمكان. في هذه البلدة التي تؤوي ١٠٠ الف نسمة، تنشطر درب الحرير طريقين تحفان بجانبي صحراء تكليمكان من الشمال والجنوب قبل ان تلتقيا ثانية في كاشغار. ورحت اراقب من نافذة الحافلة صهاريج ضخمة تنقل النفط وتعبر. ان النفط، وهو اليوم أثمن مما كان الحرير في عهد الامبراطورية الرومانية، هو الذي ابقى هذا الجزء من درب الحرير مطروقاً.

بعد يومين عدت الى ليووان وركبت القطار الى لانشو. وعندما لاحت لي جيايوغوان همست لنفسي قولا مأثوراً: "متى تسلقت الجدار العظيم، ادركت نبل روحك." وأضفت: "ومتى سلكت درب الحرير، عشت قصة التاريخ مرة اخرى."

وحين عدت الى هونغ كونغ ادركت اني تعلمت اكثر مما قد تلقنني الكتب. وارجو ان تقوم ذات يوم درب حرير أخرى وعهد آخر مفعم بالخصب الحضاري المتبادل.

■ **تسو هونغ مان**

في حديث مع لام وو لاب

تشبث الرجال بزورقهم الغارق ومضوا يجذفون بأقدامهم. وفي اللجة سمكة قرش تنتظر منهم بادرة ضعف

٧ رجال في زورق غارق

وسط عباب بحر حالك السواد وتحت نجوم سماء استوائية، تشبث سبعة رجال بزورق غارق واخذوا يحركون ارجلهم في تناسق محاولين دفع الزورق نحو ملامح أرض تراءت لهم في الأفق وكانت التيارات العاتية تعاكسهم وجزر البحر يجرفهم بعيداً عن الشاطىء.

كان السبعة على يقين من أمر واحد: اذا ظلوا معاً، فسوف يكون لهم حظ متساو في النجاة او في الموت غرقاً. ولكن اذا تفرقوا وذهب كل في سبيله، فقد يتمكن واحد او اثنان من الاشداء بينهم من بلوغ شاطىء الأمان، لكن الباقين سيقضون غرقاً، او بما هو افظع من الغرق. فهم ليسوا وحيدين في تلك المياه الملأى بالصخور المرجانية المغمورة. هناك شبح جوال لسمكة قرش تتربص بهم في الاعماق المظلمة. وتجاهل الرجال السمكة لكنها كانت هناك، وربما كان منها عدد أكبر بعد قليل. وفيما الخوف يقبض على حناجرهم المتورمة من الماء المالح، واصل الرجال السبعة تحريك ارجلهم بلا توقف.

لم يكن اي منهم مؤهلا لمواجهة

هذه المحنة أكثر من غرايم كوت، وهو نيوزيلندي في السابعة والعشرين، قصير القامة ومفتول العضلات. وكان بطل السباحة في المدرسة، كما انضم الى نادي الانقاذ البحري في بلاده واكتسب براعة في أساليب النجاة من اخطار البحر. كما انه كان يألف المحيط الهادىء بعدما ظل شهراً يجوب جزائره المرجانية. ولما استقر في عمله في شركة تأمين في سوفا عاصمة فيجي، أخذ يمضي معظم اوقات فراغه في الصيد بالحربة بين الجزر المرجانية.

وكان يرافق غرايم تلك الليلة رفيقه في رحلات الصيد فريتز باور (٢٨ سنة)، وهو خلاسي تجري في عروقه دماء فيجية واوروبية. وكان فريتز اسطورة في سوفا لجرأته ومقدرته تحت الماء.

عطلة الاسبوع تلك في شهر مارس (آذار) ١٩٧٤ كانت في البداية كسواها من الاجازات التي أمضاها غرايم وفريتز معاً. وانضم اليهما ثلاثة مدرسين، نيوزيلندي وامريكي وكندي، واثنان من اصدقائهما الفيجيين. وازمع الرفقاء على اصطياد السمك على جرف مرجاني مغمور يدعى "حدوة الحصان" على بعد ١٦ كيلومتراً من فيتي ليفو، الجزيرة الرئيسية في فيجي.

فريتز كان يعرف المكان حق المعرفة، وقال لغرايم: "انها جنة ملأى بالاسماك والسلاحف."

ساورت غرايم اولى مخاوفه حين رأى الزورق الذي سينقل الرجال السبعة الى عرض المحيط الهادىء ذي المياه الغادرة. فهو كان صغيراً وبدائي الصنع ولا يتجاوز طوله الامتار الاربعة وفيه قمرة صغيرة. لكن غرايم كتم قلقه. فالمحيط كان هادئاً ومغرياً، وهو لم يشأ ان يفسد متعة الرفقة.

وانطلق الرجال بالزورق. وما ان بلغوا منطقة الصخور المرجانية حتى غدا مزاجهم مرحاً وصافياً. كان البحر المغمور بأشعة الشمس يتلألأ بألوان المرجان ويزخر بأسراب الاسماك التي التمعت اجسادها حيثما جالت. ومضت الساعات مسرعة وشعر غرايم انه لم يستمتع من قبل بمثل هذا اليوم البهيج.

الاعزب الوحيد – قبيل الساعة الرابعة عصراً هجمت اسماك القرش التي اثارتها رائحة السمك والدم. ودنت احداها من غرايم في الماء، فصدفها بضربة على خياشيمها بحربة الصيد.

وحان وقت الاياب. فتوجه الرجال عائدين وصيدهم مكوم في الزورق. كانوا يمرحون ويضحكون وقد افرحتهم الشمس وراقهم البحر واعجبتهم رحلة الصيد الموفقة.

حمل الزورق الصغير الرجال السبعة حوالى كيلومتر بعيداً عن الصخور، وفجأة اجتاحت مقدمه موجة عارمة. وكانت الفتحة الامامية في القمرة مفتوحة، ففاجأتهم المياه وتدفقت داخل الزورق الذي كان مثقلا بحمله من الرجال والصيد بحيث بات يعوم على ارتفاع قليل فوق الماء. وصاح فريتز: "امسكوا بأعتدتكم." فسارع

الرجال الى التقاط زعانف السباحة والاقنعة وخراطيم التنفس تحت الماء. وفي لحظات انتهى كل شيء. ارتج الزورق ومال الى جنبه فقذف بالرجال الى اليم.

تشبث الرجال بهيكل الزورق المنقلب اذ لم يخامرهم ريب في خطورة موقفهم. فالشاطىء الاخضر في جزيرة فيتي ليفو كان يلوح بعيداً في الافق على مسافة اكثر من ١١ كيلومتراً. وانتبه غرايم الى انه الاعزب الوحيد في تلك الجماعة. فالآخرون متزوجون ولهم اولاد. وكان فريتز أباً لولدين، وزوجته تنتظر ولادة توأمين.

وصاح احدهم فوق جلبة الاصوات: "لنسبح الى الصخور." لكن الآخرين اعترضوا لان الجزر كان قوياً. ولم تكن هناك حاجة الى تذكيرهم بأسماك القرش المتربصة بهم بين الصخور.

وتعالت الجلبة حين اخذ كل منهم يصيح باعلى من اصوات الآخرين ليفصح عن رأيه. وكان غرايم يعرف من خبرته في الانقاذ ان الهلع قد يكون مميتاً. ولذا صرخ بهم: "اخرسوا جميعاً. وسنتكلم كل بدوره."

واذ راحوا يتكلمون على انفراد، ظلوا يطرحون آراء غير واقعية من أثر الصدمة. وقال اثنان بالحاح: "دعونا نسبح كلنا الى الشاطىء." ولكن لم يكن لديهم سوى سترة انقاذ واحدة. تلك هي عدة النجاة حسب النهج الفيجي اللامبالي.

وتدخل فريتز قائلا: "قبل كل شيء يجب ان نبقى معاً قرب الزورق. فببقائنا معا يكون لنا حظ في النجاة. اما اذا تفرقنا، فلن تبقى لكل منا سوى قوته الفردية. وها هي اسماك القرش على اتم اهبة لالتهامنا."

وتساءل فريتز لماذا لا يحاولون دفع الزورق الى الشاطىء؟ صحيح انه مغمور بالمياه، لكنه يبقى شيئاً يمكن التشبث به، شيئاً يبقيهم معاً. وأيد غرايم هذا الرأي. فالموقف يقضي بأن يكون الكل للواحد والواحد للكل.

العمل الجاد اخمد شعور الهلع لدى الرجال. فرموا ما تبقى من صيدهم خارج الزورق، وبجهد مضن مسحوا كل فتر فيه لازالة اي اثر او رائحة للسمك قد يجتذب اسماك القرش. بعد ذلك اعادوا الزورق الى وضعه الصحيح بوقوف بعضهم فوق قعره بينما الآخرون يرفعونه من أسفل. وعندما استوى الزورق القوا المحرك الثقيل الى الماء وحشروا خزانات الوقود الفارغة في القمرة لتعويمها. عندئذ برز سطح القمرة فقط فوق مستوى الماء. ومع ذلك ظل الهيكل المغمور يمثل لهم الامل الافضل في النجاة.

واستقر رجلان على كل من جانبي الزورق، فيما انتقل الثلاثة الباقون ليدفعوا به من الوراء. وأوصاهم فريتز بالا يحرك اي منهم قدماً أو زعنفة سباحة فوق وجه الماء لئلا يجتذب اسماك القرش. وكان على السبعة ان يحركوا ارجلهم بتناسق رتيب، واذا حالفهم الحظ فان سمكة القرش قد يخيفها مخلوق ضخم له ١٤ قدماً تتحرك سوية.

المد الغادر — خلال ساعة بدت جزيرة فيتي ليفو قريبة. وكان الجميع

يتحرك بقوة في الماء. ولكن ما لم ينتبه له الرجال هو ان التيار كان يجرهم في محاذاة شاطىء الجزيرة. وكانت اجزاء من الساحل تبدو قريبة منهم، لكنه ساحل عابر.

ودهمهم غسق المساء الاستوائي وهبط الظلام، فقال أحدهم: "لندخل الزورق، فسنكون في أمان هناك." لكن فريتز لم يرضَ بذلك ووعدهم قائلا: "سنعود الى بيوتنا الليلة."

كان فريتز في الحقيقة يخشى ان يبتعدوا عن البر في الظلام ويصبحوا خارج نطاق بحث فرق الانقاذ التي ستهب الى نجدتهم. كما كان يدرك اهمية البقاء فريقاً متجانساً مؤمناً بالنجاة.

ومع هبوط الظلام غشي الجماعة خطر آخر هو الاعياء. وأصيب احد المدرسين بتقلص عضلي، ودب الشلل حتى الى حنجرته فغدا عاجزاً عن النطق. وساعده الآخرون ليصعد الى الزورق. وهو كان يرتدي سترة الانقاذ الوحيدة، فقبع في جوف الزورق ورأسه فقط فوق وجه الماء. وهكذا اضحوا ستة في صراعهم مع البحر.

وحضهم فريتز قائلا: "هيا، تابعوا الحركة." في هذا الوقت غدا كل منهم يخوض صراعاً خاصاً مع جسده، اذ لم يكن هناك مجال للتوقف او الراحة. ومرة بعد اخرى بدا انهم على مسافة مئات الامتار من الشاطىء بحيث امكنهم رؤية النار وحتى الاشخاص هناك. لكن المد في اختلاط تياراته كان يتلاعب بهم ويقذفهم تارة الى الامام وطوراً الى الوراء.

قال فريتز: "ما زالت امامنا ساعة واحدة فقط للوصول." لكن ساعة مرت واعقبتها اخرى. وانطفأت الانوار على الشاطىء وخمدت النار. وفي الظلام عاد فريتز يفكر بسمك القرش. ثم اخذ يتفقد رفقاءه بصوت هادىء ليتأكد من ان احداً منهم لم يُفقد.

وعاد الكلام يتردد عن السباحة الى الشاطىء، على ان يجرب كل فرد حظه. لكن فريتز وغرايم اعترضا من جديد: "نحن في هذه المحنة كلنا معاً. احدنا سيغرق حتماً اذا ترك وشأنه." بهذا كانا يلمحان الى المدرس القابع في جوف الزورق المغمور بالماء.

عندما دب الكلل في الآخرين اضحى جهد فريتز شاقاً. وكان سر جَلَده بسيطاً، فكلما احس بالوهن عاد بأفكاره الى عائلته، خصوصاً زوجته التي تنتظر أوبته. القيم التقليدية الفيجية كانت حية في ذهنه. فهل يمكنه ان ينجو بنفسه ويترك اصحابه لقدرهم؟ الحياة عمل جماعي. ويجب ان تبقى كذلك ليكون لها معنى.

وصرخ رجل قائلا: "هناك سمكة قرش في اللجة."

فحدق الآخرون الى الماء. هل ذلك الشيء اللامع في القاع سمكة قرش؟ وحفزهم الخوف على الاجتهاد من جديد. ولكن سرعان ما بلغ اثنان منهم اقصى درجات العياء واخذت ارجلهما تخبط في وهن، فصعدا الى الزورق. وتملك فريتز خوف من فقدان الجميع ارادة البقاء، فيطفون مبتعدين عن الزورق ويغرقون في الظلمة.

انكار الذات – قرابة الساعة الثالثة صباحاً، بعد عشر ساعات من الجهد المتواصل، تسلل الجميع واحداً بعد آخر الى جوف الزورق. وهناك انهاروا كلهم، بعضهم قاعداً وبعضهم الآخر نصف عائم، ورؤوسهم فقط تبرز فوق الماء.

مع توقف الجهد الجماعي سرعان ما تضاءلت ثقة الرجال بانفسهم. كانوا كلهم يقاسون العذاب من عوادي الطبيعة. واخذ احدهم يصرخ هاذياً ان عليهم مغادرة الزورق والسباحة للنجاة. لكن غرايم وفريتز اللذين كان لهما الحظ الاوفر بالنجاة ظلا يصران على الجهد الجماعي.

في ساعات الفجر الاولى قبل شروق الشمس بدت جزيرة فيتي ليفو متقزمة فوق الافق. فعاد الرجال الى البحر واجسادهم راجفة ومتألمة. وخطرت في بال فريتز فكرة استخدام المجذافين. فصنع حلقتين من قطعة حبل وربط المجذافين بحافة الزورق. ثم جلس رجلان على الدكة المغمورة وراحا يجذفان تحت سطح البحر.

قبل مضي وقت طويل اصابت التقلصات العضلية رجلين آخرين واضطرا الى الاستراحة في جوف الزورق. وهكذا لم يبقَ سوى فريتز وغرايم للسباحة والدفع. وبدأ الزورق يغرق في اللجة. وفي الثامنة صباحاً لم يبقَ لدى الرجال اي شك في انهم يغرقون، وكانوا يعبرون بسرعة متجاوزين ساحل الجزيرة. وبعد قليل لم يبقَ في نطاق رؤيتهم سوى طرف واحد من الجزيرة ووراءه يمتد المحيط الهادىء.

في تلك الاثناء كانت فرق الانقاذ انطلقت للتفتيش عن المفقودين. لكن رجالها افترضوا ان محرك الزورق تعطل، فظلوا يجوبون المنطقة حول صخور "حدوة الحصان".

وارتفعت الشمس الاستوائية اللاذعة في السماء، وشعر الرجال بأن شفاههم تتشقق وألسنتهم تتورم.

مضت ١٥ ساعة والرجال يصارعون في الماء. والجهد الجماعي الذي بدا عملاً حكيماً ربما يعني الهلاك الجماعي. وأخذ الشك يخامر غرايم حين احس بارتخاء في جسمه. فكلما بذل جهداً اضافياً تضاءل حظه في النجاة. الا يجدر به ان يحتفظ بطاقته لنفسه؟

بيد ان فريتز الذي ظل متمسكاً بروح الجماعة غدا محط اعجاب غرايم. وبدا احياناً انه يدفع الزورق وحده في جوف الماء، وهكذا وجد غرايم نفسه مرغماً على مجاراة صديقه.

فجأة بدأت المثابرة تعطي ثمارها، اذ برز قضيب دقيق من سطح الماء، وهو معلم يوضع على الصخور المغمورة. وبدا كأنه الامل الاخير، واخذ يبرز تدريجاً من المحيط المنبسط بينهم وبين آخر ما بقي مرئياً من جزيرة فيتي ليفو. ذلك القضيب الذي بشرهم بوجود صخور امامهم جعلهم يهتفون في جنون. فأن هم نجحوا في الوصول الى الصخور وربط الزورق بالقضيب، فسيمكنهم ان يغرفوا الماء منه حتى يفرغ ويعوم ثانية. وربما نجوا كلهم بعد ذلك العناء المضني.

وصاح فريتز يستحثهم: "لنبذل قصارى جهدنا لمدة ساعة، وسنصل الى المعلم بلا ريب." وهكذا اندفع الزورق في الماء بقوة الدفقة الجديدة من الطاقة.

وفجأة وصل الرجال الى الصخور. وتملكهم العجب، انهم هناك يقفزون الى الصخور الضحلة ويربطون الزورق. وعثر فريتز على بعض المحار فشقه وقدمه كغذاء مالح يستمد منه الرجال القوة. ووقفوا يستريحون وهم في نشوة.

ولكن ما زال امامهم ثلاثة كيلومترات او اربعة من المحيط، في حين ان الزورق بدأ ينهار ومؤخره على وشك الانفصال تماماً.

وعندما استأنفوا الكفاح في الساعة التاسعة، كان ثلاثة منهم فقط قادرين على دفع الزورق فريتز وغرايم وفيجي مترنح. اما الاربعة الباقون فكانوا عاجزين عن الحراك واستسلموا للنوم في شبه غيبوبة.

وعاد فريتز يحض رفيقيه قائلا: "يجب ان نعمل بعزم أشد، واصلا الجهد بلا توقف."

ولم يمضِ وقت طويل حتى انهار الرجل الثالث. وهكذا لم يبقَ سوى فريتز وغرايم اللذين أصرا على الانقاذ الجماعي منذ البداية واضحى عليهما ان يكملا العمل وحدهما.

وحمل فريتز مجذافاً ليزيد من سرعة الزورق. وهذا التصميم أجج الحماسة في نفس غرايم ايضاً. ومرت ساعة ثم اخرى، وأدرك الرجلان ان المد سيتغير وستبدأ المياه الانحسار عن الشاطىء. فاذا لم يبلغا البر قبل ذلك، فان جهود ١٨ ساعة عبر ٢٠ كيلومتراً فوق سطح البحر ستذهب سدى. ولا ريب في ان المحيط الهادىء سيقضي عليهم جميعاً.

وانحنى الرجلان فوق مجذافيهما وأكبا على العمل. وشعر غرايم أن أحساسه يتخطى حدود الالم، وربما يتخطى ايضاً حدود هذا العالم. وعلى رغم ذلك ظل يعمل كآلة صماء.

وفجأة سمع فريتز يهتف: "انظر! انظر!"

رفع غرايم رأسه ورأى اشجار جوز الهند الباسقة. انها قرية. ورأى اولاداً فيجيين يلعبون فوق شاطىء من الرمل المرجاني.

لم يسبق ان انتهى كابوس بمثل هذه النهاية اللطيفة. وتقدم الزورق نحو الشاطىء وهو يقرقر ويتشقق. ونزل غرايم مترنحاً مع رفقائه وقد خف وزنه خمسة كيلوغرامات عما كان حين وطأ البر في المرة الاخيرة.

ورآهم رجل وقور فأسرع اليهم قائلا: "لقد سمعنا على الاذاعة بما حدث لكم. لكننا لم نحسب انكم ستصلون الى هنا."

فرد أحد السبعة قائلا: "ولا نحن حسبنا."

■ **موريس شادبولت**

رب ّ العمل ليس من يعمل، بل من يولد لدى الآخرين رغبة في العمل.

ر.ب.

الجراحة هي الطريقة الاوسع انتشاراً لعلاج السرطان. الا ان هناك طرقاً حديثة ـ كالاشعة والعلاج الكيميائي ـ تمنح المريض حظاً مماثلا في الشفاء وتجنبه اخطار الجراحة والتشوه

السَرطان: أيهما أفضَل لشفائهِ الأشعّة أم الجرَاحَة؟

ب بائع في السابعة والخمسين اصيب بسرطان الحنجرة. واراد طبيبه الجراح استئصال الحنجرة مما يحرمه صوته الطبيعي ويحول تنفسه الى ثقب في القصبة الهوائية. قال الرجل: "ان لم اتكلم فلن اقدر على العمل." وتوجه الى طبيب آخر طلباً للمساعدة، فشفي من السرطان وظل محتفظاً بصوته وقادراً على التنفس الطبيعي.

■ سكرتيرة في الخامسة والاربعين اكتشفت كتلة صغيرة في ثديها الايمن. واخبرها طبيبها الجراح ان لا بد من استئصال الثدي، لكنها شعرت بان ذلك سيشوه منظرها. فرفضت اقتراحه وشفيت من دون جراحة.

■ رجل في الخامسة والستين اصيب بسرطان البروستات، وكان لا يزال في مراحله الاولى. وكانت المعالجة المألوفة استئصال الغدة مما قد يؤدي الى العجز الجنسي الكامل واحتمال القصور عن ضبط التبول بنسبة ١٥ في المئة. ولم ترق المريض هذه النتائج، فرفض الجراحة. وشفي من السرطان محتفظاً بقدرته الجنسية وبالتبول الطبيعي.

ان كلا من هؤلاء الثلاثة كان بلا شك مصاباً بالسرطان. فقد ثبت تشخيص المرض بالفحوص المجهرية. كذلك فما من شك في شفائهم جميعاً. وقد اعيد فحص كل منهم مراراً طوال اكثر من ١٥ سنة، ولم يبقَ لديهم من اثر للمرض.

قد تبدو هذه الحالات استثنائية، لكن الحقيقة غير ذلك. فهناك مئات بل الوف الحالات المماثلة لاشخاص تم شفاؤهم من السرطان بواسطة الاشعة.

والاشعة الشافية تأخذ اشكالا عدة - منها الاشعة السينية (اكس) واشعة غاما واشعة بيتا - تقذفها آلات متطورة، ومع ذلك فالقدرة المذهلة لهذه الاشعاعات على شفاء انواع عدة من السرطان ما زالت مجهولة بالنسبة الى الجمهور وحتى الى جانب كبير من الاطباء المختصين.

الجراحة هي السبيل المهيمن في معالجة السرطان. واذ تعتبر الجراحة خير طريقة للشفاء - مثلما اعتبر استئصال الثدي المصاب عبر العقود الماضية - فان الاطباء بلا شك سيعارضون نبذ تلك الطريقة وابدالها بطرق جديدة ليست لهم خبرة فيها. واحياناً، لا يقترح الاطباء طرقاً بديلة للمعالجة الا اذا رفض المريض الجراحة.

تنافس مهني - انقضت سنوات قبل ان يتمكن المعالجون بالاشعة من تجميع حالات كافية ليثبتوا ان الشفاء بالاشعة يمكن ان يترسخ. ولم يكن الاطباء يلجأون الى هذا النوع من العلاج الا بعد ان يتمكن السرطان من المصاب الى درجة خطرة. ويقول الدكتور موريس وايزنبرغ من مستشفى الرحمة في اوكلاهوما: "يعتقد كثير من الناس ان المعالجة بالاشعة تدل على ان المرض استفحل في جسد المصاب فلا يمكن انقاذه."

قد تتغير هذه النظرة سريعاً. فالكلية الامريكية للطب الاشعاعي اجرت دراسات تشمل جميع تسهيلات العلاج بالاشعة في الولايات المتحدة والتي يناهز عددها الالف. وحللت نتائج معالجة عشرة انواع من الامراض السرطانية - الصدر وعنق الرحم والحنجرة والبروستات والرحم والمثانة والخصية واللسان وقعر الفحم ومرض هودكين (★). فتبين انه "عند اختيار المرضى طريق المعالجة بالاشعة، فان امكان شفائهم يعادل النتائج المرتقبة من الجراحة، بل يفوقها احياناً. والى ذلك يبقى الجسم سليماً ومحتفظاً بفاعلية اعضائه. لقد اصبح العلاج بالاشعة عملا فنياً في منتهى الدقة والتأثير."

اثبتت المعالجة بالاشعة انها طريقة مقبولة لمرض هودكين وسرطان عنق الرحم وتورم الخصية وانواع سرطانية اخرى تصيب الرأس والعنق والعين. كما اثبتت فاعليتها ضد سرطان الحنجرة. فعندما يكون المرض محصوراً في الاوتار الصوتية، ففي الامكان شفاء ٩٠ في المئة من المرضى والابقاء كذلك على اصواتهم الطبيعية.

(★) مرض مميت من اعراضه تورم العقد اللمفوية والطحال.

ويعتقد خبراء السرطان، بعد تزودهم بمعدات قوية متطورة، ان المواضع التي تستحيل فيها معالجة السرطان في مراحله الاولى هي قليلة جداً. واذا استخدمت الاشعة، منفردة او مع الجراحة او العلاج الكيميائي، فانها تحقق نجاحاً ضد امراض سرطانية نادرة، كسرطان العظم حيث يمكن تلافي بتر الساق في اغلب الاحيان، وسرطان العين الذي يمكن شفاؤه من دون فقدان النظر، كذلك اورام الدماغ التي يتعذر علاجها بالجراحة.

ولكن اذ يضاعف المعالجون بالاشعة جهودهم فانهم يصطدمون بالجراحين التقليديين مما يولد تنافسا، خصوصاً في معالجة سرطان الثدي الاوسع انتشاراً بين نساء امريكا واوروبا.

ان اشهر مؤيدي معالجة سرطان الثدي بالاشعة هو الدكتور لوثر برادي رئيس قسم المعالجة بالاشعة في كلية هانمان الطبية في فيلادلفيا. يقول برادي: "ان معالجة سرطان الثدي بالاشعة تعدت طور التجارب. فلقد تأكد تأثيرها العظيم وسجل في خمسة آلاف حالة نشرت نتائجها."

في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ نشرت كليات الطب الشهيرة في هارفرد وييل وجفرسون وهانمان معلومات مشتركة عن قرابة ٣٠٠ حالة لنساء اصبن بسرطان الثدي وعولجن بالاشعة بعد جراحة بسيطة. فكان معدل الشفاء لا يقل عن المعدل الذي تم باستئصال الثدي.

نتائج مشجعة - ان كثيراً من الجراحين ما زال غير مقتنع بان نجاح علاج سرطان الثدي بالاشعة يمكن ان يوازي نجاح الاستئصال. وفي اي حال فان عدد الجراحين الذين اصبحوا لا يرون ضرورة للجراحة السريعة آخذ في الازدياد. ويقول الدكتور بنجامين بيرد استاذ الجراحة في كلية فاندربلت الطبية في ناشفيل، ولاية تينيسي: "ليس هناك دليل على ان تأجيل الجراحة اسبوعاً او اثنين بعد الفحص المجهري يشكل خطراً. وهذا التأجيل يفسح في المجال لتشخيص ادق ويمنح النساء وقتاً اطول للتفكير ملياً في اختيار طريقة اخرى."

ويستمر الجدل ايضاً حول افضل الطرق لمعالجة سرطان البروستات الذي يصيب الرجال، خصوصاً بعد السن الخمسين.

ويعتبر الدكتور مالكوم باغشو رئيس قسم الاشعة والمعالجة بالاشعة في جامعة ستانفورد، ولاية كاليفورنيا، رائد طريقة للمعالجة تتفادى اخطار الجراحة، وذلك باستخدام اشعة خارجية مرسلة بواسطة مسرّع بقوة خمسة ملايين فولت. ولقد عالج هذا الطبيب ٩٠٠ اصابة بسرطان البروستات بهذه الطريقة.

وعدد الذين كتبت لهم الحياة مثير للاعجاب. وكان نصف المرضى تجاوزوا الثالثة والستين من العمر حين شخص مرضهم. ٧٨ في المئة من الذين انحصر مرضهم في البروستات ظلوا احياء بعد انقضاء خمس سنوات على المعالجة. اما الآخرون الذين كانوا يعانون تورمات أخرى، فعاش

منهم ٥٩ في المئة لمدة خمس سنوات او اكثر.

اختصاصيو الاشعة في معظم مراكز معالجة السرطان بدأوا استخدام الاشعة الخارجية لمعالجة سرطان البروستات. والنتائج جيدة. يقول الدكتور باغشو: "ان طرق المعالجة الثلاث، وهي الجراحة والاشعة مع الجراحة والاشعاع الخارجي، تعطي النتيجة نفسها في شفاء سرطان البروستات في مراحله الاولى. وليس هناك فارق بينها الا من جهة الاخطار والتأثيرات الجانبية."

بعض الرجال المسنين لا يمكنهم تحمل الجراحة. ومعالجتهم بالاشعاع الخارجي تكاد تخلو من الخطر، وهي تفسح في المجال امام ٦٠ او ٧٠ في المئة من الرجال للاحتفاظ بكامل قواهم الجنسية. وعلى رغم ذلك فان معظم المختصين بالمجاري البولية لا يحيلون مرضاهم بالبروستات على المعالجة بالأشعة. هذا ما بينه مسح اجرته الكلية الامريكية للجراحين.

كيف يتسنى للمريض غير المطلع والمتخوف من السرطان تقرير طريقة المعالجة من بين هذه الخيارات المختلفة؟ يقول الدكتور هندركسون رئيس قسم العلاج بالاشعة في مركز سانت لوك الصحي في شيكاغو: "اقصد مؤسسة يتوافر فيها جراحون واختصاصيون بالاشعة وبالعلاج الكيميائي. على ان يكون هؤلاء متعارفين ويحترم كل منهم الآخر ويتذاكرون في ما بينهم ويناقشون افضل الطرق للمعالجة."

من الحقائق البديهية ان احتمال شفاء مريض السرطان يتقرر اساساً في المعالجة الاولية. وهذا يعتمد الى حد بعيد على الطبيب الذي يراه اولا. ولما كان معظم المصابين بالسرطان يتوجهون الى المستشفى حيث الجراح موجود في حين قد لا يتوافر طبيب مختص بمعالجة الاورام بالاشعة او قد تنعدم الاشعة الحديثة، فمن المحتمل الا يعرض عليهم اي خيار الا الجراحة.

ويتفق الاطباء على ان معالجة المريض الذي يعرف داءه سهلة وان حظه في الشفاء افضل. ومع هذا فلا يعرض جميع الاطباء طرقاً مختلفة للمعالجة. يقول الدكتور هندركسون: "كثير من زملائنا يعتقدون انهم ملمون بكل شيء، ولذا فانهم يتخذون القرارات نيابة عن مرضاهم."

ويضيف الدكتور بيرد الى ذلك: "ليس عذراً ان نقول اننا فعلنا ذلك دائماً. فالمعالجة تتغير باستمرار، وعلى كل طبيب مخلص ان يعي ذلك. فالمعالجة يجب ان تناسب حاجة المريض."

■ والتر روس

راتب على الوزن!

في ساعة الازدحام ذات صباح، بقي عامل المصعد في المبنى حيث تقوم شركتنا ينتظر مزيداً من الركاب حتى غص المصعد بالناس. وأخيراً جاءه صوت من الوراء يقول: "أخبرني يا تامر، أيدفعون لك الراتب بناء على الوزن؟"

ر.١٠.

ربما اثبت المستقبل تفوّق النساء
على الرجال في مضمار ارتياد الفضاء

المركبات الفضائية في انتظار ربّات البيُوت

ن "نحتاج الى متطوعات لاختبار متعلق بارتياد الفضاء."

هكذا جاء في الاعلانات التي ظهرت في الصحف والاذاعات في شمال ولاية كاليفورنيا الأمريكية خلال شتاء ١٩٧٦.

وصادف أن لين لوثي، وهي ربة منزل في اوكلاند في الرابعة والخمسين وقد وخطها الشيب، ادارت جهاز الراديو في مطبخها علّ الموسيقى الشعبية تمدها بالوحي وهي تحضر الدجاج. فسمعت الاعلان المذكور.

ورفعت يدها الى سماعة الهاتف فيما اليد الاخرى منشغلة بالدجاجة، وخابرت وكالة الفضاء الاميركية (NASA). وكان الخطّ مشغولا، ألا أنّ ذلك لم يثنها عن تكرار المحاولة. فهي عقدت العزم على التطوع.

وما برح خط الوكالة مشغولا بعد يومين. وتقول السيدة لوثي: "كنتُ احاول طلب الرقم حتى خلال التبضّع."

وللمرة الاولى كانت الوكالة المذكورة تفتح باب التطوع أمام النساء للانضمام الى مهمة تاريخية في مركز "ايمس" للابحاث في كاليفورنيا، ساعية الى ربات بيوت ومعلمات مدارس واداريات وصحافيات وسكرتيرات، أي الى

Condensed from Omni (June '82). (c) 1982 by Omni Publication International. Ltd., New York. N.Y.

نساء عاديات خارج الخدمة العسكرية.

واختير للبرنامج الذي أطلق عليه شعبياً اسم "ربات المنازل الفضائيات،" مجموعة من مئات النساء. وكانت غاية الدراسة قياس قدرة النساء على تحمل الاجهاد الملازم لارتياد الفضاء.

وكانت الوكالة أجرت مئات الاختبارات على ذلك الأمر في العقود القليلة الماضية. إلا أنّ اختباراً واحداً أُجري على قدرة الاناث، وكانت فيه امرأة واحدة. وحتى اقرار موازنة المكوك الفضائي "كولومبيا" ظُنّت النساء غير مؤهلات للاختبار الجدي.

ويقول الدكتور ديفيد وينتر، المدير السابق لبرنامج العلوم الحية في وكالة الفضاء الأمريكية، إن "عدداً من الأسباب دعا الى تأخير البرنامج. وأبرز تلك الأسباب عدم احتواء المركبات التي سبقت "كولومبيا" على مرحاض يصلح للاستخدام النسائي." أما المكوك فقد احتوى على مرحاض يصلح للجنسين، بلغت تكاليفه ثلاثة ملايين دولار.

مختبر بشري - بُعيد الموافقة على بناء المكوك "كولومبيا" عام ١٩٧٢، استقدم الدكتور وينتر وزميله الدكتور هارولد سادلر، رئيس شعبة البحث الطبي البيولوجي في مركز "ايمس،" اثنتي عشرة ممرضة من سلاح الطيران لاجراء اختبار على أهلية المرأة للرحلات الفضائية. وجاءت النتيجة مشجعة،مما حدا خبراء الوكالة على صرف ثلاث سنوات درسوا خلالها بدقة بالغة ما اذا كانت النساء صنو الرجال في تحمل الاجهاد الناجم عن ارتياد الفضاء.

وتقرر اختيار ثلاث مجموعات تمثل كل منها سناً مختلفة وتضم عدداً مماثلا من الذكور والاناث، على أن تخضع كل مجموعة بالتناوب لاختبارات صارمة. واستُهِلّ الاختبار عام ١٩٧٦ بالمجموعة الاولى التي راوحت أعمار ذكورها بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين، تبعتها مجموعة نسائية انطبقت عليها المواصفات نفسها من حيث السن . وتقرر استئناف الاختبار على المجموعتين الاخريين اللتين راوحت أعمار أفرادهما بين الخامسة والأربعين والخامسة والخمسين، وبين الخامسة والخمسين والخامسة والستين.

وتقول دي اوهارا، مديرة المختبر البشري التي اشتركت كممرضة في برامج وكالة الفضاء بين مايو (أيار) ١٩٦١ ومايو (أيار) ١٩٦٣: "لم يدُر في خلدنا أي صنف من النساء سيتطوّع للمهمة. غير أننا لم نستبعد ربات البيوت لأن أوقات عملهنّ مرنة وتسمح لهن بالمشاركة في العملية."

والواقع أن النسوة تدفقن من مرافق حياتية متنوعة. وكانت لين لوثي أمضت عشرين سنة كربة منزل. أما بيرنيس روبرتسون، وهي في الحادية والخمسين، فلم تجد ... أوقات دوامها كمديرة وحدة ... والحداثة في وزارة الصح... لولاية كاليفورنيا ما ...

التطوع. وسمحت لها ادارتها بالتغيُّب بضعة أيام، أضافت اليها أياماً من اجازتها السنوية. لكنَّ زوجها طرح عليها السؤال الآتي: "اذا تغيبت ثلاثين يوماً، فمن ذا الذي يُعد لي الطعام؟".

وما كان من السيدة روبرتسون إلا أن حضَّرت ثلاثين وقعة غلفتها جيداً ووضعتها في الثلاجة. ولما اطمأنَّ الزوج الى ذلك، عنَّت له فكرة التطوع هو الآخر. وتقول بيرنيس مازحة: "لو فعل ما قاله لكنا أول زوجين بين الرواد."

غربلة صارمة - هناك امرأة اخرى هي آرلين فيتزجيرالد تبلغ التاسعة والخمسين وتعمل مخبرة محاكم في سان فرنسيسكو. هذه المرأة المترملة لم تتوقع معارضة ابنها القوية. وهي تقول: "إن ابنتي طبيبة، وهي لم تقلق علي لمعرفتها تلك الامور حسناً. أما ابني فكان عنيداً في موقفه، وقال انه سيغادر المنزل ولا يعود اليه اذا قررتُ الذهاب." لكن ذلك لم يثنِ آرلين.

ومن الاخريات اللواتي اختارهنَّ البرنامج دونا هاويل، وهي سكرتيرة ادارية متقاعدة في الثالثة والستين تحب الحياة الاجتماعية كثيراً، كذلك ديل غريفز (٥٣ سنة) التي تحمل شهادة قبطان وتعمل ربانة بحرية ومحللة في معهد ستانفورد للابحاث.

وقد خضعت النسوة لفحص اختيار صارم، استُبعدت بموجبه نصف الطلبات الاساسية. فالراتب الممنوح لم يتجاوز كثيراً الرواتب الدنيا. واللواتي حضرن المقابلات اختبرنَ بالنسبة الى الشخصية والاخلاص للعمل وحب التعاون. فالبرنامج يقتضي المشاركة، لا العمل المنفرد. واللواتي وقع عليهن الاختيار الاولي أمضين اسبوعين مليئين بالتمارين الجسدية المضنية. وكانت النتيجة ابقاء عشر نساء من كل مجموعة بعد انتهاء التمارين. وبعد ذلك أمضت النسوة الثلاثون نحو خمسة أسابيع أُخضعنَ خلالها لبرنامج تقشُّفي منع عليهن الشراب والتدخين وتناول السوائل التي تحتوي على مادة الكافيين، كما حرمهن أخذ العقاقير والفيتامينات.

وفي نتيجة ذلك بقيت ٢٧ امرأة في الفئات الثلاث، تراوح أعمارهن بين الخامسة والثلاثين والخامسة والستين. وكنَّ يترددن على مركز الوكالة بين ١٣ أبريل (نيسان) ١٩٧٧ و٢٨ أبريل (نيسان) ١٩٨١. وبعد ذلك امضين الايام الثمانية والعشرين التالية في عزلة تامة.

وهناك تمَّ تزويدهن بأحزمة تقيس ضربات القلب. وارتدين بذلات فضائية خاصة كُتبت أسماؤهن على صدورها. كما خضعن لمراقبة طبية وفحوص مستمرة، غايتها قياس قدرتهن على تحمل أعباء الفضاء الناجمة عن تبدل الجاذبية ونسبة الاوكسيجين والارهاق وعوامل اخرى. وغالباً ما كانت الفحوص تضنيهن وتتطلب أخذ عينات الدم والبول باستمرار. وفي أيام العزلة الاخيرة، كانت عينات الدم تؤخذ يومياً من كلّ متطوعة.

تفوّق النساء – في المركبة الاختبارية، اضطجعت النسوة على ظهورهن ووضع فوق أعينهن وقاء معدني يشبه غطاء الطائرة. وتحت أثر الريح والمطر الاختباريين، طُلب من كل امرأة أن تمحو الأرقام عن لوحة الطائرة من غير التخلي عن التمرين الأساسي المخصص لشغل الأيدي والعيون. وكان هذا الاختبار يجري بعد فراغ النساء المنهكات من ركوب الممخضة الدوارة.

واختبار الممخضة الدوارة هو الجزء الاكثر ارهاقاً في العملية كلها. وفيه تجلس كلّ امرأة في غرفة صغيرة على طرف ذراع طويلة تتحرك حتى السرعة القصوى لزيادة ضغط الجاذبية تدريجاً. فتبدأ بما يفوق جاذبية الأرض ضعفين ونصف ضعف وتنتهي بما يفوقها ثلاثة أضعاف. وعند هذا المستوى تقيأت بعض النساء وغابت اخريات عن الوعي. إلا أن أياً منهنّ لم تنسحب.

وفي اليوم العاشر بدأت مرحلة جديدة من الاختبار، وهي المكوث في السرير. وقد وجد العلماء أن البقاء في السرير سحابة طويلة من الوقت بعد اختبار الجاذبية من شأنه مضاعفة أثر الاختبار. ولم يُسمح للنساء برفع ركبهن أو الجلوس في الأسرة، ولا الاتكاء على مرافقهن ألا خلال الطعام.

ومن أجل تمضية الوقت، مُلىء المكان بأجهزة التلفزيون والراديو. وكان بعض النساء يلجأ الى المحادثة أو حياكة البطانيات الملونة، فيما كتب بعضهن الآخر رسائل.

ولدى انهاضهن من الأسرة بعد اليوم العاشر، شعرن بالضعف والدوار، وانتابت بعضهن الآلام والأوجاع بسبب نقص قليل في الكلسيوم.

ولم تنشر وكالة الفضاء الامريكية تقريراً مفصلا بعد عن هذا الاختبار الذي دام خمس سنوات. ولكن ما أن عادت المجموعة الأخيرة من النساء الى منازلهن حتى أخذ بعض الباحثين يستخلص النتائج الاولية. وكان واضحاً منذ البداية أن النسوة السبع والعشرين أبلين حسناً، بل تفوّقن على الرجال في بعض المجالات، ومنها تحمل التعب الجسدي والنفسي على نحو أفضل. كما أن المشاركة في ما بينهن وتعاونهن مع المسؤولين كانا أفضل مما توقعت الوكالة.

ويقول الدكتور ساندلر ان النساء ربما كن خيراً من الرجال في تحمل السرعة. ويضيف: "من الأمور التي تزعج النساء على الارض الجاذبية. وهذا يمكن الرجال من ممارسة أعمالهم اليومية بكفاية اعلى. أما في حال انعدام الجاذبية، فالقوة الجسدية ليست ذات أهمية. لذلك لا شيء يمنع، في ضوء الدراسة المذكورة، من تفوق النساء في مضمار ارتياد الفضاء."

وتجدر الاشارة الى أن بين رواد الفضاء المرشحين للتحليق في المستقبل ثماني نساء. واحدى هؤلاء سالي رايد التي ستكون من طاقم رحلة "كولومبيا" السابعة في ابريل (نيسان) ١٩٨٣.

■ **بربارة روز**

رقصة المتزلجين في اوبرا "الامير ايغور."

سحر الراقصين وجرأة الاضاءة وجمال الازياء والزخم الشعبي في المشاهد وضعت هذه الفرقة في الصدارة

موسييف: عرس روسيّ يعبر القارات

ي يقال ان اعظم الصادرات السوفييتية قيمة ليس الكافيار، بل فرقة موسييف للرقص الشعبي المؤلفة من ١١٦ فناناً ذوي مواهب غير عادية. وقد اثارت حيويتهم وتناغمهم حماسة المشاهدين في قاعات محتشدة في ٥٢ بلداً خلال السنوات الـ٤٥ الماضية،

Photo: Roger Pic

وذلك منذ ما بدأوا تقديم عروضهم في اغسطس (آب) ١٩٣٧ (★).

امام الباليه الكلاسيكية ليلة بكاملها لالقاء وشاح سحرها على الجمهور، بينما الرقصةالشعبية التي أعيد تصميمها لتناسب هذه المجموعة المبدعة، فتكاد تكون لقطة تصور في اربع دقائق حياة الفلاحين والعشاق والبحارة والمغفلين. فتحبس انفاس الجمهور منذ لحظة رفع الستار.

يدخل الراقصون والراقصات بأزيائهم المزخرفة ويقفزون فوق خشبة المسرح حوالى مترين ونصف متر في الهواء. ثم يدورون مثل عجلات بشرية، فينعطفون ويتداخلون على نحو ضبابي متموج يثير لهاث الجمهور. ان انساناً عادياً لا يمكنه ان يرقص هكذا. فكل راقص في هذه الفرقة هو بمثابة بهلوان شُدَّ حبله فوق هاوية الكارثة الفنية. غير ان هؤلاء الراقصين لا يقعون ابداً، بل اغدقت عليهم مدائح النقاد وحتى تهاني تلك الفئة من الناس التي لا تحضر حفلات الرقص عادة وان تكن هي التسلية الوحيدة المتوافرة في المدينة.

ان هذه الالعاب النارية الراقصة ليست الا القليل المرئي من فن موسييف. فهذا الفن مشهد روسي متغير ومتعدد الالوان، بل هو متحف للفن الشعبي السوفييتي. وبتركيزه على روح الدعابة والعاطفة الوجدانية في الحياة اليومية، فانه يعبر عن روح الشعب. وهناك اكثر من ٣٠٠ رقصة في سجل الفرقة، معظمها يروي قصة حيث كل مشهد ولقطة يمهد للحبكة.

ولعل رقصة "الموالين" هي اكثر اعمال الفرقة شعبية. وينطبع السحر المسرحي بعلامات موسييفية مميزة: اضاءة جريئة وازياء مؤثرة.

تبدأ المسرحية بعصابة من مقاتلي المقاومة وهم يمتطون جيادهم ويعبرون شفقاً متوعداً. فجأة يصطدمون بالعدو وسط انفجار الدفوف وجنون الاضواء، فيطرحون عباءاتهم السوداء الفضفاضة. هنا نكتشف ان قافلة الفرسان كانت وهماً نفذ ببراعة. فالخيالة مشاة. وترى مقاتلا يدير مدفعاً رشاشاً ويكرج على ركبتيه عبر المسرح. وتصيب نار النازيين احد المقاومين فيؤدي رقصة موت مذهلة. وندرك فجأة مدى انغماس مشاعرنا كمشاهدين ونطلق زفرة ارتياح عندما تنتهي المعركة. ولا عجب انه عندما ابعدت رقصة "الموالين" اخيراً عن البرنامج السياحي، خاب امل الكثيرين من انصار موسييف.

وخز غامض ـ ايغور الكسندروفيتش موسييف كان ولا يزال العقل المفكر في هذه الفرقة التي تعد اشهر المجموعات الراقصة في العالم. فولعه العارم بالتراث الشعبي الروسي ينبع من طفولته. كان والده محامياً شغوفاً بالفنون الشعبية. وفي العام ١٩١٣، وكان ايغور في السابعة من عمره، اصطحبه والده في سلسلة رحلات

(★) ادت الفرقة عروضاً في بلدان اوروبا جميعها باستثناء البرتغال، وفي معظم بلدان امريكا الجنوبية، وفي كندا والولايات المتحدة والهند واليابان والصين والفيليبين، اضافة الى افريقيا الشمالية واوستراليا ونيوزيلندة.

شملت مختلف انحاء روسيا. وكانا احياناً يمكثان بين الفلاحين الذين كانت لغاتهم او لهجاتهم غريبة وغير مألوفة، لكن موسيقاهم المحلية وازياءهم ورقصاتهم كانت تصويرية تنبض بالحياة.

وما ان بلغ موسييف الرابعة عشرة حتى ألحقه والداه بمدرسة للرقص. وبعد ستة اشهر قدمه استاذه الى "المدرسة البلشفية للمسرح والرقص" حيث اخضع لتجربة الاداء. ومن بين مئة مرشح تلك السنة فاقوه جميعاً تجربة وتمريناً، كان موسييف واحداً من اثنين وقع عليهما الاختيار. وما ان بلغ الثامنة عشرة حتى كان من الراقصين الرئيسيين في المدرسة. وفي الرابعة والعشرين اتجه الى تصميم الرقص.

والى رقصات الباليه التي صممها وأداها للفرقة البلشفية، بدأ موسييف يقتطف المواضيع الشعبية الحية والتي ما فتئت تداعب مخيلته، ويقولبها لتلائم العمل المسرحي. ولكي يلتقط روح بلاده وتشعباتها المتعددة الجنسية، عاد الى المادة الخام الكامنة في الرقصات الشعبية. ومن غير ان يضيع جذورها العريقة، طور قصصها وحدد لكل قصة بداية ووسطاً ونهاية. وبذلك صنع من التراث الشعبي عرضاً مسرحياً مسلياً وابدع شكلا فنياً جديداً.

ولكن عندما اقترح موسييف إلحاق فرقة للرقص الشعبي بالمدرسة البلشفية رفض طلبه. وفي العام ١٩٣٦، بعدما نظم مهرجاناً للرقص الشعبي بلغ من النجاح غايته، استغل الفرصة فكتب الى رئيس مجلس مفوضي الشعب مقترحاً تأسيس فرقة للرقص الشعبي الوطني. فاعيدت اليه رسالته وقد اضيفت اليها كلمة وحيدة على الهامش: "مقبول."

وترك موسييف المدرسة البلشفية عام ١٩٣٧ لينشىء فرقته الخاصة. وهناك من يقول ان انتصاره الاول تجسد في تخطيه الاسم الذي منحه اصحاب السلطة لفرقته: "مجموعة الدولة الاكاديمية للرقص الشعبي في الاتحاد السوفييتي." ومهما يكن فان الفرقة لاقت نجاحاً سريعاً وصاخباً. فاينما أدت عروضها كان المشاهدون يشعرون بوخز غامض في صدورهم يوحي اليهم بان العمل ليس غريباً عنهم، ويتفاعلون مع الرقصات التي تضفي على حياتهم الخاصة طابعاً شاعرياً. فلا حاجة الى مقدمين يبرزون معاني القطعة ولا داعي الى تفسيرات.

الحب الشاب - في العام ١٩٥٨ كانت جماعة موسييف هي الفرقة السوفييتية الاولى التي تظهر في الولايات المتحدة ضمن برنامج التبادل الحضاري بين البلدين. وكان نجاحها خيالياً في كل مدينة حلت بها. واليوم لا يزال موسييف (٧٧ سنة) يدير اعمال الفرقة كلها ويشرف بحزم على التمارين وتصميم الازياء.

واذكر اني في يوم شتائي قارس جلست قرب "المعلم" في استوديو للتمارين في قاعة تشايكوفسكي في موسكو. وكانت الفرقة بكاملها تقريباً - نحو ١٠٠ راقص وراقصة - تؤدي

مشهداً جديداً هو "التزحلق على الجليد" على موسيقى آلتي اكورديون٠

اما موسييف فكان لبقاً ولطيفاً وهو يتحدث الي من دون ان يرفع طرفه عن الراقصين٠ وينبه احدهم: "انت تسبق الموسيقى،" ثم يقول لي: "الرقصة ايمائية في الدرجة الاولى٠ ولهذا فان سرد القصة من خلال الرقص يفرض ان تكون الشخصيات مقنعة٠" وينادي راقصاً آخر: "تذكر انك على زلاجتين٠ إنزلق! كن بارعاً٠"

ولا اتمالك ان اقول: "تبدو الحركات غاية في الجمال٠"

فيبتسم المعلم: "هذا لا يكفي٠ يجب ان تنقل شعوراً معيناً وتكشف عن شخصية٠ ذاك ما يحدد معالم القصة٠" وينادي احد الراقصين: "هيا! انك شاب عاشق!"

وتدريجاً يبدد الوهم الحقيقة وابدأ فهم ما يجري٠ فالتقنيةوالتفصيل والدقائق جميعها تصبح هي الشخصية٠ وتتلاشى قاعة التمارين في زاوية بعيدة من ذهني وتتراءى لي فرقة مبتهجة فوق بركة جليد تحتفل بالحب الشاب في اعمال فنية مثيرة وفي امس مجهول خال من التعقيدات٠ واصفق عفوياً٠ وحتى موسييف يبدو راضياً عن العمل٠

وتكافأ الفرقة على عملها الشاق كما تستحق٠ فبفضل شهرتها العالمية يختلط راقصوها بالفنانين الاجانب من دون تقييد٠ وباستثناء الفرقة البلشفية الشهيرة، لا تملك فرقة اخرى امتيازات ونفوذاً اكبر٠ وتتحمل الدولة تكاليف التمارين وتدفع رواتب الراقصين التي يصل بعضها الى ٥٠٠ روبل في الشهر اي ما يعادل ٧٠٠ دولار٠ وندرك قيمة هذا المبلغ متى علمنا ان الطبيب السوفييتي نادراً ما يجني اكثر من ١٨٥ روبلا (٢٦٠ دولاراً)٠ كذلك فالدولة تؤمن السكن للراقصين٠ ولأولئك الذين بلغوا مرحلة التقاعد تخصص لهم معاشاً يبلغ نصف الراتب بعد عشرين سنة من العمل٠

لكن هبات الحكومة تبقى بالنسبة الى الراقصين دون اهمية العمل مع موسييف الاسطوري٠ ويقول احد الراقصين المنفردين: "احياناً تجده غاية في القسوة٠ ولكن عندما يريك كيف تؤدي خطوة ما، ينتابك شعور انه ما زال قادراً على اعتلاء المسرح وتأدية الرقصة كلها افضل منك٠"

وفرقة موسييف هي من اكثر فرق الرقص بذلا واجتهاداً٠ ذلك ان ارادة حارسها الحازمة والمتطلبة تحمل معادلة واقعية للنجاح: تطوير افضل الراقصين بتدريبهم وفق مقاييس دقيقة وصارمة٠ يقول موسييف: "إن الطريق امام راقصينا صعب للغاية٠ اذ عليهم ان يصبحوا بهلوانات وممثلين ويتعلموا كيف يبارزون ويقلدون ويعزفون آلة موسيقية٠ هذا كله في اثناء رقصهم ببراعة فنية فائقة خالية من الاخطاء٠"

قوة الانتماء ـ يبدأ تدريب راقصي موسييف في السن الثالثة عشرة في مدرسة الفرقة الخاصة٠ وهناك نحو ٦٠٠ طلب تقدم لشغل ٤٠ مكاناً تخلو كل اربع سنوات٠ ويكون الطموحون

امضوا سنوات في دراسة الباليه الكلاسيكي. وتدخل النخبة التي اختيرت عالماً آخر. فعلى رغم متابعتها دراسة عادية في المدارس، فانها تمضي اربع ساعات يومياً في قاعة تشايكوفسكي.

وفي اثناء تدريبهم على الباليه، يلتحق الراقصون بصفوف الرياضة البدنية والمسرح والرقص الشعبي ويبدأون الالمام بالآلات الموسيقية الشعبية. اما هدفهم فواحد: ان يُدعوا الى الالتحاق بفرقة موسييف. ولكن ماذا لو لم يحدث ذلك؟ يقول راقص مفتول العضل بمكر: "يمكنهم دائماً الالتحاق بالمدرسة البلشفية."

ويبدو ان طبيعة الرقص الجماعي تبقي الراقصين مجهولين عملياً. وعلى رغم ان المجموعة تضم ثمانين راقصاً منفرداً، وهو عدد يفوق ما تضمه الفرقة البلشفية، فلا وجود لنجوم بينهم. ومع هذا فان القليل منهم يرغب في ترك موقعه حتى في مقابل نعم التقاعد الكثيرة. ويراوح عمر الراقصين حالياً بين ١٧ سنة و٣٨ سنة. وهم يستمرون في الرقص ما دام موسييف يسمح لهم بذلك. واذا امكن، فانهم يمكثون في الفرقة كمدربين او اداريين او للقيام باي عمل آخر. ويذكر ان واحداً اضطر الى ترك الرقص بعد ٢١ سنة، فاصبح اسكافي الفرقة يعمل على ٣٠٠٠ زوج من الاحذية تناسب ازياء الفرقة التي تضم ٥٠٠٠ قطعة.

واليوم نلحظ وجود فرق ناشطة للرقص الشعبي في العالم. لكننا نذكر ان موسييف بدأ وحيداً ومبتكراً في اصالته المطلقة. وكانت فرقته الاولى من نوعها، وتبقى الاكبر والافضل اذ ان مثالها الهم الآخرين وحثهم. ولم يملك احد قط مثل موسييف التأثير كموجه واستاذ وملهم للراقصين الشعبيين من كولومبيا الى كندا ومن مصر الى اليابان. وقد كتب احد النقاد في صحيفة "الموند" الفرنسية: "قبل موسييف التحدي بالا يخيب آمال مشاهديه، ونجح في ذلك. فعروضه حققت شهرة عالمية، وهي تستحق مركز الصدارة الذي احتلته."

اما اليوم فهم موسييف الاكبر هو الحفاظ على شهرته. قال لي: "على الفنان ان يبقى متيقظاً."

تلك الليلة جلست في قاعة تشايكوفسكي ارقب الفرقة وهي تؤدي رقصتين من اكثر اعمالها شعبية. الاولى هي "لعبة كرة القدم" وهي محاكاة تهكمية للرياضة المفضلة في الاتحاد السوفييتي، حيث يختم الراقصون المشهد بكتلة متشابكة من الايدي والارجل. والثانية هي "يوم على متن سفينة" حيث تترابط الايدي في صف مزدوج وتتحرك في جميع الاتجاهات للايحاء بالمكابس وربط الحبال ورفع الاشرعة وانزالها. اي سفينة حربية اخرى اهاجت بحراً من الابتسامات السعيدة والتصفيق العفوي؟

وفي ما بعد، حين تذكرت الحاح موسييف على وجوب بقاء الفنان يقظاً، تمنيت لو اقصده الى الكواليس لاطمئنه الى ان راقصيه هم في مستوى طموح معلمهم.

■ لورنس اليوت

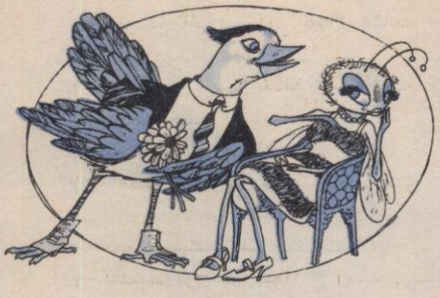

دائرة المعارف

دائرة هذا العدد تضم امثالا عربية. وقد وضع امام كل مثل اربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١٠ بالارض ولدتك امك: يضرب للفقير الذليل ـ للمسافر ـ للمختال ـ للفلاح.

٢٠ المرء بأصغريه: اي بعينيه ـ باسمه وفعله ـ باعماله الصغيرة ـ بقلبه ولسانه.

٣٠ اخذه برمّته: اخذه بجملته ـ عاتبه ـ عانقه ـ لم يدقق فيه.

٤٠ دَعِ العوراء تَخْطأك: اركب الخطر ـ جانب الفعلة الشنعاء ـ اسرع ـ ابق بعيداً.

٥٠ ما تبلّ احدى يديه الاخرى: يضرب للبدين ـ للسارق ـ للبخيل ـ للعاجز.

٦٠ يطيّن عين الشمس: يدّعي ـ يستر الحق الجلي ـ يحلم ـ يتواقح.

٧٠ جاء ناشراً اذنيه: اي غاضباً ـ خائباً ـ منهكاً ـ طامعاً.

٨٠ سحابة صيف عن قليل تَقَشَّعُ: يضرب لما يقلّ مكثه ـ للظلم ـ للغنى ـ للضعف.

٩٠ الخَلّة تدعو الى السلّة: الظالم سيُظلم ـ النجاح بالاجتهاد ـ الحاجة تدعو الى السرقة ـ الحسد قاتل.

١٠٠ لو بلغ الرزق فاهُ لولاّه قفاه ـ يضرب للجاحد ـ للمُتْخَم ـ للأبي ـ للمحروم.

١١٠ حلّقت بهم عنقاء مُغْرب: ناموا ـ هلكوا ـ اصابوا ثروة ـ ابتهجوا.

١٢٠ اتتك بخائن رجلاه: يضرب في الجهل ـ في الشر الذي يعود على فاعله ـ في التوبة ـ في الاستغلال.

١٣٠ حيثما سقط لقط: يضرب للخائب ـ للمحتال ـ للقصير القامة ـ للمشرّد.

١٤٠ حيّاك من خلا فوه: اهلا بك ـ فلْتَمُت ـ نحن في شغل عنك ـ يقال لفاعل الخير.

١٥٠ كأن على رؤوسهم الطير: يضرب في الرزانة ـ في الجنون ـ في الابتهاج ـ في السرعة.

١٦٠ هرّق على جمرك ـ هدّىء غضبك ـ انسَ ـ تواضع ـ غطّ عيوبك.

١٧٠ ذهب الحمار بقرنين فعاد مصلوم الاذنين: يضرب للغبي ـ للماكر ـ للمُصْلح ـ للطماع.

١٨٠ لا يُشَق غباره: يضرب للكريم النفس ـ للسابق ـ للغامض ـ للقديم.

١٩٠ به داء ظبي: معجب بنفسه ـ مائت ـ لا داء به ـ متهور.

٢٠٠ رأى الكوكب ظهراً: اظلمت عليه الدنيا ـ تاه ـ تأخر عن الركب ـ ارتعب.

الأجوبة الصحيحة

١٠ بالارض ولدتك امك: يضرب عند الزجر عن الخيلاء والحث على الاقتصاد.

٢٠ المرء بأصغريه: الاصغران هما القلب واللسان لصغر حجمهما. قيل ايضاً: مقتل الرجل بين فكّيه.

٣٠ اخذه برُمّته: اي بجملته. والرمّة هي قطعة حبل بالية. وأصل المثل ان رجلا باع آخر بعيراً بحبل في عنقه.

٤٠ دع العوراء تخطأك: العوراء اي الخصلة القبيحة، تخطأك اي تجاوزك. قيل: هذا احكم مثل ضربته العرب.

٥٠ ما تبل احدى يديه الاخرى: يضرب للبخيل.

٦٠ يطين عين الشمس: يضرب لمن يستر الحق الجلي.

٧٠ جاء ناشراً اذنيه: اي طامعاً. جاء نافشاً عفْرِيَتَه اي غاضباً، والعفرية عرف الديك.

٨٠ سحابة صيف عن قليل تَقَشَّعُ: يضرب لما يقل مكثه.

٩٠ الخلّة تدعو الى السلّة: اي الحاجة تدعو الى السرقة.

١٠٠ لو بلغ الرزق فاهُ لولاّه قفاه: يضرب للمحروم.

١١٠ حلّقت بهم عنقاء مُغْرِب: يضرب لقوم هلكوا. وعنقاء مغرب طائر خرافي.

١٢٠ اتتك بخائن رجلاه: يضرب في الشر الذي يعود على فاعله.

١٣٠ حيثما سقط لقط: يضرب للمحتال.

١٤٠ حيّاك من خلا فوه: اي نحن في شغل عنك. حيّاه: قال له حيّاك الله اي اطال عمرك.

١٥٠ كأن على رؤوسهم الطير: يضرب في الرزانة والحلم، فكأن على الرؤوس طيراً يخاف اصحابها طيرانه فهم سكون.

١٦٠ هرّق على جمرك: اي صب ماء على غضبك. قيل: اول الغضب فوران القوة الغضبية وآخره الشوق الى الانتقام.

١٧٠ ذهب الحمار بقرنين فعاد مصلوم الاذنين: يضرب لمن يطمع في ما لغيره فيخسر ما كان له.

١٨٠ لا يُشَق غباره: يضرب للسابق السريع.

١٩٠ به داء ظبي: اي لا داء به. فقد زعم العرب ان الظبي لا يمرض.

٢٠٠ رأى الكوكب ظهراً: اي اظلم عليه يومه فأبصر النجم نهاراً.

المستوى

١٧ ــ ٢٠: ممتاز.

١٣ ــ ١٦: جيد.

٩ ــ ١٢: مقبول.

ذهبٌ وفضّةٌ تحتَ الماءِ

يوم الاحد الواقع فيه الرابع من سبتمبر (أيلول) ١٦٢٢، أبحرت قافلة سفن من هافانا في كوبا. وكانت الأعاصير على أشدها ذلك الوقت، وركوب المحيط الأطلسي ينطوي على أخطار جمّة. غير ان حمولة القافلة من ذهب وفضة ومحاصيل زراعية من العالم الجديد كانت تلبي حاجة ملحة في الوطن الأم اسبانيا. لذلك صمم الربان على المجازفة.

وكان في عداد سفن القافلة الثماني والعشرين سفينة شراعية ضخمة تزن ٦٣٠ طناً وتُدعى "سانتا مارغريتا." وتبين من سجلاتها أنها

Condensed from National Geographic (February '82).
(c) 1982 by National Geographic Society, Washington, D.C.

تحمل ٤١٩ سبيكة من الفضة و١١٨ ألف قطعة نقد فضية و٤٢ كيلوغراماً من الذهب في شكل قضبان واسطوانات بلغ عددها ٣٤ قطعة، فضلا عن الأواني الفضيـة والنحاسيـة والتبـغ وصبغ النيلة الأزرق. كما كان ركاب السفينـة، وعددهـم ١٤، يـحملـون مقتنياتهم الخاصة من سلاسل الذهب وخواتـم الزمـرد ودبابيـس الزينـة والرصائع، اضافة الى كميات كبيرة مهرَّبة من الفضة والذهب. والواقع ان "سانتا مارغريتا" لدى ابحارها من هافانا غدت كنزاً عائماً فوق صفحة الماء.

وانطلقـت القافلـة تحـت شمـس صافية. لكن اعصاراً عاتياً كان يترصد لها في مضايق فلوريدا، حتى اذا حلَّ فجر الاثنين هبت على السفن اعاصير شديدة. ومع النهار ازدادت الريح عتواً وتاهت سفن القافلة بعضها عن بـعـض وسط الأمـواج المـتـكسـرة والضباب الزاحف. وهكذا غدت السفن الشراعية المحملة بالكنوز تحت رحمة الأنواء التي ضربتها على الصخور الساحلية عند جُزر فلوريدا الجنوبية (★). وما فتىء ركابها يصلُّون طوال الليل لنجاتهم.

وطلع الصباح على مشهد مروِّع. ذلك ان الأمواج العملاقة كانت ترغي وتزبد فوق صخور الشاطىء وتتكسر على السفن المتباعدة. ونظر قبطان "سانتـا مارغريتـا" حـولـه، فـرأى السفينة الشقيقة "نويسترا سينيورا دي آتوكا" تصارع الأمواج قبل ان تغرق. وما هو الا قليل حتى تهافتت "سانتا مارغريتا" أيضاً عند الصخور. وغرقت السفن واحدة بعد الاخرى. ولما انحسرت المياه، تبين ان عدد الناجين ٦٨ شخصاً كانوا متشبثين بالحطام. وفي اليوم نفسه أُنقذ معظمهم وحُملوا علـى مركـب مـن جزيرة جمايكا في البحر الكاريبي. أما الضحايا فبلغ عددها ١٤٠ شخصاً.

والسفن الثماني التي تحطمت كان يفصلها ثمانون كيلومتراً بعضها عن بعض. وغرقت "مارغريتا" و"آتوكا" الاولى على بعد عشرة كيلومترات والاخرى على بعد ١٦ كيلومتراً من احدى جزر فلوريدا التي يكسوها شجر المنغروف الاستوائي.

كنوز تحت المياه ـ بدأت الجهود لانتشال الكنوز فور غرق السفن، لكن نصيبها كان الاخفاق. ثم كان أن حصل سياسي كوبي قدير، اسمه فرنسيسكو نونييز ميليان، على إذن من التـاج الاسبانـي للتفتيـش عـن الحطام. وفي يونيو (حزيران) ١٦٢٦ باشر فريقه العمل باستخدام جرس برونزي للغوص. وبعد العثور على الجزء الرئيسي من "سانتا مارغريتا" رفعت منه ١٩٩ سبيكة فضية ونحو ٣٠ ألف قطعة نقد من الفضة.

وانكفأ فريق ميليان فترة لتجنُّب الصدام مـع السفـن الهولنديـة فـي المنطقة. وبعد استئناف العمل رفعت ١٥١ سبيكة فضية وقطع نقد اخرى ومرساة ضخمة وثمانية مدافع برونزية وأوان نحاسية وفضية. وفي العام ١٦٢٨ عُثر على سبائك فضية اخرى

(★) Florida Keys

وما يزيد على ٣٠٠٠ قطعة نقد فضية. وبعد رفع هذا كله بقي الكثير تحت الماء.

وقبل ان يبدأ موسم ١٦٢٩ عُين ميليان حاكماً على فنزويلا ونُقل الى كراكاس، تاركاً العمل على حطام "سانتا مارغريتا" والبحث عن حطام "آتوكا" في أيد أقل مهارة. وأُرسل تقرير عن أعمال التنقيب الخاصة بالسفينة "سانتا مارغريتا" الى الدوائر المختصة في اسبانيا، لكنه أحيل على الملفات الخاصة بجُزُر الهند الغربية. واستمر تقهقر اسبانيا مع الأيام، وغدت السفن وكنوزها تحت مياه جزر فلوريدا طيّ النسيان.

وفي العام ١٩٧١ تناهت الى صياد الكنوز ميلفن فيشر أخبار رشحت من الملفات الاسبانية، تفيد عن انتشال مرساة السفينة "آتوكا" وبعض حمولتها، باستثناء كنزها الرئيسي. وأجرت شركة فيشر تحريات عن "سانتا مارغريتا" التي تسميها حكايات فلوريدا الشعبية "السفينة – الشبح،" فوقعت على معلومات متناقضة بالنسبة الى موقعها. فبعض السجلات يضع تلك السفينة على بعد خمسة كيلومترات ونصف كيلومتر غرب "آتوكا" والبعض الآخر يجعل مكانها شرقاً.

تحف ذهبية – في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ دعا فيشر الى اجتماع في جزيرة كي وست لوضع خطة انقاذ معجّلة بعدما ظهر منافس يقوم بعمليات التنقيب على مقربة من حطام السفينة "آتوكا" حيث كانت تجرى عمليات فيشر. وكان من نتائج الاجتماع ابرام اتفاق بين فيشر وصياد كنوز آخر هو روبرت جوردان للقيام بعمليات مشتركة.

ومن حسن الحظ ان فصل الشتاء، وهو قاس عادة في جزر فلوريدا، كان معتدلا عام ١٩٨٠. وبعد بضعة أيام من العمل العقيم، غرب حطام "آتوكا،" بمساعدة مقياس مغناطيسي، انتقل جوردان بقاربه "كاستيليان" الى النقطة الشرقية التي تبعد نحو عشرة كيلومترات عن جزر ماركيزاس غير الآهلة وخمسين كيلومتراً غرب جزيرة كي وست. وعند قرارة رملية ضخمة هناك، بدأ المقياس المغناطيسي يسجل ذبذبات على اللوحة البيانية، مما يعني وجود معادن. ووجه جوردان غواصيه الى المكان، فعادوا بمرساة صغيرة ثم بخابية نحاسية يبلغ عرضُها مترين.

بعد ذلك اتجهت السفينة "كاستيليان" شمالا بناء على مؤشر الكتروني. وكانت دهشة الغواصين كبيرة عندما وجدوا المكان مليئاً بحجار الاثقال التي تحافظ على توازن السفن. وهناك عثروا على فخاريات اسبانية وبقايا من صبغة النيلة وحفنة من النقود الفضية.

وفي مكان قريب عثر بحارة "كاستيليان" على ثلاثة قضبان ذهبية ثقيلة. وكان أحدها يتجاوز الكيلوغرامين وزناً ويبلغ طوله ٢٨ سنتيمتراً. ولما عادوا الى السفينة بتلك الكنوز احتفلوا بذلك الاكتشاف وراحوا يتساءلون عن هوية السفينة وعما اذا كانت "سانتا مارغريتا".

وفي ١٢ ابريل (نيسان) عثر على قضيبين آخرين من الذهب. وضاعفت سفينتا فيشر، وهما "فيرغالونا" و"سوردفيش،" نشاطهما بعد العثور على كسر خزفية وعظام. وفي التاسع من مايو (أيار) عثر غواصو "كاستيليان" على قطع ثمينة متنوعة، بينها أوعية فخارية ومئات القطع الفضية وجرس فضي يوزن أربعة كيلوغرامات وصحون فضية وسيف واسطرلاب بحري مجزأ، وهو آلة فلكية لقياس ارتفاع الشمس والنجوم.

السبيكة ٤٧١٨ - اكتسبت سفينة "فيرغالونا" سمعة بين صحب فيشر على أنها كاشفة الكنوز. وبعد أيام من العثور على الكنوز المذكورة، توجه كين ابن فيشر الى نقطة العمل. وهناك حمل عدة الغوص ونزل الى الاعماق، حيث فاجأته ست قطع فضية منسَّقة في صفين. وشاهد أيضاً جزءاً كبيراً من سفينة خشبية، يبلغ طوله سبعة أمتار وتتخلله الدعائم والألواح المحملة بحجار التوازن وبعض القوالب النحاسية والتحف.

ونقب الغواصون في تلك المنطقة بدقة، وعادوا بقضيب ذهبي وسبيكتين فضيتين كبيرتين وواحدة صغيرة وأوعية فضية ومحبرة واناء لمزج الرمل وشمعدان وصحفة. وبذلوا جهداً كبيراً لرفع نقود فضية توزن ٤٨ كيلوغراماً وقد ضَرب العَفَن الصندوق الخشبي الذي وُضعت فيه.

ولدى مقارنة الكتابة على القطع الفضية بالوصف الذي حملته سجلات السفينة "مارغريتا" جاءت خمس قطع مطابقة تماماً. فالسبيكة ٤٧١٨، على سبيل المثال، ادخلت السفينة في ميناء بورتو بيلو في امريكا الوسطى على أن توصل الى جمعية خيرية في اشبيلية. وقد أرسلها التاجر غاسبار دو روجاس. وفي وسط السبيكة طُبع ختم روجاس. وتلك علامة أكيدة على أن الحطام الخشبي في تلك المياه ما هو الا بقايا "سانتا مارغريتا."

وفي ٢٥ مايو (أيار) ١٩٨٠ عثر غواصو "كاستيليان" وسط الحطام على أهم مكتشفاتهم طراً، وهو ١١ قضيباً ذهبياً كبيراً وأربعة قضبان أصغر وجزء من اسطوانة ذهبية كبيرة و٢٣ كيلوغراماً من الذهب المسبوك. كما وجدوا خمس قطع نقدية ذهبية وست سبائك فضية صغيرة وقالبين من النحاس الكوبي و٥٨١ قطعة نقد فضية.

ويمكن تسمية الثامن من يوليو (تموز) "يوم السلاسل الذهبية." ففيما كان الغواص بات كلاين يمرر يديه بالقرب من قالب فضي، عثر على سلسلة ذهبية طويلة، ثم على سلسلة ثانية فثالثة، الى ان أصبحت السلاسل التي وجدها معلقة بعضها ببعض خمس عشرة سلسلة، تحوي أكبرها ١٤٩ عقدة. وما لبث غواصو "فيرغالونا" الراسية قريباً من ذلك المكان ان عثروا على اسطوانة وستة قضبان ذهبية.

وبالنسبة الى عالم الآثار البحرية دنكان ماتيوسون، كان أهم الموجودات بقايا السفينة نفسها. فهي من أقدم السفن الاسبانية

وأكبرها التي تم العثور عليها في نصف الكرة الغربي. وحصل ماتيوسون على اذن فيشر بارجاء رفع حطام السفينة الى أن تُستكمل دراسة الموقع برمّته.

وفي أواخر خريف ١٩٨١ بات مؤكداً أن الكنوز التي عُثر عليها في حطام "سانتا مارغريتا" كانت ضخمة. وقد بلغ وزن القطع الذهبية وحدها التي وُجدت على طول ١٢٢٠ متراً - وهي ٥٦ قضيباً واسطوانة وقطعة صغيرة - نحو ٥٣ كيلوغراماً. كما عثر فيشر وبحارته على سلاسل ذهبية يبلغ طولها ٥٥ متراً وعلى نقود ذهبية يصل عددها الى ٥٦ قطعة. وهذا أكبر مقدار من الذهب يُعثر عليه في العصر الحديث بين حطام سفينة شراعية اسبانية.

والى الكنوز الذهبية المذكورة، عثر الغواصون على ١٥ ألف قطعة نقد فضية و١٨ سبيكة من الفضة.

وتقدّر قيمة هذه الموجودات بعشرين مليون دولار، بعد ازالة العقبات القانونية لبيعها وتداولها. غير ان الكنز الحقيقي هو حطام "سانتا مارغريتا" الذي أضاف فصلا جديداً الى تاريخ الحضارة البشرية.

■ **يوجين ليون**

قديما قال حكيم اغريقى : "ان ابواب العظمة تحيطها بحار من العرق".

ر.د.س.

متعة الفوضى

اولئك الذين يحافظون على ترتيب طاولاتهم يُحْرمون المتعة التي يختبرها من يجد شيئاً ظنه فُقِد الى الأبَد.

س. هـ.

فلسفة المال

قال الاقتصادي المرموق جون كينيث غالبريث في كتابه "المال، من أين والى أين":

"المال شيء فريد في ذاته. انه كالحب من حيث كونه أكبر مصدر للفرح، وكالموت من حيث كونه أكبر مصدر للقلق. ويختلف المال عن السيارة والعشيقة وداء السرطان، أذ يتجاوز فعله وأهميته اولئك الذين يمتلكونه الى الذين لا يمتلكونه. وهو قمع الشعوب عبر التاريخ بأحدى طريقتين: فكان إما كثير الانتشار وضئيل القيمة وإما قليل الانتشار وكبير القيمة. لكن نقيصة اخرى طرأت على المال اليوم، أذ أضحى، بالنسبة الى كثيرين، ضئيلا وضعيف القيمة في الوقت نفسه."

منشورات "هوتون ميفلين"

مزرعة في الدلتا،
نعيمة محمود، ١٩٧٥
(١٦٨ سنتم × ٢٨٥ سنتم)

قرويون فتيان من مصر ينظرون الى العالم حولهم ويبدعون بالصوف والصباغ تحفاً تعكس جمال الحياة

حرانيّة: قرويّون يَغزلون التراث

قرية حرانية هي احدى ضواحي القاهرة. وعند ظهر كل يوم يهرول نحو ٤٠ فتى وفتاة تراوح اعمارهم بين ثماني سنوات و١٧ سنة، فيعبرون المدخل المؤدي الى منطقة مسورة مساحتها سبعة هكتارات تقع داخلها مشاغل مشيدة في شكل قباب. يجلس الواحد من هؤلاء على مقعد خشبي او يقتعد الارض امام نول، ثم يمدُّ يده الى كومة متشابكة من الصوف ويتفحص نوله لحظة ثم يباشر الحياكة. وخلال دقائق يغدو مشغولا بنوله عن كل ما حوله.

Photos: David B. Williams

حيوانات مائية افريقية، كريمة علي، ١٩٧١ (٥٣×١٠٠)

النسيج الذي يخرج من هذه الانوال يدهش حتى اشهر الخبراء. ان هؤلاء الحاكة يأتون من محيط قروي، ومع ذلك فاناملهم البارعة تبدع رسوماً فنية أصيلة يمثل معظمها مناظر من حياتهم القروية، فيتخاطفها الهواة المتلهفون حالما تصل الى السوق ويدفعون ثمناً للواحدة منها احياناً ١٥ الف دولار. كما ان بعض المتاحف الكبرى، وبينها معهد الفن في شيكاغو (الولايات المتحدة) ومتحف ستيدلييك في امستردام (هولندا) ومؤسسة كولتورن في لوند (اسوج) اشترت عدداً من مطرزات حرانية لمجموعاتها. كذلك فان بعض المعارض الفنية في زوريخ (سويسرا) واوسلو (اسوج) وباريس (فرنسا) ولندن (انكلترا) وميلانو (ايطاليا) وسواها عرضت عدداً من هذه القطع الفنية الموشاة.

ان النجاح غير المنتظر لمطرزات حرانية حقق حلماً راود خاطر رجل واحد هو المهندس المعماري المصري رمسيس ويسا واصف. فحين كان رمسيس يدرس في معهد الفنون الجميلة في القاهرة، ادرك انه لم يبقَ في مصر اي احتراف فني أصيل على رغم التراث الفني الغني لبلاده. وبدا له ان الصناعة واساليب التعليم والثقافة الغربية اخمدت جذوة التعبير لدى اطفال الفلاحين في مصر. وصمم رمسيس على ايقاد هذه الشعلة من جديد انطلاقاً من اقتناعه بأن كل انسانٍ يولد فناناً، لكن مواهبه تزهر اذا نمِّيت في الصغر.

واخيراً أتيح لرمسيس ان يختبر نظريته عام ١٩٤١ حين أنشأ مدرسته الخاصة في قصر الشام في القاهرة القديمة. وهو وضع في المدرسة ستة انوال ليعمل عليها تلاميذه بعد انتهاء الدروس. واشترى بعض الصوف المصري والاصباغ الطبيعية ودعا احد الحاكة المحليين الى تلقين التلاميذ مبادىء الصباغ والحياكة. وهو اختار الحياكة في تجربته لانها وحدة الروح والجسد والدمج المتوازن بين العمل اليدوي والابداع الفني.

زهر جديد – طوال العقد التالي كان فريق صغير من الاولاد تراوح اعمارهم بين ١٠ سنين و١٢ سنة يحضر في اوقات غير منتظمة للعمل على الانوال. والتقدم الذي حققه هؤلاء أقنع رمسيس بضرورة توسيع التجربة. فذهب مع زوجته صوفي، وهي مدرسة فنون، يجوبان الريف بحثاً عن موقع مناسب.

كان رمسيس يسعى للعثور على اولاد لم تفسدهم حياة المدينة. وفي العام ١٩٥٢ استقر في حرانية، وهي قرية معزولة تضم الف نسمة. واشترى قطعة ارض راح يقصدها بسيارته كل يوم جمعة. كان هو وزوجته يلاعبان الاولاد بالكرة ويعلمانهم كيف يغزلون الصوف ويحوكونه وينظمون الخرز الملون في اسلاك. وفي الوقت نفسه شيدا مشغلا صغيراً جهزاه بنولين ودَعَوا الاولاد للحياكة عليهما. وكان رمسيس يستقبل جميع القادمين، ومعظمهم فتيات في العاشرة من العمر. ويقول: "لم يكن امامي مجال للاختيار، فكنت

اقبلهم حالما اجدهم." وكان له عليهم شرط واحد وهو الحضور بانتظام.

بعد ذلك طوّع رمسيس احد تلاميذه القدامى في القاهرة لكي يلقن الصغار مبادىء الحياكة، ثم اعطاهم بعض الصوف. وبطريقته اللطيفة الهادئة كان يوجه كل ولد ويشجعه عند الضرورة. وليتأكد من ان افكارهم تنبع من ذواتهم، كان يجلس بجانبهم ويحثهم برقة قائلا: "والآن، أرو لي قصة بنولك."

عندما يكَرر احد الاولاد صورة ما مرة بعد مرة، يقترح عليه رمسيس ان يستخدم اشكالا وألواناً اخرى. واذا لاحظ انهم بدأوا ينسخون بعضهم عن بعض، كان يأخذهم الى الحقول او الى حديقة الحيوانات في القاهرة او ضفاف النيل او حتى الى عرض الصحراء ليحرك مخيلاتهم. وحين تنضب ينابيع الابداع في نفوسهم، كانت كلمة واحدة معبرة عن شخصية رمسيس الفذة كافية لجعل الافكار تزهر من جديد في مخيلات الصغار.

فخر وكبرياء – التحف التي اخرجتها هذه الانوال البدائية ادهشت حتى رمسيس. وهو كتب مرة: "انها كانت رمزاً للغة جديدة متكاملة. هؤلاء الاولاد كانوا يروون قصة حياتهم في الريف – الحيوانات والناس والاعياد – بدقة عجيبة والوان مدهشة."

واهم من ذلك كله بالنسبة الى رمسيس كان الشعور بالفخر والكبرياء الذي نشأ بين الحاكة الفتيان. فمنذ البداية اصر على دفع اجر لهم. فكان يعطيهم بضعة قروش على اساس حجم انتاجهم ونوعيته، ثم يزيد المبلغ كلما تحسن العمل. وكان يقول: "ذلك جعل الصغار يدركون انهم امام تدريب جدي. كما انه رسخ في نفوسهم ان عملهم هو ذو قيمة حقيقية."

شاع الخبر وتدفق الاولاد بتشجيع من آبائهم. وبدأوا يتزاحمون للحصول على مقعد في المشغل. بين هؤلاء كان علي سليم وعمره ٨ سنوات. كان تواقاً للانضمام الى اخته في المشغل، غير انه رد لعدم وجود مكان له. ولم يثبط هذا الرفض من عزيمته، فأخذ يحوم حول الحاكة ويلتقط اطراف خيوط الصوف التي يقطعونها عن النول ويرمونها. وفي بيته عكف على ربط الالوان واستنبط نولا صنعه من قطع خشبية وبعض الاسلاك وحاك هذه الخيوط شكلا سوياً. وعندما حمل القطعة التي زركشها الى المشغل، حرك تصميمه مشاعر رمسيس فقبله في العمل. واليوم أصبح علي شاباً وسيماً عمره ٣٧ سنة ويكسب رزقه الوافي من الحياكة.

في البداية كان رمسيس يمول مشروعه من مدخراته ولا يبيع قطعة واحدة. لكنه مع ارتفاع التكاليف رضخ لالحاح العائلة والاصدقاء لعرض بعض تلك القطع في القاهرة، وكان من قبل يحتفظ بها في بيته. وهكذا في العام ١٩٥٤ نظم المعرض الاول لمطرزات ويسا واصف في قلب القاهرة – في مقر جمعية الصداقة الفرنسية – وبيع منها نحو ٥٠ قطعة. كما لاقى معرضان آخران نظما بعد ◄

بيوت البدو،
كريمة علي،
١٩٧٥ (٤٨ × ٥٠)

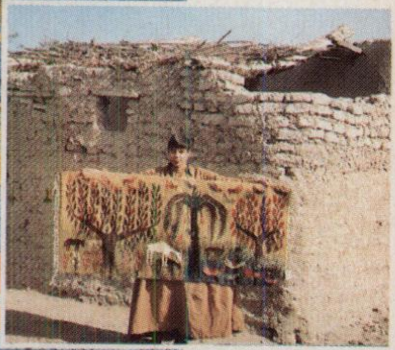

فنان شاب مع مطرزة
مكتملة، ١٩٧٥.

قطة تصطاد فئراناً،
شربات مصلحي، ١٩٧٧
(٨٠ × ٥٣)

العمل في حقل قطن، علي سليم، ١٩٧٥
(١٣٠ × ١٧٠)

قطط تلهو، سمية ابرهيم،
١٩٧٧ (٣٨ × ٦٥)

بضعة اشهر في الاسكندرية والاسماعيلية نجاحاً مماثلاً. وفي العام ١٩٥٨ افتتح رمسيس معرضه الاول خارج مصر، في مدينة بال السويسرية. وخلال الاسبوع الاول بيعت ١٥٠ قطعة من اصل ٢٥٠. وتعاقبت المعارض في هولندا والنروج والدانمرك وألمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا.

بعائدات هذه المعارض امكن رمسيس ان يزيد أجور الحاكة ويشتري قطعة ارض اخرى ويبني مشاغل جديدة. وفي المساحات بين الأبنية غرس نباتات الصباغ التي تستخدم في تلوين الصوف.

عندما ازداد الطلب على هذه المطرزات، قرر رمسيس ان الحاكة انفسهم يجب ان يحددوا الاسعار. ومنذ ذلك الحين أخذت الارباح تقتسم بالتساوي: ثلث للحائك وثلث لتغطية كلفة المواد وثلث يودع حساب رمسيس واصف ليتصرف به ويسدد نفقات الصيانة والضرائب والمشاريع الجديدة.

في العام ١٩٦٨ قرر رمسيس ان يزيد عدد الاولاد في المشاغل. ووسع مجال تجربته لتشمل منتوجات اخرى مثل السجاد والاقمشة المطبّعة والخزفيات التي تصنع كلها ضمن نطاق مشاغله المسورة وتعرض وتباع في متجر في قلب القاهرة. وهكذا غدت قرية حرانية قفيراً زاخراً بالنشاط الفني.

في شهر يوليو (تموز) من العام ١٩٧٤، وبعدما اخذت حرانية تستقطب انظار العالم بانجازاتها الفنية الرائعة، دهمت الفاجعة تلك الجماعة الصغيرة من الحاكة. فقد مات رمسيس عن ٦٤ سنة بسكتة قلبية مفاجئة. لكن زوجته النشطة وابنتيه سوزان ويوانا واصلن العمل.

واليوم توفر هذه المشاغل جو عائلة كبيرة سعيدة يعمل فيها الكبار والصغار بنشاط وبهجة. وكان رمسيس في بداية الامر يخشى ان ينصرف الصغار عن الحياكة حين يشبون ويتزوجون. لكن هذا لم يحدث. فما زال جيلان من هؤلاء الحاكة، وبينهم ١٥ شخصاً من الجيل الاول، يعملون معاً في حرانية.

يحتاج الحائك المتدرب الى عشر سنين ليصبح فناناً حقيقياً. وفي حرانية تندر الفرص المتاحة وتشتد المزاحمة. لذا تعطى الاولوية لابناء الحاكة الحاليين والقدامى. وعلى رغم الاغراء القوي لتوسيع العمل، فان صوفي مصممة على اتباع نهج زوجها في ابقاء العدد قليلا والاهتمام الفردي رفيعاً.

بعد مرور ثلاثين سنة على اقامة رمسيس واصف نوله الاول في حرانية، اخذت تنشأ مشاغل للمطرزات الفنية في انحاء مصر وفي اماكن اخرى قصية مثل هيديسوندا في أسوج.

الا ان قلة فقط تمكنت من بلوغ المراتب العالية من التفوق التي غدت طابعاً مميزاً لمطرزات ويسا واصف. وبفضل سعة خيال رمسيس انبعثت حرفة شعبية قديمة من عالم النسيان وزرعت بذور جديدة للابداع.

■ ديبورا كاولي

الشهر المقبل في المختار

★ **الجنس المتفوق**

طالما اعتقد الناس ان الرجال متفوقون على النساء. فهل تؤيد الابحاث العلمية المعاصرة هذا الرأي؟

★ **السعودية: قفزة اقتصادية**

المملكة العربية السعودية تعمل اليوم على تحقيق معجزة اقتصادية: ان تعتصر خلال عقود قليلة خلاصة الثورة الصناعية التي استغرقت اكثر من قرن.

★ **الالوان تؤثر في الصحة والمزاج**

حقيقة مدهشة تثبتها الدراسات، وهي ان اللون يؤثر في صحتنا ومزاجنا مثلما يؤثر في ظاهر الاشياء.

★ **ابرد مدينة في العالم**

في بقعة من سيبيريا تنخفض الحرارة احياناً الى ٧١ درجة مئوية تحت الصفر. ويقال ان المرء يستطيع، هناك، سماع انفاسه وهي تتجلد.

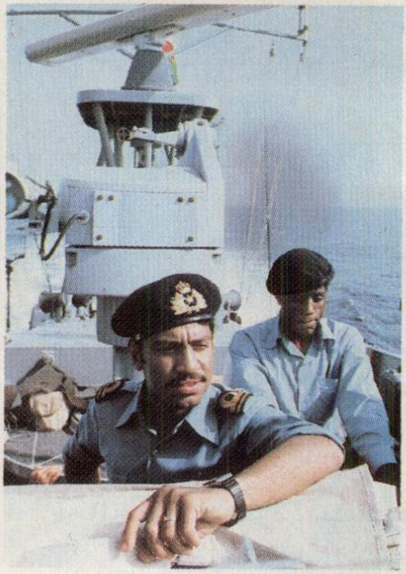

الملازم سليم عبدالله رشيد يقود
احد زورقي الخفر المجهزين
بالصواريخ ، لمراقبة العبور
في مضيق هرمز.

عمان
بوابة الخليج

نحو ٤٠ ناقلة نفط ترسو قرب مسقط لتوفير الوقت ورسوم التأمين الباهظة
في الخليج العربي.

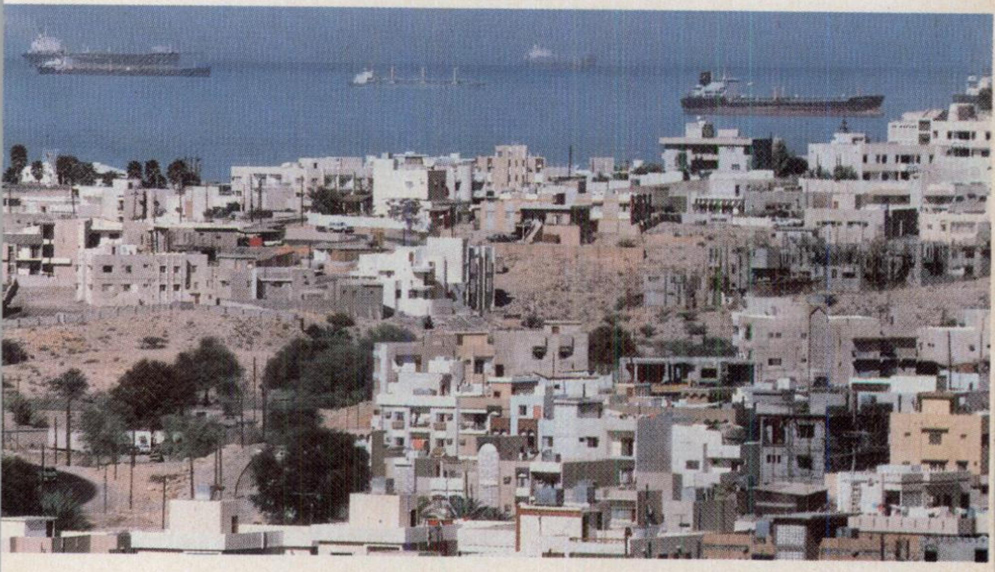

في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢ انهت سلطنة عُمان واليمن الجنوبية سنوات من العداء وفتحتا صفحة جديدة من التعامل وحسن الجوار. وهذا الحدث انعكس ايجاباً على السلطنة، خصوصاً، التي تعتبر بوابة الخليج واهم نقطة استراتيجية فيه

نظرتُ الى الافق من على متن زورق خفر عماني يشق العباب في مضيق هرمز. كانت اربع ناقلات نفط ضخمة تعبر تعرّجات القناة الرئيسية في المياه الاقليمية العمانية في طريقها الى خارج الخليج العربي. وقال لي الملازم في البحرية سليم عبدالله رشيد: "نحن نراقب نحو ٧٨ سفينة كل يوم." ان ما يزيد على نصف النفط المصدر الى الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان يمر عبر هذا المضيق الحيوي.

بعد عودتي الى المخفر البحري الصغير في جزيرة العنزة، أمعنت النظر في شاشة رادار متوهجة ومعي ضابط بريطاني متعاقد يشرف على المركز، فقال لي: "كلا، ان أغراق ناقلة نفط عملاقة لن يسد المضيق. انه عميق وعرضه ٤٥ كيلومتراً. لكن هذه السفن الضخمة هي طرائد سهلة المنال بالنسبة الى الثوار. وحتى مجرد التهديد بمهاجمتها او بلَغْمْ المضيق خليق بأن يطلق فوضى ويرفع معدلات التأمين على السفن اربعة اضعاف ويشل حركة النقل المتدفقة الآن."

اماكن قليلة في العالم لها مثل هذه الاهمية الاستراتيجية، ومع ذلك لا تتوافر الحماية المناسبة لهذا المضيق الذي يعتبر جبل طارق الشرق. فالزورق الحربي الصغير الذي كنت اركبه هو واحد من زورقي خفر مجهزين بالصواريخ في اسطول سلطنة عمان. اما بقية الاسطول فيتألف من ثمانية زوارق خفر مجهزة بالمدافع وسفينتي دعم وخمسة قوارب انزال. ان القوة العسكرية العمانية، التي يبلغ عدد أفرادها ٢٠ الفاً اشرف على تدريبهم وتجهيزهم ضباط بريطانيون – ان هذه القوة تعتبر من افضل القوات المسلحة كفاية في الشرق الاوسط. لكنها كذلك من اصغرها حجماً. فعبر المضيق تربض أيران التي نهكتها الثورة والحرب بعدما

Condensed from National Geographic (September 1981). (c) 1981 by National Geographic Society, Washington, D.C. Photos: Thomas J. Abercombie, (c) National Geographic Society.

كانت قوية ذات يوم. وتتفاقم نذر الخوف من ان يطبق السوفييت على الخليج عن طريق التسهيلات البحرية في اليمن الجنوبية المجاورة والقواعد الجوية في افغانستان.

ومع ذلك، فخلال رحلة حديثة الى عمان دامت ثلاثة اشهر، وجدتُها تنعم بالسلام. فهذه السلطنة تبلغ مساحتها ٢١٠ آلاف كيلومتر مربع، ضعفي مساحة سوريا، بينما عدد سكانها (٨٩٠ الفاً) يوازي عشر عدد سكان سوريا. وداخل البلاد جبال صخرية وعرة وهضاب من الحصى وكثبان من الرمل تسفعها الرياح، تنحدر الى شواطىء رملية واسعة وأجوان صخرية. وبالمقارنة مع معظم اراضي شبه الجزيرة العربية، تحظى عمان الخصيبة بالقسط الاوفر من المطر.

وترتفع هضبة الجبل الاخضر الداخلية ألف متر عن سطح البحر، وتعتصر المطر من غيوم الشتاء. اما تعرجات جبالها التي ترويها الينابيع فتحضن قرى تنمو فيها اشجار الدراق والرمان والجوز بين مساكب البصل والفصة. وتظلل اشجار النخيل ساحل الباطنة شمال غرب مسقط على امتداد ٣٠٠ كيلومتر، حيث يستمد المزارعون مياههم من قنوات ري متشعبة. وفي اقليم ظفار الجنوبي تكسو الامطار الموسمية الهضاب بالمراعي المعشبة.

سلطان شاب - انحدرت البلاد الى ادنى الدركات في عهد السلطان سعيد بن تيمور، والد السلطان الحالي، حين اخذ العمانيون يهاجرون بالألوف طالبين العلم او العمل في البلدان المجاورة التي نعمت بالثروة النفطية. وكانت آبار النفط في عمان بدأت تؤتي ثمارها، غير ان السلطان السابق ارصد نزراً يسيراً من هذه الثروة لمشاريع التنمية، على رغم ان البلاد كانت في أشد الحاجة اليها. اما ابنه وولي عهده قابوس، الذي عاد من أكاديمية ساندهورست العسكرية الملكية التي تخرّج نخبة ضباط بريطانيا، فقد ابقي طوال ست سنوات في اقامة جبرية داخل القصر في صلالة، عاصمة ظفار.

في اواسط الستينات تألفت في جبال ظفار الوعرة جماعات ثورية

تدعمها اليمن الجنوبية. وبحلول العام ١٩٧٠ بات معظم المنطقة في ايدي الثوار. عندئذ عزم قابوس الشاب على العمل. وبعد مناوشة مسلحة في القصر تمكن من خلع والده ونفيه الى لندن. ثم نادى بنفسه سلطاناً، متعهداً قمع الثورة وقيادة عمان الى عالم القرن العشرين.

وخلال عقد ونيف من الزمان برّ السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور بالعهد الذي قطعه. ويقول عجوز عماني عركته الايام: "قبل ١٢ سنة كان عليك بحكم القانون ان تحمل فانوساً اذا سرت ليلا في المدينة. اما الآن فشوارعنا مضاءة بالكهرباء."

في الطريق من مسقط الى مدينة مطرح الساحلية قال لي السائق محمد ابرهيم: "قبل ان يتسلم السلطان قابوس مقاليد الحكم كانت هذه هي الطريق الوحيدة المعبدة في عمان، وطولها يقل عن ستة كيلومترات. اما اليوم فان طرقات يزيد طولها على ١٥٠٠ كيلومتر تصل جميع المدن الكبرى بعضها ببعض." والى ذلك لم يكن في البلاد قبل العام ١٩٧٠ سوى بضع عشرات من السيارات الخاصة والشاحنات، اما اليوم ففيها نحو ٨٠ الف سيارة.

ومدينة مطرح هي المرفأ الرئيسي في البلاد. ويزدحم رصيف مينائها بالسفن الآتية من هامبورغ وسنغافورة ولندن وروتردام وكوبي، فيما قوارب الصيد الآتية من باكستان ودول الخليج العربي ترسو على رصيف الصيادين.

وحتى وقت قريب كانت قلعة بيت الفلاج المطلية بالابيض تحرس ساحلا رملياً مقفراً تغطيه الاشجار الشوكية. اما اليوم فمن العسير ان ترى القلعة التي توارت وسط مباني المكاتب والمساكن والفنادق والمصارف ودور السينما.

عند منعطف الطريق الرئيسية في القرّيات ينتصب مَعْلم آخر من معالم التقدم السريع في معراج الرقي: مستشفى "النهضة" الذي يضم ٢١٨ سريراً ويتخصص بمعالجة امراض العين والاذن والانف والحنجرة. في السابق كان هناك مستشفى صغير تديره بعثة امريكية ويقدم الخدمات الطبية الى البلاد بأسرها. واليوم تدير وزارة الصحة ١٤ مستشفى و٧٠ عيادة و٢٦ وحدة طبية متنقلة.

نعمة الازدهار – ان منبع الحضارة العمانية هو ذلك العمود الفقري من الجبال المنعزلة. فهنا، في ثنايا الصخور حيث ترتفع القمم من قلب الصحراء، كانت تقوم الواحات المزدهرة حين وفد أول المهاجرين من جنوب شبه الجزيرة العربية قبل نحو ٢٠٠٠ سنة. وطوال قرون ظلت الصراعات مستعرة بين بدو الصحراء والقرويين المتطبعين بالمزايا الفارسية الذين انشأوا زراعة نشطة حول شبكات من قنوات الري.

وكان العمانيون بين الاوائل الذين استجابوا لدعوة النبي محمد (صلعم) واعتنقوا الاسلام في اواسط القرن السابع الميلادي.

واليوم يقاس ازدهار عمان بمقياس تدفق النفط فيها. وبما ان

انتاجها الحالي لا يتجاوز الـ٣٣٠ الف برميل يومياً، فهي لا توازي أياً من اعضاء منظمة البلدان المصدرة للنفط في المنطقة. فالعراق ينتج ضعفي ما تنتجه عمان، وايران اكثر من خمسة اضعاف، والمملكة العربية السعودية ثلاثين ضعفاً. وبما ان المشرفين على مشاريع التنمية مضطرون الى الاقتصاد في انفاق مخصصاتهم والتخطيط بكل عناية، فأنهم يحرصون على تحاشي التبذير والتفريط بتقاليدهم الموروثة. وعمان التي حظيت من نعمة الازدهار بما يكفي للبناء من غير تبذير، غدت قفيراً نشطاً اكثر مما هي فورة ثراء.

معظم آبار النفط في عمان يقع في الصحراء الوسطى التي كانت دائماً تفصل عمان الام عن اقليم ظفار. في هذه المنطقة الموحشة امكن القبائل البدوية الشديدة المراس ان تحيا وتؤمن مصدر رزقها الهزيل، مقتفية دروباً دارسة بين بئر ماء واخرى لترعى ابلها وتغزو قطعان جيرانها. ولكن في غضون عقد واحد خسر البدوي سلطته. والآن تستقطب آبار من نوع آخر المسالك الصحراوية.

ان شركة "تطوير النفط في عمان" التي تملك الحكومة ٦٠ في المئة من اسهمها فيما تملك مصالح نفطية دولية الـ٤٠ في المئة المتبقية، اقامت في مرمول مركز انتاج جديداً لمئة من آبارها. وهذه الواحة الحديثة التي تؤوي ١٥٠٠ نسمة تؤمن لسكانها اسرّة نظيفة وشراباً بارداً وداراً للسينما ومسبحاً وحتى مرأباً لتصليح السيارات. ويقول محمود الشويلي المسؤول عن العلاقات الصناعية في الشركة: "على رغم ان الاجانب ما زالوا يشغلون معظم الوظائف الفنية، فان مئات من البدو يعملون حراساً وحرفيين وسائقين، والعديد منهم يتابعون برامج تدريبية في الهندسة والادمغة الالكترونية والادارة."

ويتناول التغيير حتى أشد البدو تزمتاً. ومن هؤلاء الشيخ سالم المسلّم الذي يقطن في المضيَّع قرب حدود اليمن الجنوبية. ففي خيمته جهاز راديو ياباني الصنع يجلجل بالاخبار التي تبثها اذاعة مسقط. وقد جلسنا في مضافته على حصر يابانية من القصب ورشفنا الشاي الذي حفظته زوجته ساخناً في "ترمس" من صنع ياباني ايضاً.

ويقول الشيخ سالم: "تصنع اليابان كثيراً من الاشياء المفيدة." واذ هو يتكلم كان يملأ قربة من الجلد بحليب ناقة معقولة خارج خيمته. واضاف: "غير ان ولد عمي احمد شطط اكثر مما يلزم. فهو اشترى شاحنة يابانية صغيرة من نوع تويوتا. ان علفها يكلف كثيراً، كما انها لا تحسن سلوك الدروب الوعرة التي تسلكها الابل. وليجرب، اذا شاء، ان يحلب هذه التويوتا."

ويشمل التطوير ايضاً القطاع الشمالي المنعزل من عمان، شبه جزيرة مسندم. هذه الاصبع الاستراتيجية الناتئة من اليابسة، التي تفصلها عن بقية عمان دولة الامارات العربية المتحدة، لا يتجاوز عرضها الـ٤٠ كيلومترا وطولها الـ٨٠ كيلومتراً. ولا يمكن الوصول اليها الا

بحراً او على متن طائرة عسكرية. سواحل هذه الارض التي تنتصب دونها جرف صخرية سامقة وتتكسر عليها تيارات ودوامات بحرية غادرة، لم يطأها سوى عدد قليل من الغرباء.

عند نهاية خليج قاحل تحرسه جزر صخرية صغيرة تقوم قرية قمزر. والناقلات العملاقة العابرة لا تلحظ هذه القرية التي هي اقرب المستوطنات من مضيق هرمز. وفي ازقتها الضيقة التي لا يتجاوز عرضها المتر يجد الاولاد فسحة تكفي للعب. وهنا امرأة تنشر الثياب المغسولة بينما أخرى تدير ذراع آلة خياطة. وفي بعض الاماكن تضيّق المقابر عرض الطريق فلا يبقى منها سوى ٣٠ سنتيمتراً.

ويقول الشيخ عبدالله بن حسن: "الازدحام هو اللعنة التي حلت علينا. فقد شيدت المساكن فوق كل شبر من الارض بين الجُرُف الصخرية. ومع ذلك فالحكومة تخطط لبناء مدرسة حديثة هنا." اما بلدة خصب الساحلية الاخرى في شبه الجزيرة، وهي عاصمة الاقليم، فتمر ايضاً في مرحلة من التغير السريع. ويشيد فيها الآن مخزن مبرد ومصنع للجليد تشجيعاً للصيادين المحليين. وتمتلىء مدارسها الداخلية بالطلاب والطالبات الوافدين جوا من الجزر المنعزلة. كما يجري تحديث مهبط الطائرات في البلدة. وتبث محطة أقمار اصطناعية البرامج التلفزيونية وتنقل المخابرات الهاتفية من مسقط وما وراءها.

منطقة مسندم النائية، كبقية اجزاء البلاد، تلحق مسرعة بركاب القرن العشرين. ونظراً الى دور عمان كبوابة للخليج، يأتي هذا التطور في وقته المناسب.

■ توماس آبركومبي

المال والسياسة

لا يحسن بالمرء أن يعمل في السياسة الا اذا كان غنياً أو فقيراً، وفي كلتا الحالين مستقلا عن سواه في غناه وفقره.

ر.م.

العادة طبيعة ثانية

العادة هي كالرقعة اللاصقة على جلد الانسان. فمن السهل جداً لصقها، ولكن كلما تقدمت بها الأيام عَسُرَ انتزاعها. ومتى قُلعت أخيراً، سلخت معها الجلد الذي كانت تغطيه.

س.هـ.

في يوم واحد
غارت البحيرة وأغرقت
كل ما فوقها وتحتها
من رصيف للنفط
ومنجم ملح ومراكب

يوم غارت البحيرة في جوف الأرض

أمضى الرجال الليل بطوله على الرصيف داخل بحيرة بينيور في ولاية لويزيانا الامريكية، يحاولون ادخال أنبوب الحفر تحت أرض البحيرة. وعلى عمق ٣٨٠ متراً، لم يعد في وسعهم اقحام ذلك الانبوب الذي يوزن ٣٩ طناً من الصفيح. وكانت شركة "ويلسون براذرز" للحفر تتولى ذلك العمل لحساب شركة "تكساكو" النفطية. الا ان ممثل شركة "ويلسون" لم يتمكن من تفسير الأمر لمسؤول "تكساكو".

وعند الفجر أخذ الانبوب ينحرف بشدة، فأصدر المشرف على أعمال

Condensed from Science 81 (November 81). (c) 1981 by American Association for the Advancement of Science, Washington, D.C. Illustration Bob Soule.

"تكساكو" أمره الى العمال باخلاء الرصيف للحال. ووقف هؤلاء جميعاً على الشاطىء يراقبون، بخوف ودهشة، الهيكل المعدني الضخم والرصيف يهويان الى قاع بحيرة ظُنّ أنها لا تتجاوز المترين ونصف المتر عمقاً.

وعلى بعد ٨٠٠ متر من ذلك الموقع، كان ٤٨ عامل منجم من شركة "دياموند كريستال" قد انحدروا، مع ثلاثة مهندسين زائرين، الى قبة ملحية جوفية يبلغ قطرها ١٦٠٠ متر. وكانت القبة، بفعل عشرات السنين من التنجيم، تحتوي على شبكة من الممرات العريضة التي ترتفع ٢٥ متراً. وعلى رغم أن مدخل القبة كان عند تلة منخفضة بالقرب من الطرف الجنوبي لبحيرة بينيور، إلا أن الجانب الأكبر من المنجم كان تحت البحيرة. والواقع ان أحد أجزاء المنجم، وهو بعمق ٤٠٠ متر، يقع مباشرة تحت النقطة التي استقر فيها الرصيف والانبوب. غير أن العمال لم يعرفوا شيئاً عن الحادث وهم يركبون المصعد للنزول الى المنجم صباح نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠.

أملاح جوفية – إن أرض لويزيانا الجتوبية الواقعة حول بحيرة بينيور مسطحة وسبخة، إذ تملأها القنوات التي تصب كلها عند شاطىء فيرميليون على خليج المكسيك الذي يبعد ١٦ كيلومتراً الى الجنوب. وكما في الأجزاء الاخرى من ساحل الخليج، هناك حوض ملحي على عمق يراوح بين تسعة آلاف متر و١٥ ألفاً تحت سطح الأرض. ومن تلك الاحواض التي تعود الى ما قبل التاريخ، تبرز قبب الملح قليلا فوق الأرض.

أما القبة الواقعة تحت بحيرة بينيور، قريباً من السطح، فقد ارتفعت قليلا على هيئة تلة فوق المستنقعات المجاورة. وفي العام ١٩١٧ اشترى التلة رجل أعمال اسمه لايل بايليس، وحَفَرَ فيها منجماً بعد ثلاث سنوات. وراح عماله يحفرون ويفجّرون الارض في جميع الجهات. وعندما باع ابنه المنجم عام ١٩٥٦ لشركة "دياموند كريستال" كان استُخرج منه عشرة ملايين طن ملحاً. وفي السنوات الاربع والعشرين التالية، استخرجت الشركة المالكة نحو ٢٩ مليون طن من الملح، وجوّفت أقبية جديدة تحت البحيرة.

وتجدر الاشارة الى أن شركة "دياموند كريستال" تهتم كثيراً لسلامة أعمالها وعمالها. وفي مؤتمر عُقد في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠، قال أحد المراقبين للعمال: "عندما تواجهون مشكلة حقيقية، سلطوا أنواركم الكشافة ثلاث مرات إنذاراً، ثم اتبعوا طريق الأمان فوراً." لكن أحد العمال أدلى بملاحظة بارعة ما لبثت ان أصبحت طرفة يتداولها الزملاء: "ماذا نفعل إذا انفجرت البحيرة داخل المنجم؟"

وكان ان التمعت أنوار المنجم ثلاثاً قرابة الثامنة صباحاً – بعد قليل من اختفاء رصيف الحفر. وهرع معظم الرجال، وهم واحد وخمسون، الى أحد منفذي النجاة. وكان هناك مصعد يتسع لثمانية أشخاص ويمكن ان يستوعب عدداً أكبر عند الطوارىء.

وكان ويلفريد جونسون، الذي عمل في المنجم ١٥ سنة، هاله ان يرى الماء الموحل يرتفع من ١٥ سنتيمتراً الى نحو ٦٠ سنتيمتراً فوق عجلات حفارته وهو يقودها على عمق ٤٠٠ متر تحت الأرض. ويتذكر أن ذلك حصل في دقيقة واحدة، وان الماء ظل يرتفع باطراد فوق أرضية الغرفة التي يبلغ عرضها ثلاثين متراً.

وأسرع جونسون نحو المخرج الرئيسي حيث كان المصعد يرتفع بالفوج الاول من الهاربين. ثم توجه بحفارته الى مستوى الثلاثمئة متر للتأكد من خلوه من الماء. غير أنه عاد الى المصعد ليجد ان جزءاً منه، يبلغ نحو متر ارتفاعاً، بات تحت الماء. وكان أربعون عاملا تحلقوا هلعين بالقرب من ذلك المكان. وللحال استخدم جونسون هاتفاً للطوارىء، طالباً إنزال المصعد الى مستوى الثلاثمئة متر. وأمر العمال جميعاً بالتوجّه الى هناك.

وبين الثامنة والدقيقة الاربعين والتاسعة صباحاً، نقل المصعد أربعة أفواج من العمال. وبهذا باتوا كلهم فوق الأرض وهم لا يدرون ما اذا

كانت الطرفة التي تداولوها طويلا تحققت.

نهاية العالم ـ قرابة الحادية عشرة صباحاً، فيما كان ليونس فياتور وتيمي دور يصطادان السمك في زورق بخاري عند طرف البحيرة الشمالي، استقر زورقهما في الوحل. وراحا يدفعانه الى المياه العميقة ليجدا ان تلك المياه تغور. وفجأة شاهدا سمك السلور يقفز في الهواء. وطرأ على ذهن فياتور أن الأسماك ربما كانت تقفز رعباً. ويتذكر ذلك قائلا: "ظننتُ أني أشهد نهاية العالم." ويروي أنه شاهد، على بُعد مئات الأمتار، دوامة عملاقة ذات فوهة على هيئة قمع، ترغي وتزبد كما لو كانت تؤدي الى نقطة ارتكاز الأرض.

ونظر الصيادان وراءهما، فاذا الماء من الضحالة بحيث لا يمخره الزورق، واذا الوحل من العمق بحيث يستحيل عُبوره. أما الطريق المائية فكانت تصدها الدوامة والقوارب المشدودة الى رصيف هناك. وانجذب احد القوارب في اتجاه الدوامة. ويقول فياتور انها "التهمته في ثوان، كما تلتهم سمكة كبيرة غذاءها." وبعد قليل تملص قارب آخر من سلكه واندفع نحو الدوامة بسرعة فائقة حرّكت المياه حوله وقذفت زورق الصيادين الى الشاطىء.

وسحبت الدوامة مراكب اخرى، كان بعضُها يحمل شاحنات وصخوراً ملحية. كما اقتُلعت الأشجار والأخشاب عن الشاطىء وغارت تحت الماء. ويقول شاهد عيان: "بدا ذلك كمجموعة دُمى تغرق في حوض لتصريف الماء، فتعلو وتهبط قبل ان تختفي عن الانظار." وغار قاع البحيرة نفسه في الدوامة. وانخسفت أجزاء كبيرة من الأرض عند الطرف الجنوبي. ومع انخفاض البحيرة تحت مستوى قناة ديلكامبر الضيقة التي تصب في الخليج، عكس التيار اتجاهه، وسرعان ما أخذت مياهه تسقط فوق البحيرة الغائرة عن ارتفاع ٤٥ متراً وهي تهدر كالشلال.

وكان في وسط القناة قارب شحن ينطلق بسرعته القصوى، فسُحب عكس اتجاهه وغاب وسط المياه المضطربة. الا ان ركابه قفزوا في الوقت المناسب الى الضفة الموحلة.

وكان لايل بايليس الابن يراقب ذلك من منزله المشرف على البحيرة. وهو، بعد بيعه منجم الملح لشركة "دياموند كريستال،" كرّس وقته ونشاطه لشركته الزراعية ـ السياحية التي تُعنى بغرس النباتات الاستوائية النادرة في ذلك الجزء من الجنوب الامريكي. وقد رفض بايليس مغادرة منزله حتى وقت من العصر، بعد تلقيه الدعوة الثالثة من المجلس البلدي المحلي.

وبُعَيدَ ذلك انحرف منزله وغار ثمانية أمتار ونصف متر وانشق حوض السباحة. وطافت أوتاد كثيرة من حدائقه التي تبلغ مساحتها نحو عشرين هكتاراً.

وأخذت الفقاعات ترتفع من بئر للغاز الطبيعي انفجرت بعد غرقها. واندلع حريق في الغاز المنبعث فوق الماء. لكن النار خمدت بعد أيام،

فيما بقي الغاز الطبيعي ينبجس. وسرت اشاعة مفادها ان موظفي "تكساكو" حاولوا احراق الغاز بتصويبهم سهاماً مشتعلة الى الفقاعات.

وظل الهواء يتدفق ساعات من فتحة تصريف المنجم بالقرب من بيت بايليس. وفجأة توقف الهواء لينفجر الماء الموحل غزيراً. واستمر تدفق الطين الحار نحواً من عشر دقائق وقد ارتفعت حممه ستين متراً في الهواء قبل أن تخمد. وفي الثانية والنصف عصراً، بعد انقضاء سبع ساعات على غرق رصيف الحفر، نضبت مياه البحيرة تماماً.

دعاوى بالجملة ـ ربما بدا غريباً ان يكون رصيف لحفر النفط أقيم بالقرب من منجم لاستخراج الملح. غير ان ذلك أمر مألوف على ساحل خليج المكسيك، حيث ثمانون في المئة من آبار النفط والغاز تجاور مناجم الملح.

أما السبب الذي أدى الى تلك السلسلة من الأحداث الغريبة فلم يظهر بعد، وان تكن شركة "دياموند كريستال" رفعت دعوى، في اليوم الذي تلا الكارثة مباشرة، ضد شركة "تكساكو" بحجة انها هدمت منجمها الذي يدر مئات ملايين الدولارات. وما كان من "تكساكو" الا ان رفعت دعوى هي الاخرى، متهمة شركة الملح باجراء أعمال حفر غير مدروسة، من غير اعلامها ان ذلك يتم تحت رصيف النفط مباشرة. ورفعت شركة "ويلسون براذرز" للحفر بدورها دعوى ضد "تكساكو" و"دياموند كريستال" طالبة مبلغ سبعة ملايين دولار تعويضاً للآلات التي فقدتها. كما ان ٢٥٠ عاملا في منجم الملح طلبوا تغريم شركتي النفط والحفر مبلغ مئة مليون دولار تعويضاً لهم لفقدهم وظائفهم. وطالب السيد بايليس شركتي النفط والتنجيم بتعويض مؤسسته الزراعية وأملاكه.

والواقع ان "تكساكو" لم تُخطر شركة "دياموند كريستال" على الاطلاق بأنها ستجري الحفر تحت البحيرة. وقد علمت شركة التنجيم بذلك من مصلحة الهندسة في الجيش الامريكي التي منحت "تكساكو" حقّ رفع الوحل من قاع البحيرة واقامة الرصيف. الا ان الترخيص لم يذكر شيئاً حول وجهة الحفريات أو عمقها. وكان ان تم ذلك قريباً من قاع المنجم على عمق ٤٠٠ متر، من دون ان تجرى اي اتصالات بين الشركتين.

الوكالة الامريكية الاتحادية لشؤون السلامة والصحة داخل المناجم ذكرت اثنين من الأسباب المحتملة التي أدت الى الكارثة، وهما أن بنية تلة الملح نهكتها سنوات التنجيم الطويلة، وأن أعمال الحفر ثقبت المنجم أو اقتربت منه كثيراً. ويمكن ان يكون أحد هذين العاملين، أو كلاهما، سبباً لما حصل. أما المياه التي تدفقت على عمق ٤٠٠ متر، فلا بد من أن يكون ضغطها بلغ ٤٢ كيلوغراماً في السنتيمتر المربع، وهذا يفوق عشرة أضعاف الضغط في خرطوم لاطفاء الحريق.

وعادت بحيرة بينيور الى الظهور بعد أيام من اختفائها وقد باتت اوسع وأعمق في بعض المواضع. ومن

الغريب ان ١١ مركباً من تلك التي ابتلعتها الدوامة طفت على وجه الماء. وعادت عشر من العائلات التي أخليت منازلها خلال الحادث. كما رجع لايل بايليس الابن ومعه فريق من الغواصين لانتشال وثائقه التجارية وبعض مقتنياته من تحت الماء.

ومن حسن الحظ ان أحداً لم يقضِ نتيجة الحادث، كما لم يصب أحد بجروح بالغة. والبحيرة نفسها لم يصبها أذى يُذكر.

ويقول أحد خبراء مناجم الملح: "ان الأحداث الرهيبة التي وقعت ذلك اليوم لم تضف كثيراً الى معارفنا العلمية." ويزيد ان العِبَر التي خلفها الحادث متعلقة بالطبيعة البشرية وبسيطرة التفاصيل الصغيرة على المسائل الكبيرة و"اذا نظرنا الى الوراء، علمنا أن أحداثاً من هذا النوع ممكنة، وان لم يحلم أي منا بامكان حدوثها."

■ مايكل غولد

لجان... لجان!

بعد كل ما يقال ويفعل في اي اجتماع، هناك ٩٠ في المئة مما يقال و١٠ في المئة مما يُفعل.

ا.ك.ك.

الصغائر قبل الكبائر

على أثر ابلاله من مرض خطر عام ١٨٧٠، سُمح لرئيس وزراء كندا السير جون ماكدونالد بتناول نصف محارة (صدفة) مع العشاء. ورجا طبيبه كي يأذن له بتناوُل مقدار أكبر من المحار. لكن الطبيب رفض قائلا: "تذكر يا سيدي أن آمال كندا معلَّقة عليك". فأجاب ماكدونالد: "انه لغريب حقاً أن تكون آمال أمة بأسرها معلقة على نصف محارة"

ل.ن.

فلسفة استاذ

اشتهر استاذ فلسفة بمحافظته الدقيقة على المواعيد. وحدث في محاضرة نهاية الفصل الدراسي أن وصل طالب متأخراً لأن زوجته ـ كما كان جميع زملائه وأساتذته يعرفون ـ دخلت المستشفى لوضع وليدهما الاول. وحاول الطالب أن يجلس في مقعد خلفي من غير احداث ضجة. الا أن الاستاذ لاحظه وسأله عن سبب تأخُّره.

وأجاب الطالب أنه وصل لتوه من المستشفى حيث وضعت امرأته صبياً هو ولدهما الاول. ووسط ابتهاج الطلاب بالخبر واشراق وجه الوالد الجديد، بدا أن ملامح الاستاذ الصارمة لانت قليلا. لكنه سرعان ما استعاد طبيعته ليقول: "حسناً! اجلس مكانك ولا تدع هذا الامر يحدث مرة اخرى".

د.ج.

افرح بكل ما لديك، فالحياة قصيرة

الحياة حلوة!

تحدث لنا احياناً امور تضطرنا الى اعادة النظر في اولوياتنا، كعيد مولد يحرك جرحاً او ازمة يواجهها صديق. اما بالنسبة الي فكان ذلك الحادث موت صديقة بت معه سريعة التأثر وحائرة تراودني الشكوك.

اردت ان اسحب ودائعنا من المصرف واسافر الى بلد بعيد لألملم نفسي هناك. اردت ان ارمي الصحون على الطريق واطحنها بسيارة، ان التحق بصف لتعلم الرقص، ان ارمي جميع الازهار الاصطناعية وابدلها بدغل من الكروم والنباتات الخضراء. أردت ان ارمي اكياس النفايات واترك الاوساخ تتجمع حيثما وقعت.

في تلك الليلة عدت الى داخل نفسي ورتبت أوراقي بيد جديدة تماماً، وأقسمت: لن اكون كتلك المرأة على متن السفينة الغارقة "تيتانيك" التي اخذت تبكي وهي تتسلق قارب النجاه لتواجه مصيراً مجهولا وتقول: "لو عرفت ان هذا سيحدث لي، لختمت طعامي بحلوى القشدة والشوكولاته."

فاستعد ايها العالم! "المرأة العملية" منذ الآن ستعيش كل يوم كأنه آخر أيامها.

اتعرف ذاك الدرج الذي اخبىء فيه ثياباً ضاقت علي وباتت تحزنني كلما نظرت اليها؟ لقد تخلصت منها.

أتذكر تلك الشمعة الكبيرة في شكل وردة والموضوعة في الرواق حيث تجمع الغبار وتسيل في الصيف؟ لقد اضأتها البارحة. ونافذة السيارة المكسورة التي قررنا اصلاحها قبل ان نبيع السيارة؟ لقد اصلحتها.

احزر من سيشاركنا في العشاء ليلة الاحد. ليندا وجاك! لقد التقيناهما في ١٦ عرساً وكنا نقول لهما الكلام نفسه كل مرة: "يجب ان نلتقي."

وعلبة السمك التي لم اشأ ان افتحها لان احداً لا يأكل منها سواي، فتحتها.

وفيما انا اغسل يدي بقطعة من صابون وردي صنع في شكل صدفة، قال زوجي: "ظننت انك ستحتفظين بها. لقد أذابها الماء."

ونظرت الى الرغوة. ان الصدفة تؤوي الحياة. ولقد منحتها الآن فرصة لكي تصبح شيئاً آخر.

■ ارما بومبيك

(c) 1981 Field Enterprises, Inc. Field Newspaper Syndicate.

الكَلبُ المدْهِشُ

أجل، كنا نريد كلباً مدرباً ومنضبطاً، لكن ماركوني فاق توقعاتنا

لو كان للكلاب أن تتكلم، لامكن ماركوني أن يقول: "نعم يا سيدي" و "كلا يا سيدتي." فهذا ليس غريباً على كلب يمسح قوائمه قبل ان يدخل البيت، وان لم يكن غاص في الوحل.

هذا الكلب من فصيلة اللبرادور هو اسمى قدراً من مجرد حيوان منزلي. فهو ذو تاريخ حافل بالتربية والانضباط. ولقد أمضى معظم أيامه

في حراسة سيدة عمياء، يعينها في اجتياز الطريق والمواقف الصعبة. وبعد موتها أعيد الى مؤسسة مساعدة العميان في بلدة يوركتاون هايتس (ولاية نيويورك الامريكية) حيث رُبي ودُرِّب سابقاً. وعلى رغم أنه لم يبلغ الخامسة، فقد ارتئي أنه لم يبقَ أهلا لمرافقة شخص كفيف. وهكذا كوفىء باقالة مبكرة.

ولقد وضعت في ذهني مواصفات من هذا القبيل عندما طلبت كلباً متقاعداً من المؤسسة المذكورة. وبعد مضي أكثر من سنة خابرني المسؤول قائلا إن الكلب جاهز.

ولدى وصولي وزوجي جون الى مركز التدريب، أحببنا ذلك الكلب بفروه الاسود الصقيل وعينيه القاتمتين العميقتين اللتين تنمان عن ذكاء، وقد غارتا في وجه ضئيل مثلث.

أجل، أحببنا كل شيء فيه ما عدا اسمه. إلا أن مدربه أكد لنا أن ذلك ليس بالمشكلة، إذ هو على استعداد لان يجيبنا بأي اسم ناديناه. وللحال أعطيناه اسم ماركوني.

في أيامه الاولى لدينا، كان ماركوني مكفهراً الى حد الكآبة. وهو لم يعوِ ولم يبدِ أي اهتمام بدمية تصدر صوتاً عند الشد عليها. ولما أعطيناه عظمة من مطاط، تفحصها ثم ابتعد عنها. ورحت أرمي اليه كرات المضرب القديمة، فلا يهتز ولا يحرك ساكناً. لقد كان ماركوني كلباً هامداً، لا يطفر ولا يعدو ولا يمرح ولا يلعب. ذلك أن حياته السابقة عودته الاتيان بالواجب كل الوقت، فلما حان التقاعد لم يدرِ كيف يتصرف.

وكعهد كلاب الحراسة، لم يكن ماركوني يبتعد عنا أكثر من خطوة أو اثنتين. وذات مساء كنا نشاهد التلفزيون وهو يراقبنا. ونهض جون متجهاً نحو المطبخ فيما بقيت أنا على المقعد. وقفز ماركوني الى المقعد، ثم تبع جون. ووقف مكانه متردداً، ثم اتجه نحوي ووقف في نصف الطريق. ويبدو أن هذا الكلب، الذي يزون ثلاثين كيلوغراماً، دُرِّبَ على حراسة شخص واحد. وها هو يرتبك في حضور اثنين، ولا يدري من منهما يحتاج اليه كي يمنحه الولاء.

هنا وهناك - مع الوقت، قرر ماركوني أني أنا صاحبة السيادة عليه. وكان زوجي رجلا عملياً، فعرف أن سبب ذلك كوني أطعمه معظم الاحيان، أو أن سيده القديم كان امرأة أيضاً.

ومهما يكن الامر، فهو كان يجلس على الخرقة السوداء في مكتبي المنزلي كلما دخلته. وبعد قليل ينام، لكنه يصحو كلما حركت الكرسي أو نهضت عن مقعدي نحو الادراج والرفوف. واذا تناولت غلافاً ذا طوابع، لهث بحماسة علماً منه أن ثمة نزهة قصيرة الى صندوق البريد في الشارع.

وكان حريصاً في جلسته على الارض، بحيث لا يدوسه المرء عندما يقف أو يمشي. وكان معظم الاحيان يتبعني الى المطبخ. وعزوت ذلك، أول الامر، الى أن المرأة الكفيفة التي خدمها سابقاً كانت عرضة لاخطار كثيرة في المطبخ. غير أني، بعد

وقت قصير، لاحظت بريق أمل في عيني ماركوني. وخطر لي أن سيدته السابقة كانت توقع أغراض المطبخ من يديها عن غير قصد وهي تحضر طعامها. لذلك بتُ اوقع أغراضي عن عمد من غير أن أدعه يلاحظ ذلك. فاذا قطعت اللحم، تركت قطعة صغيرة منه تسقط. وكان ماركوني يهرع الى القطعة الهاوية ويلتقطها قبل بلوغها الارض أحياناً. وغدا ذلك ضرباً من اللهو بالنسبة اليه. وكنت أدع الشيء يقع ثم أتظاهر بالتعجب، فأقول: "آه، ما هذا؟" أما ماركوني فينظر الي، بعد التهامه ذاك الشيء، بعينين ملؤهما الدهشة والبراءة.

وكان يستجيب لاوامر كثيرة جداً. غير أن عبارة "هنا" كانت غريبة عن قاموسه. ومر وقت قبل أن يدور في خلدي أن كلاب الحراسة قلما تسمع عبارة: "تعالَ الى هنا." فهي هنا دائماً.

ولكم أدهشتنا سيطرة ماركوني على وظائفه الجسدية. إلا أني رأيت برازه يوماً في أسفل السلم. وذهبت نحوه كي اؤنبه، فوجدته للمرة الاولى يبتعد عني. وغافلني قافزاً الى غرفته الصغيرة فوق، ولا بد من أنه اتخذ ذلك عقاباً لنفسه. وحين صعدت اليه، رأيته قابعاً في زاوية غرفته.

وعرف ماركوني مع الوقت أن في وسعي قيادة سيارة. وبات يستدل على ذلك من وضعي نظارتين، فيسير أمامي كاشفاً الطريق. وكلما ذهبت وتركته، كان يتبعني غاضباً ثم يقفل. واذا غبتُ أياماً في رحلة عمل، فهو كان يلازم المرأب ولا يتركه الا للاكل أو للنزهة. ولدى مرور جون أمامه، كان ماركوني ينظر اليه كما لو شاء اتهامه: "لقد ضاعت السيدة! أما قلت لك ألا تتركها تقود السيارة وحدها؟"

المسؤولية – لئن صح أن مربي الكلاب لا يجدون متعة في اقتناء كلب جديد، إلا أن ماركوني كان مصدر متعة جديدة بالنسبة الي. ذلك أن موقفه الحامي أكسبني قوة فوق قوتي واستقلالي. ولا غرو، وهو كان بمثابة العينين لسيدته القديمة، أن يتميز عن معظم الكلاب باستمداده حس المسؤولية من حاجة الناس اليه. ولكم ساءه ألا يراوده ذلك الحس خلال شهريه الاولين لدينا.

وكان بعد ذلك أن أخذت جون الى المستشفى لاجراء فحوص طبية وعدت الى البيت وحدي. ولم يكن هناك سوى ماركوني الذي لذتُ به أشكو اليه قلقي وأبكي بين كتفيه القويتين. وعلى رغم علمي أن زوجي لا يحتاج الى جراحة، فان علاقة وطيدة ترسخت بيني وبين ماركوني ذلك المساء.

بعد ذلك أخذ ماركوني يسترخي ويستعيد أيام طفولته المفعمة بالحيوية. وظل يلوذ بي، غير أن المسافة التي تفصله عني باتت تقاس بالامتار بعدما كانت مقتصرة على السنتيمترات. وبقي مترفعاً عن الكرات والدمى، لكنه غدا يحب اللعب بالعظمة المطاطة. وما لبث أن شم رائحة الراكون، ذلك الحيوان اللاحم اللبون الذي يعيش على أرضنا، وأخذ

ينقب الارض تحت الجنبات بحثاً عنه.

وبعد بقائه صامتاً زمناً، اكتشف ماركوني صوته ذات مساء عندما قرع جرس الدار. وقفز على قوائمه نحو الباب ونبح بصوت جهير: "هب!" كانت تلك كلمته الاولى في هذه المرحلة الجديدة من حياته. وهي كلمة طال انتظارها حقاً.

وكنت، بادىء الامر، آخذ ماركوني لانزهه. لكنه بات هو يأخذني. وكان يلمس معصمي برفق علامة على أن الوقت حان للخروج. فنخرج وقد أحكمت طوقه معظم الاحيان، لكنه يتوانى وهو يتشمم ما حوله في المدى، ولا يلبث ان يشد الطوق بعد شمه رائحة مغرية في البعيد.

وأتركه أحياناً من غير وثاق كيما يستمتع بالحرية في الغابة ثم يؤوب في الوقت المناسب. إلا أنه، في يوم ربيعي جميل، توقف وسط الاشجار ثم راح يمشي متمهلا نحو بيت في الجوار. وناديته: "تعالَ الى هنا يا ماركوني."

وركضت خلفه وكدت ان أقبض على مؤخر عنقه. لكنه رماني بنظرة سريعة ثم أفلت بحيث تعذر علي اللحاق به.

وقلت لنفسي: "لا بد من أن يعود سريعاً." غير أن ساعة بكاملها انقضت ولم يعد. ورحت اذكر نفسي بأنه كلب حراسة، ولا بد من أن ينظر ذات اليمين وذات اليسار قبل أن يقطع الطريق. الا أن الاطمئنان فارقني بعد انقضاء ساعة اخرى.

وأخيراً خابرت الوكالة المسؤولة عن الكلاب المفقودة. وأخبرني الموظف أن كلباً كبيراً شوهد يسد مدخل بيت، مانعاً صاحبة المنزل وكلبها الصغير من الدخول. وقلت وأنا أفكر في هدوء ماركوني ورزانته: "يبدو أن هذه الاوصاف لا تنطبق على كلبي."

غير أن الكلب المقصود كان هو بالذات. وعرفت لاحقاً أنه كان واقفاً على الباب وهو يود أن يلعب مع الكلب الآخر. وهو لم يقصد الا اللعب والتسلية، لكن ضخامة جثته أخافت صاحبة الكلب الصغير.

وقدت سيارتي الى الوكالة حيث دفعت الغرامة واستعدت ماركوني من وراء القضبان. ولدى مغادرتنا مررنا أمام مجموعة من الاحداث. وصاح أحدهم فيما الآخرون يضحكون: "هذا الكلب كان موقوفاً. لقد اصبح له سجل لدى الشرطة."

لكن هذا ليس بالامر الجلل بالنسبة الى كلب في جودة ماركوني. وهو بدا مرتبكاً وأنا أحاول ألا أبتسم في وجهه. ولدى وصولنا الى البيت توجه حزيناً الى وجاره. ولم أتفوه بكلمة واحدة. أما هو فوقف في الزاوية هناك.

■ كلير سافران

في شبابك تكيف شعرك للتسريحة السائدة. أما في مشيبك فتكيف تسريحتك لشعرك الباقي.

ك.ر.

الضحك خير دواء

كامل الاوصاف

عند وصول السيارة المئة الى بداية الطريق التي افتتحت حديثاً، اوقفها الشرطي وقدم الى سائقها مبلغ ألف دولار وباقة من الزهر. وسأله: "ماذا ستفعل بالمبلغ؟"

فأجاب السائق: "اولا: سأحصل على رخصة قيادة سيارة". وأضافت زوجته: "اعذره يا سيدي! فزوجي يفقد توازنه كلما سكر". وقال والده العجوز الاصم: "ألم أقل لك ان هذه السيارة المسروقة لن تأخذك بعيداً؟"

ن.ن.

الرقم ١١

كان أحد مهووسي سباق الخيل يروي ما حصل له اخيراً، فقال: "ذهبت الى الحلبة في اليوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر، ووصلت الى هناك في تمام الحادية عشرة. وكان ذلك اليوم عيد ميلاد ابني الحادي عشر. واشترك احد عشر حصاناً في الجولة الحادية عشرة. وذلك جعلني اراهن بكل ما أحمله من نقود على الحصان الحادي عشر".

– ولا بد من أن يكون ربح!

"كلا! بل جاء في المرتبة الحادية عشرة."

مجلة "غريت"

موظفو البيت الابيض

راح الضيوف في حفلة في واشنطن يروون الطرائف، فقال احدهم للآخر: "اسمعت آخر طرفة من البيت الابيض؟" فقال احدهم: "قبل أن ترويها، أود ان اخبرك اني موظف في قصر الرئاسة".

– اذاً، سأرويها لك على مهل.

ت.م.ا.

قليل الحظ

قالت فتاة لأحد الشبان في حفلة: "بالطبع أتذكرك! انك الشاب الذي أنسى اسمه على الدوام".

س.ا.

الفرس الرمادية

دعا زوجان اصدقاءهما الى الاحتفال بعيد ميلاد الزوجة الاربعين. وقبل وصول المدعوين خرج الزوج لشراء هدية لزوجته. وفي احد المحلات رأى علباً موسيقية مزخرفة تغني: "سنة حلوة يا جميل" وظناً منه أنها تحوي الاغنية نفسها، تناول علبة اعجبته أناقتها وسأل البائعة ان تلفها في قالب لائق. وعند جلوس المدعوين الى طاولة العشاء، فتحت المضيفة هدية زوجها، فبدأت تغني: "آه، الفرس الرمادية لم تعد مثلما كانت في الماضي".

أ.د.

كثيراً ما يحدث ان نصل الى غايتنا، وما ان نفعل حتى تفلت منا ثانية

حَسناء القطار

نعمت بمقصورة القطار وحدي حتى وصلنا الى روحانا (الهند)· هناك صعدت فتاة وشاركتني فيها·

اغلب الظن ان الزوجين اللذين وقفا يودعانها كانا والديها· فهما كانا قلقين على راحتها، اذ اخذت المرأة تعطيها تعليمات مفصلة عن المكان الذي تضع فيه امتعتها ومتى تحجم عن الاتكاء على النافذة وكيف تتهرب من حديث الغرباء·

واذ كنت أعمى، فلم يمكنني تحديد مظهر الفتاة· لكني عرفت انها ترتدي خُفين من صوتهما كلما ضربا قدميها· اضافة الى اني اعجبت برنين صوتها هي·

"هل انت متوجهة الى دهرادان؟" سألتها فيما القطار يغادر المحطة·

لا بد واني كنت قابعاً في زاوية معتمة لان صوتي روّعها· وبعد زفرة تعجب قالت: "لم اشعر بوجود شخص آخر·"

ان اناساً يتمتعون بنظر صحيح كثيراً ما يقصرون عن رؤية ما هو قائم امامهم· ويبدو ان اشياء كثيرة تمر امام ابصارهم ليلاحظوها· اما الذين فقدوا البصر فيعتمدون موحيات حواسهم الاخرى الاكثر دلالة·

Condensed from Imprint Magazine (August 1971). (c) 1971 by Business Press Private Limited, Bombay.

قلت لها: "انا ايضاً لم أركِ في البداية. لكني سمعتك تدخلين."

وتساءلت عما اذا كان في مقدوري الا اجعلها تلاحظ اني لا ارى. وفكرت: اذا مكثت في مقعدي فلن يكون الامر صعباً.

وقالت الفتاة: "سأنزل في صحارانبور. فعمتي تنتظرني هناك. الى اين انت ذاهب؟"

- الى دهراداان ثم موسوري.

"انت محظوظ حقاً. ليتني اذهب الى موسوري. فانا اعشق الجبال خصوصاً في اكتوبر (تشرين الاول)."

قلت مستدعياً ذاكرتي من ايامي المبصرة: "اجل، انه افضل الاوقات. فالزهر يغطي التلال والشمس الدافئة تغمرها. وفي المساء يجلس المرء امام نار تتوقد فيها جذوع الاشجار. السياح غادروا موسوري الآن ولا بد من ان الطرق هادئة وشبه مهجورة."

وساد الصمت بيننا. فتساءلت عما اذا اثر قولي فيها او أنها اعتبرتني شاعرياً وغبياً. ثم زلّ لساني: "كيف يبدو العالم في الخارج؟" ولم يظهر ان سؤالي اثار استغرابها. اتراها لاحظت اني لا ارى؟ لكن جوابها البسيط بدد شكوكي: "لماذا لا تنظر عبر النافذة؟"

وتلمست طريقي عبر المقعد وتحسست حافة النافذة. كانت مفتوحة، فواجهتها متظاهراً بالتحديق الى الطبيعة الريفية. وفي ذهني كنت ارى أعمدة الهاتف تمضي سريعة، فجازفت وقلت: "هل لاحظت ان الاشجار تبدو كأنها تتحرك فيما نحن نراوح مكاننا؟"

قالت: "هذا يحدث دائماً."

وادرت ظهري الى النافذة وواجهت الفتاة وبقينا صامتين فترة. ثم قلت: "ان لك وجها مشوقاً فعلا."

اني اصبحت جسوراً. لكنها ملاحظة آمنة، فقليلات هن النساء المحصنات ضد الاطراء.

واطلقت الفتاة بدماثة ضحكة صافية رنانة، وقالت: "جميل ان اسمع هذا منك. فأنا سئمت الناس الذين يقولون لي ان وجهي جميل!"

وفكرت: انت تملكين وجهاً جميلا اذاً! وبصوت عال قلت: "الوجه المشوق يمكن ان يكون جميلا ايضاً."

قالت: "تبدو شهماً وصاحب مروءة. ولكن لمَ هذه الجدية كلها؟"

- سنصل الى محطتك قريباً.

"الحمد لله على انها رحلة قصيرة. فأنا لا اطيق الجلوس في القطار اكثر من ساعتين."

اما انا فكنت مستعداً لان اجلس هناك اياماً، استمع الى حديثها والى صوتها المتلألىء كجدول جبلي. لا بد وانها ستنسى لقاءنا العابر حالما تغادر القطار. لكن ذكراه ستلازمني بقية الرحلة وزمناً بعدها.

اطلقت صفارة القطار وتغير صوت العجلات. ونهضت الفتاة تجمع امتعتها. اتراها عقصت خصل شعرها فوق العنق ام انها تركتها تسترسل على الكتفين؟

ودخل القطار المحطة ببطء وتناهى الينا صراخ الحمالين والبائعين. وقرب باب العربة صوت نسائي عالي النبرات لا شك في انه صوت عمة الفتاة.

حسناء القطار

"الى اللقاء،" قالت لي.

كانت واقفة بالقرب مني الى حد اني شممت عطرها. فشعرت بعذاب من يبلغ هدفه ليحرم منه ثانية. وتملكتني رغبة في ان المس شعرها، لكنها ابتعدت ولم يبقَ منها سوى العطر.

وساد الباب بعض ارتباك وتمتم رجل دخل المقصورة عبارات اعتذار. ثم سمعت الباب يغلق، فكأن العالم اغلق دوني. وعدت الى مقعدي وقد اطلق الحارس صفارته وتحرك القطار.

وعدت الى النافذة احدق الى ضوء النهار الذي كان يغلفه الظلام. ومرة اخرى خضت اللعبة مع مسافر جديد.

"آسف لاني لست رفيقاً جذاباً كتلك التي تركت المكان." قال لي محاولا بدء الحديث.

- كانت فتاة مشوقة. هل لك ان تخبرني عن شعرها؟ اكان طويلا ام قصيراً؟"

فأجابني بارتباك: "اني رأيت عينيها، فغاب عني ان انظر الى شعرها. كانت لها عينان جميلتان، لكنهما لا تنفعان. فهي عمياء، الم تلاحظ ذلك؟"

■ راسكين بوند

حماية طبيعية و فعالة
ضد الرطوبة و تقلبات الجو

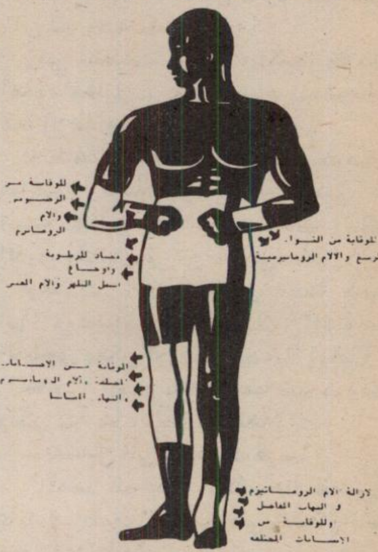

امنوا لانفسكم الحماية بفضل مستحضرات الدكتور جيبو. فهي مدروسة بعناية لتوفر لكم الوقاية المناسبة ولتمنحكم الحرارة.

ان هذه الوقاية توفرها لكم الخصائص العازلة التي يتمتع بها الصوف والتي تمكنه من مقاومة البرد والرطوبة والتبدل في حرارة الجو.

تباع مستحضرات الدكتور جيبو في الصيدليات ولدى المجبرين والاختصاصيين بالعضم في الاردن والسعودية وبلدان الخليج العربي ومصر وسوريا والكويت واليمن ولبنان.

الموزعون:
- جاسم محمد العلي الوزان، ص.ب ١٢٤ الكويت (الخليج العربي).
- CEI ص.ب ١٩٣ حلب - سوريا.
- مكتب الامين للاستيراد، طريق مكة، عمارة بيروتي كيلو متر واحد. ص.ب ٨٩٣ جده - الرياض: السعودية.

Dr. GIBAUD
راحة ووقاية
للاستعلامات: Documentation Pichon S.A
2 Rue Cussinel 42030 Saint-Etienne Cedex France

لا تغرنك المظاهر

المثالي هو من يظن أن رائحة الورد، الاجمل من رائحة البصل، دليل على انّ حساء الورد ألذ من حساء البصل.

هـ.ل.م.

سبع نصائح علمية تساعدكم
في اعادة النكهة الى حياتكم الجنسية

المَلل الجنسيّ
ظاهرة طبيعيّة قابلة للشفاء

على رغم اننا نكره الاعتراف بالامر، فان مزيداً من الازواج يعانون اوسع المشاكل الجنسية انتشاراً، وهي السأم. ويقول روبرت رايتمان احد اختصاصيي المشاكل الجنسية في لوس انجلس: "لا مجال للجدل في ان السأم هو من اكثر الشكاوى التي يتلقاها الاختصاصيون بعلاج المشاكل الجنسية. ان معظم الازواج قلقون لان الجنس لم يعد مثيراً كما كان في الماضي."

ويصف هؤلاء الرجال والنساء حالهم ببعض الحيرة والكدر. فتقول سيدة منهم: "لقد اعتدت وزوجي ممارسة الجنس مرات عدة في الاسبوع. والآن يمر شهر او شهران من دون ان نفعل ذلك." ويلاحظ رجل في اواسط العمر: "لم اعتقد في يوم من الايام ان الجنس يمكن ان يصبح وظيفة اكثر من كونه متعة. ومع ذلك فهذا ما اصبحت عليه حالي الآن." وتروي امرأة اخرى كيف حاولت اثارة زوجها وهو يشاهد مباراة في كرة القدم على التلفزيون. غير ان الزوج قال انه يفضل مشاهدة المباراة.

ليست تلك بحالات غير طبيعية. فقد اظهرت الدراسات ان نسبة الجماع تنخفض من ثلاث مرات في الاسبوع لدى الازواج الذين هم في سني العشرينات الى مرة واحدة في الاسبوع لدى الازواج الذين هم في سني الاربعينات. وتندر ممارسة الجنس اكثر لدى بعض الازواج فلا يتمتعون به الا في المناسبات، كأعياد الزواج. ومع ذلك فلا دليل قاطعاً على ان خمود الرغبة الجنسية يعود الى التقدم في السن او الى اسباب بيولوجية. ففي معظم الحالات

النهار العربي والدولي

إنطلاقاً من قناعتها بأنها مجلة القارئ أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك من خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً من محرريها.
عالج أي موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك (في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة)، وارفقها بصورتك إلى العنوان التالي:

صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت-لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

يعود الامر بكل بساطة الى ان العادة والالفة بلدتا تجربة الازواج السئمين جنسياً.

ايعقل ان يكون السأم نتيجة حتمية لسنوات الزواج الحميمة؟ لا مجال لذلك. ويقول الخبراء ان العديد من الازواج يفتشون الآن عن سبل لتجديد رغبتهم الجنسية في الشريك، ويفلحون في ذلك. ويوافق هؤلاء الخبراء على ان مصدر التجديد يكمن في ذواتنا. وهنا بعض الاقتراحات لكشف ذلك المصدر:

١. ضع على عاتقك مسؤولية اثارة الرغبة الجنسية من دون ان تلقي العبء كله على الشريك.

تقول جوديث دافنبورت من مركز الشوري والعلاج النفسي في سانتا مونيكا، كاليفورنيا: "ينزع معظمنا الى القول: لو كان زوجي (او زوجتي) يفعل (تفعل) كذا وكذا لكان الامر مثيراً. ان لوم الشخص الآخر اسهل عليك. لكن السأم يكمن في نفسك انت والتخلص منه عائد اليك." فبدلا من تخطئة الزوج لجعله الجنس مملا، يمكن المرأة ان تتخيل نفسها نجمة اغراء. وحين تصبح مثارة جنسياً، يكون زوجها اصبح كذلك.

٢. نوع الجو العاطفي للجنس بالتعبير عن حبك بطرق مختلفة.

يتخذ الجنس اشكالا متعددة. فالرقة، مثلا، تجعل الشريك يؤدي دوراً معطاء ولطيفاً عن طريق التودد الناعم والكلمات العذبة. اما الشهوة فتطلق العنان لعواطف واحاسيس دافقة. ويمكن الاغراء ان يعطي فرصة لكلا الشريكين لاستعادة بعض اثارة ايام الغزل. ويسأل رايتمان مستشيريه: "اتذكرون رعشة اللمس والتقبيل التي كنتم تحسونها حتى عندما كنتم تعلمون انكم لن تذهبوا ابعد من ذلك؟ ان احد اسباب سأم الازواج من الجنس انه نادراً ما يُسبق بتلك الهنيهة من الحب."

٣. اعطِ وقتاً للتودد.

الكثير من الازواج يكرسون طاقتهم للعمل والمنزل والاولاد والحياة الاجتماعية. وهكذا لا يبقى الا القليل يعطونه بعضهم بعضاً. فهم يضعون الجنس على قائمة اعمالهم لشعورهم بالذنب لا اكثر: "مضى اسبوع على ممارستنا الجنس للمرة الاخيرة. وعلينا ان نفعل ذلك الليلة." لكن الجنس المبرمج كأي وظيفة ضمن نطاق الحياة الزوجية سيصبح مملا بالضرورة.

زوجان ممن اعرفهم حلاً مشكلتهما بتدبير "لقاء" في منتصف النهار. وكان مكتب الزوج يبعد عن المنزل عشر دقائق في السيارة وهو يتذكر: "قررنا ان اعود الى المنزل مرة في الاسبوع على الاقل حين يكون الاولاد في المدرسة. ولقد عدنا عاشقين وكان الجنس افضل ما خبرناه لسنوات."

تذكر ايضاً ان تدبر وقت للتودد يتضمن ايضاً وقتاً للعناية غير الجنسية، كاسماع الشريك اطراء غير متوقع او وضع عبارة حب في علبة الغداء او القيام عنه بعمل لا يحبه. ان الجنس يبدأ في الدماغ لا في

الغدد، ورموز متواضعة من المحبة تبقي شعوراً حياً بالمودة.

٤. كن واعياً ان هناك اكثر من "درجة" للرغبة الجنسية.

قد يكون احد الشريكين مثاراً تماماً بينما يبدي الآخر القليل من الاهتمام. ومع ذلك يمكنهما تجاهل هذا الاختلال. وغالباً ما تنمو الاثارة لديهما ويشعران بلذة متبادلة. وتقول سيلفيا وايشاوس رئيسة جمعية العلاج الزوجي والعائلي في كاليفورنيا الجنوبية: "اذا انتظر الزوجان حتى يبلغا الدرجة نفسها من الرغبة، فان فترات الامتناع التي يمكن خلالها ان يشعر احدهما بالندم والنبذ والآخر بالذنب، يمكنها ان تزيد الهوة بينهما."

٥. اذا كنت تشعر بالملل الجنسي، ناقش الامر مع شريكك بصراحة تامة.

من الضروري ان تواجها الامر معاً. تساءلا: كيف تغيرت ممارستنا للحب؟ ماذا في وسع كل منا ان يفعل لتحسينها؟ لكن حذار اعتبار الاجوبة نقطة انطلاق للنقاش والشجار، بل لتكن دليلا لكما نحو علاقة افضل. ان التبادل الصادق للافكار حول المشاعر والحاجات الجنسية يمكنه - في ذاته - ان يجدد علاقتكما الجنسية.

٦. تأكدا من ان السأم ليس قناعاً لمشاكل اخرى.

"يمكن السأم ان يكون تنكراً للقلق والكبت الجنسي او طريقة لتنفيس غضب مقموع." هذا ما تلاحظه دوروثي شتراوس مديرة قسم الجنس الانساني في مركز الولاية الطبي في بروكلين، نيويورك. وتضيف: "ان وصف الجنس بانه غير مُرض لا بد وان يكون عقاباً للشريك. وقد يكون أخف وطأة ان تعزو عدم الرغبة الى السأم منه الى العدوانية وخيبة الامل."

ويمكن الفتور الجنسي ان يكون تفاعلا لاشعورياً ضد مشاكل مختلفة كالارهاق والمرض وضغوط العمل والعائلة والمضايقات المادية وحتى الشعور العام بالسأم من الحياة.

٧. تقبل الواقع بأن الجنس لا يمكن ان يبقى مثيراً الى الابد.

ان فترات الهدوء الجنسي - وحتى الهمود - لا مفر منها في الحياة الزوجية. لكن الخطر يكمن في اننا نسرع الى ترجمة اي فقدان موقت للرغبة اخفاقاً او غياباً للحب والارتباط العاطفي. اننا إذ نفعل ذلك نحرك حلقة من التجنب الجنسي يصعب علينا كسرها في ما بعد.

وعلى المدى الطويل فان افضل الطرق لتجنب وقوعنا ضحايا للسأم الجنسي هي ان نخلق جواً من الثقة المتبادلة والاهتمام والعناية، فتكبر العاطفة وتتعمق المودة الجنسية، وكل منهما تعزز الاخرى وتقويها.

■ نورمان لوبسنز

عندما يدرك المرء ان والديه كانا على حق، يبدأ اولاده يقولون له انه مخطىء.

ا.ك.

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME	....	الاسم :
ADDRESS	....	العنوان :
	....	
PROFESSION	....	المهنة :
SIGNATURE	....	التوقيع :

NAME	....	الاسم :
ADDRESS	....	العنوان :
	....	
PROFESSION	....	المهنة :
SIGNATURE	....	التوقيع :

تملأ القسيمة ـ بالعربية او الاجنبية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت ـ لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار".

اشتركوا في هذا اليانصيب و اربحوا

١٨٨ مليون مارك

أضخم يانصيب من نوعه في اوروبا يفتح أمامك فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون. لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ

- عدد البطاقات المبيعة ٥٠٠ الف فقط.
- من هذه البطاقات: هناك ٣٤١٥٨٨ بطاقة رابحة حتما.
- تقريبا. نصف البطاقات المبيعة لها حظ في الفوز بجوائز.
- الربح الاجمالي هو ١٨٨،١٢ مليون مارك الماني.
- هناك اربع جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك.
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك.

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري أسس قبل ٣٥٠ سنة.

ولأكثر من ثلاثين سنة، جعل من أمثالك أصحاب ملايين. ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة.
هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم. وغني عن القول ان المارك الالماني هو من اقوى العملات العالمية واكثرها استقرارا.

الضمان

يضمن دفع المبالغ المدونة ادناه في الدورة الواحدة (نصف عام)

٢ × ١،٥ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٤ × ١ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٢ مليون	= ٦٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ٢٥٠٠٠٠ مارك	= ٢٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ١٠٠٠٠٠ م	= ٢٤٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ٨٠٠٠٠ م	= ٩٦٠٠٠٠ مارك
٢٠ × ٦٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٤ × ٥٠٠٠٠ م	= ١٢٠٠٠٠٠ مارك
٢٨ × ٤٠٠٠٠ م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٥٠٠٠ م	= ٧٥٠٠٠٠ مارك
٣٦٤ × ١٠،٠٠٠ م	= ٣٦٤٠٠٠٠ مارك
٥٦٠ × ٥،٠٠٠ م	= ٢٨٠٠٠٠٠ مارك
١٩٠٠ × ٢٥٠٠ م	= ٤٧٥٠٠٠٠ مارك
٢٠٠ × ٢٠٠٠ م	= ٤٠٠٠٠٠ مارك
[illegible] ١٥٠ م	= ١٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٠ × ١٢٥٠ م	= ٢٥٠٠٠٠٠ مارك
٤٢٦٤٠٠ × حتى ١٠٠٠ م	= ١٣٦٤٠٠٠٠٠
٢٤١٥٨٨ جائزة مجموعها	١٨٨،١٢٠،٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا، وهي معفاة من الضرائب الالمانية. لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام. وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة أو اكثر:
"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة. وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكوميا. ويجري السحب علنا وقانونيا.

غرينغور فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحب واحد كل يوم سبت على مدار نصف سنة. تجري هذه السحوبات تكرارا على جميع البطاقات. وترسل النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة. مرفقة بمعلومات وافية عن تواريخ السحوبات والجوائز المصرفة.
وفي امكان المشترك شراء بطاقة كاملة او نصف بطاقة او ربع بطاقة. فيكون نصيبه من الجائزة معادلا لذلك. وتتساوى جميع الارقام في الحظ.
نصيب في متناول الجميع!
بسيط كلعب الاطفال!
- لكي تحصل على بطاقة. املأ القسيمة في اسفل الصفحة او اكتب اليها من غير قسيمة محددا طلبك.
- عليك ان ترفق طلبك بحوالة مصرفية او بريدية او بشيك شخصي او بشيك سياحي بالمبلغ المحدد.
ويمكنك ان ترسل المبلغ نقدا، ولكن نستحسن اذ ذاك ايداع الرسالة البريد المضمون (المسجل).
- تستلم في المقابل بطاقتك مرفقة بمعلومات وافية عن هذا اليانصيب.
- تستلم ايضا لائحة دورية بالارقام الرابحة.

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية.
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك.

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية. وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين. فهذا من حق صاحب العلاقة وحده.

خدمة حول العالم

اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة. والرجاء، في هذه الحال، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا، أو أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة.

لا تنتظر - اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود. والافضل ان تحجز بطاقتك فورا.

YES I want to be with it and am ordering:

for the next SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE
Starting May and November every year

tickets ea.	DM	or US$	or £
☐ 1/1 tickets at	720.–	360.–	180 – each
☐ 1/2 tickets at	360.–	180.–	90.– each
☐ 1/4 tickets at	180.–	90.–	45.– each
☐ Lucky Letter at	720.–	360.–	180.– each

(= 4 quarter-tickets, each with a different number)

One time additional fee for winning lists, postage, bank charges, and handling!
DM 24.– / US $ 12.– / £ 6.– (add to the above)

Payments received in currencies other than US$, DM or £ will be credited to your account in accordance to the exchange rate of the day. The prices quoted are covering the ticket for one complete cycle comprising all six classes, and the additional fee is a one-time expenditure, too.

Make all checks and orders out to: W. GREGOR, Postfach 110753, D-6000 Frankfurt/M.

☐ I enclose my check / for DM / US$ / £ ______
☐ I will make payment immediately after receipt of ticket(s) and your invoice

Send information in ☐ German ☐ English ☐ French ☐ Spanish

☐ Mr.
☐ Mrs.
☐ Miss

Street address (or P.O. Box No.)

City (postal code No.)

Country

Please print or type all entries

Valid only where legal

المنائر التي تهدي الملاحين في الليالي تعود الى سالف الأزمنة. وسوف تبقى ما بقيت روح المغامرة لدى الانسان

أعيُنُ البِحَار

كل مساء يخيم فوق جزيرة اوشان مهرجان من النور، مهما يكن الجو عاصفاً عند الغسق. ويبدأ هذا المهرجان عندما يتسلق كريستيان دوبي السلم اللولبية ذات الـ ٢٤٤ درجة الى غرفة المصابيح في أعلى المنارة السوداء والبيضاء التي تقوم فوق الأجراف الشاهقة. وهناك يرفع الستائر ليتأمل منظراً محفوفاً بالأخطار، ذلك أن هذه الجزيرة في رأس مقاطعة بريتاني الفرنسية

منارة آرمن (بنيت عام ١٨٦٧).

حارس منارة آرمن يثبت مصباحاً للطوارىء داخل عين المنارة.

تمتدّ داخل البحر كبوابة حصن مرمرية، حيث تعبر نحو مئتي سفينة يومياً. هناك ترغي التيارات الهائجة وتزبد وتتكسر الأمواج العاتية على الصخور، من غير أن ترحم المراكب.

ولكن قبل أن ينزل الظلام الكثيف على اوشان يسرع دوبي، وهو في الرابعة والأربعين، الى إشعال زرّ أحمر يبثّ النور في العدسات والمصابيح الموشورية. وهكذا تستهل أقوى منارة في العالم عملها الليلي.

ان منارة كرياك تبث ثمانية شعاعات دوارة، أي ما يعادل نور ١٦ مليون شمعة، تنبه الملاحين كل عشر ثوان على مسافة ٧٥ كيلومتراً.

ان المنائر تجسد الجمال والجرأة في آن. فالبرج تحفة معمارية ترتقي عالياً بألوانها التي تميزها عن الاشياء الاخرى في الجوار: الأحمر يمحو الالتباس بينها وبين الأجراف والثلوج البيضاء، والأسود يحفظ شكلها وسط الغيوم الرمادية، والأبيض يمنحها طابعاً خاصاً وسط الحجار السود والطبيعة الخضراء.

بُني العدد الأكبر من المنائر أيامَ السفن الشراعية. وعلى رغم اعتماد الملاحة العصرية مبتكرات التكنولوجيا، بما فيها الرادار، ألاّ أنّ الحاجة الى المنائر لا تزال كسابق عهدها. ويقول اندريه سيمون، رئيس المكتب الفرنسي لإرشاد السفن في بلدة بريست في مقاطعة بريتاني: "مهما بلغ عدد الصناديق السحرية في حوزة الملاح، فهذا لا يُغنيه عن استخدام عينيه، مما يعني أنّ الملاّح الحكيم لا يمكن أن يستغني عن المنارة التقليدية."

سفن فضائية – إنّ نحواً من نصف منائر العالم الرئيسية، وعددها ٢٢ ألفاً، نجده على سواحل القارة الاوروبية التي تغصّ بالسفن. ومعظم منائر اوروبا البالغة الأهمية، وهي ٨٤٥ منارة، ما زال يتعهد كلا منها حارس واحد. وحراس المنائر، كالملاحين، متمرّسون في شؤون البحار. إلاّ أنّ "سفينة" الحارس تمتدّ الى فوق، مكوّنة من سبع غُرف دائرية أو ثمان، بعضها فوق بعض وقد وصلت أدناها بأعلاها سلم ضيقة.

وينعم كريستيان دوبي النظر من

زجاج النافذة في منارة كرياك ليتأكد من أنّ المنائر الاخرى على ساحل أوشان تعمل بفاعلية لارشاد السفن عند مداخل اوروبا الشمالية الغربية. وهناك ستة من الشعاعات الخمسة عشر التي يراها تبثها أطرف المنائر طراً، وهي أبراج غُرست قواعدها تحت البحر.

ولحرّاس المنائر الفرنسيين طريقتهم الخاصة في تصنيف المنائر. فتلك التي تقوم على اليابسة يسمونها "الجنة." وتلك التي تقوم على الجُزر ويمكن طرق بعض المواضع حولها يسمونها "المطهر" (★). اما المنائر التي لا تحيطها إلاّ مياه البحر والأمواج فيدعونها "الجحيم." وفي هذه المنائر يعمل الحرّاس اسبوعين، يمكثون بعدهما اسبوعاً كاملا في البيت.

ويقول ميشال بيرتوليه (٤٩ سنة) الذي نُقل الى "المطهر" على جزيرة ستيف بعدما أمضى نحو عشر سنين في "جحيم" كيريون ولا جومان بالقرب من اوشان: "إنّ هذه المهنة نسيج وحدها. ولا يكفي أن يحبّ المرء البحر، بل يجب أن يستسلم له بكليته الى حد ان يتناساه." ويعطي بيرتوليه مثلا عن المنائر الجحيمية، فيقول أن الأمواج العاتية تقتحم أبوابها الحصينة وترتفع حتى البرج، وأحياناً تخترق النوافذ وتنهمر مياهها كالشلال على درجات السلم. ويضيف: "وهذا يحرم الحارس النوم بعض الأحيان."

إنّ المنائر قديمة قدم روح المغامرة لدى الانسان. وبين عجائب العالم القديم السبع منارتان: واحدة كانت في الاسكندرية في مصر وأخرى في جزيرة رودس اليونانية. ومن المنائر الكثيرة التي بناها الرومان واحدة في بلدة لاكورونيا شمال غرب اسبانيا. ومنذ إعادة بنائها عام ١٧٩٠، غدت أقدم منارة مستعملة في العالم. لكنّ عهد المنائر البطولية التي بُنيت وسط ظروف عسيرة وشبه مستحيلة، بدأ قبل ٣٠٠ سنة.

مصابيح ومرايا — بعد غرق سُفُن كثيرة عند حيد بحريّ يدعى اديستون ويقع بالقرب من بلدة بليموث الانكليزية، أُقيمت على تلك الصخور منارة ذات برج خشبيّ مزخرف. تلك كانت المنارة الاولى التي تقام فوق الصخور المعرّضة للأمواج. وقد تداعت بعد سنوات خمس من العمل، وذلك عام ١٧٠٣. وأقيمت مكانها منارة اخرى دامت ٤٧ سنة قبل أن تحترق. أما منارة اديستون الثالثة فغدت نموذجاً لمعظم المنائر المبنية داخل البحر طوال السنوات المئة والخمسين اللاحقة. وهذه المنارة أُنجزت عام ١٧٥٩ بعد تثبيتها في الصخر بواسطة قضبان حديد وتشييدها بقطع حجار متداخلة. وظلت تعمل الى أن تقوّضت مع تشقق الصخر في السبعينات من القرن الماضي.

ان جميع المنائر الصخرية كان بناؤها محفوفاً بأخطار هائلة. فوضْعُ القدم فوق هذه الأجراف

(★) موطن تطهر فيه نفوس الابرار.

يعني ركوب الأهوال، لأنها عالية جداً ولا تعرف الجفاف ألا ّ دقائق معدودات يومياً. وعلى العامل فوقها أن يملك قدرة على التشبث شبيهة بقدرة حيوانات البحر الرخوية. وعندما تقرر بناء منارة في جزيرة آرمن في مقاطعة بريتاني الفرنسية عام ١٨٦٣، بقي المهندس المسؤول عن تنفيذ المشروع يكرر محاولاته سنة كاملة قبل ان ينجح في تسلق الصخور. تلك المنارة التي ترتفع ٢٩ متراً لم تبث شعاعها الأول ألا ّ في العام ١٨٨١.

وظلت المنائر على اليابسة تُضاء باشعال النار الى أن اعتُمدت المصابيح الزيتية ومرايا الفضة. وفي مطلع القرن الحالي ابتُكر مصباح الزيت الذي يعمل بالضغط والذي تتوسَّطه رتينة، وهي غطاء مخرَّم غير قابل للاحتراق يوضع فوق الشعلة فيتوهَّج ويضيء. وهذه الطريقة لا تزال سارية في آرمن ومحطات بحرية كثيرة لا يبلغها التيار الكهربائي.

أما تاج المنائر كلها فهو عينها. هذه تشبه قفص طائر معدنياً ضخماً تتشابك حوله الزجاجات الموشورية والعدسات الثقيلة. وقد ابتُكرت هذه الآلة عام ١٨٢٢ على يد الفيزيائي الفرنسي اوغسطين فرينيل بهدف تجميع النور في أشعة صغيرة جبارة. ولدى تعويمها فوق حوض زئبق للاضعاف الاحتكاك، وتثبيتها الى عجلاتٍ آلية، فأنها تأخذ في الدوران حول النور الثابت الذي ينبثق منها كأنه وميض. ومن اكبر هذه "العيون" تلك التي وُضعت في منارة كيب ريس (نيوفاوندلاند) عام ١٩٠٧. ويبلغ طولها ثلاثة أمتار و٤٥ سنتيمتراً ووزنها ٤٢ طناً.

ولكن مع ظهور المصباح الكهربائي انتفت الحاجة الى هذه العين. والأشعة التي تبثها منارة كرياك، على سبيل المثال، تنطلق من زجاج مصابيح تعمل على الغاز وتستعمل في التصوير السينمائي. وفي البرج مولدات ديزل احتياطية تستخدم في حال انقطاع التيار الكهربائي.

ألا ّ أن ّ التكنولوجيا العصرية لا تمنع حدوث الطوارىء. ويروي لوي شابيل (٥٩ سنة) كيف انقطع النور في قبة منارته في جزيرة فيارج (مقاطعة بريتاني) عام ١٩٥٨، على أثر صاعقة برق ضربت أعلى البرج وأفقدته الوعي وهو في المطبخ. لما صحا من غيبوبته تسلق درجات السلم الـ٣٩٧ وأنار مصباحاً نحاسياً قديماً احتفظ به في البرج تحسُّباً لحالات كهذه.

العمل التلقائي ـ أن ّ حراس المنائر يدركون قيمة عملهم، خصوصاً اذا كانوا بحارة سابقاً. وهكذا، عند تحطُّم زجاج منارة لا جومان بفعل الامواج العاتية، تسلل لوي لو نوريه (٥٢ سنة) داخل المصباح نفسه، حيث أمضى الليل كله يشعل النور كلما أطفأته الريح. ويقول ان ذكرياته في الملاحة حثته على أبقاء الشعلة متوهجة. ففي مطلع عهده كبحار هبت عاصفة قوية لم يشدده عليها سوى الانوار التي انبعثت من منارة لا جومان ذاتها.

والواقع أن ّ البحارة المتقاعدين

يحبون أن يعملوا حراساً للمنائر. وعلى رغم انّ الراتب لا يغري كثيراً - باستثناء الرواتب الفرنسية التي تفوق سواها بنسبة ٤٠ في المئة - الاّ أنهم يزودون بمنازل مفروشة. ويقول جان بيار لوكوك (٣٩ سنة) الذي عمل في صيد السمك وتنظيف الشواطىء والغوص قبل أن يصبح حارس منارة كيريون عام ١٩٧٦: "هذا النوع من العمل يمكن أن يكون مصدر سعادة. فهو يضفي الهدوء على حياة المرء، اذ تقتصر واجباته على انارة المصابيح بعد ربع ساعة من غروب الشمس." ويتفقد لو كوك برج المنارة كلّ ١٥ دقيقة ليرى اذا كانت الغيوم تزحف نحو المكان. وفي هذه الحال عليه أن يطلق صفارة لانذار الملاحين. وهو يخابر عائلته كلّ مساء بواسطة جهاز ارسال، فيتكلم الى زوجته ويصغي الى ابنته تنشد الأغاني التي تعلمتها في المدرسة.

وقد جرت العادة في فرنسا أن يتولى حارس المنارة تنظيفها من أعلى الى أسفل في اليوم الأخير من نوبة خدمته. أما في بريطانيا فالتنظيف الآن يتمّ يومياً. وفي فصل الشتاء يحصل أحياناً تأخير في تبديل الحراس قد يدوم يومين أو ثلاثة، بسبب رداءة الاحوال الجوية. لذلك لجأت بلدان كثيرة الى استخدام الطائرات المروحية لهذه الغاية، بعد اقامة منصة صغيرة لهبوطها واقلاعها عند قاعدة المنارة، خصوصاً اذا كانت هذه واقعة في البحر. ويقول هارولد تايلور، الحارس الرئيسي لمنارة بيشوب روك في جزر سيلي

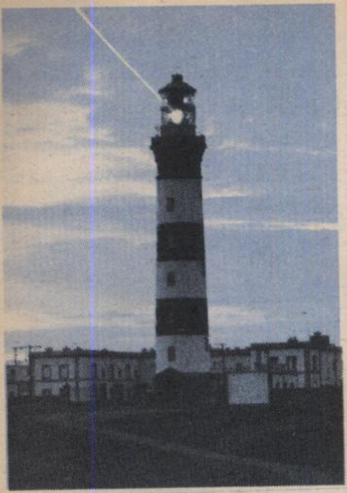

منارة كرياك.

البريطانية الذي بقي مرة محتجزاً ثلاثة أسابيع في منارة اديستون: "العمل اليوم يجري بدقة بالغة. واذا تأخر وصول الطائرة المروحية ساعتين فقط، فأن القلق ينتابنا"

وفي كثير من المنائر التي يسهل بلوغها اقتُصر على حارس واحد. ومن هذه "الجنات" اثنتان بالقرب من بلدة بريست الساحلية: بوانت دو سان ماتيو التي يحرسها لوي شابل، وبيتي مينو التي يحرسها لوي لو نوريه. ولدى حدوث أيّ طارىء يقرع جرس انذار في غرفة نوم كل منهما. وهذا يعفيهما من السّهر طوال الليل عندما يكون الطقس رديئاً.

ثمة نزعة في المناطق التي تنعم بأحوال جوية معتدلة الى الاستغناء عن الحرّاس واعتماد نظام تلقائي. ومن هذا القبيل ما حصل بالنسبة الى ثلاث منائر قرب لشبونة، عاصمة البرتغال، عام ١٩٨١. ومن المقرّ

الرئيسي لمصلحة المنائر الاسوجية في بلدة نوركوبينغ، يمكن الاتصال عبر جهاز تلفزيوني بثمانين منارة تعمل كلها تلقائياً. ويمكن اصلاح الأعطال الخفيفة اوتوماتيكياً. أما في حال حدوث خلل أساسي، فانّ المهندسين المختصين يرسلون فوراً الى مكان الحادث في طائرة مروحية. وفي المانيا الغربية منائر كثيرة بات العمل فيها تلقائياً. ولئن يكن هذا التدبير أقلّ امكاناً بالنسبة الى المنائر القائمة في البحر، ألاّ أنّ منارة. اديستون الانكليزية استغنت عن حراسها صيف ١٩٨١. وفي رأي ديفيد فينينغز، كبير المهندسين المدنيين في محطة ترينيتي هاوس التي تدير منائر انكلترا وويلز البالغ عددها المئة، أنّ جميع المنارات، بما فيها البحرية، ستعمل كلها تلقائياً مع بداية القرن المقبل.

غير أنّ فرنسا لا تعوّل كثيراً على هذا الأمر. ويقول اندريه سيمون "انّ الحاجة الى حراس المنائر لن تزول، خصوصاً بالنسبة الى مراقبة المبنى واصلاح أيّ خلل يطرأ عليه... هذا ما تعلمناه عام ١٩٧٩، عندما أتت عاصفة شديدة على منارة لو بوك بالقرب من كاب دو لا شافر." وهذا يعني أنّ كريستيان دوبي وجان بيار لوكوك وسواهما من حراس المنائر الفرنسية قد يبقون طويلا في عملهم الليلي، يتسلقون السلالم اللولبية لانارة الشعلة التي تهدي الملاحين.

■ جون دايسون

باخ واولاده العشرون...

أعطى استاذ تاريخ الموسيقى طلابه امتحاناً يقتضي ملء فراغات على الورق. وكان بين الاسئلة الآتي: "أنجب باخ عشرين ولداً. وهو أمضى معظم حياته في....."

واستغلّ بعض الطلاب الظرف، فكتبوا: "السرير." وكتب آخرون: "المانيا." وأجاب أحدهم، وهو يعرف شيئاً عن محن العائلات الكبيرة، ان باخ "أمضى معظم حياته مديوناً."

ب.ز.

هندسة مزارع

أسفرت أعمال أحد المصانع عن تعطيل شبكة طرق ضمن منطقة زراعية. ولدى الشروع في اصلاح الشبكة سأل مزارع مهندساً: "هل الطريق التي تقيمونها من خمسة سنتيمترات أو ثمانية؟".

ـ ألا تعرف أنّ كثافة الطريق خمسون سنتيمتراً وعرضها بضعة أمتار؟

"هذا صحيح. لكنّ طريق السنتيمترات الخمسة، في مفهومنا نحن المزارعين، هي التي تنهار بعد سقوط خمسة سنتيمترات من المطر عليها. وطريق السنتيمترات الثمانية تنهار بعد تلقيها ثمانية سنتيمترات مطراً."

ا.ب.

خبير في علم النفس المختص بالأسرى والرهائن
يقترح أربع خطوات لمواجهة
الظروف العصيبة

مَاذا نفعل لمواجَهة الشدائد؟

بعد الافراج عن الامريكيين الاثنين والخمسين الذين احتجزوا في ايران ٤٤٤ يوماً، خشي كثيرون الا يستعيد هؤلاء توازنهم النفسي. ومن المذهل حقاً ان معظمهم استعاد حيويته منذ اطلاقهم في ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٨١، معيداً وَصْل الخيوط المنقطعة من حياته، ومستأنفاً نشاطه. ولدى بعضهم قناعة بأن العذاب شدده وقوّاه.

ولم يفاجئني هذا الأمر بعدما أمضيت سنوات طويلة باحثاً في حقل المسائل النفسية المتعلقة بعواقب السجن والأسر. وكنتُ واجهت حالا مماثلة قبل عقد من الزمن لدى مقابلتي أسرى الحرب الامريكيين العائدين من فيتنام بعدما عُزلوا سنوات عن العالم وعُذّبوا وأُهينوا. الا انهم وجدوا، بعد الافراج عنهم، أقوى حالا مما توقع اختصاصيون كثيرون بالصحة النفسية. فما العامل الذي ساعدهم في الصمود وسط تلك الظروف المعادية؟

لا شك في ان لكل شخص أسلوبه الخاص في مواجهة المواقف. غير ان انتصارات الأسرى الصامدين تلقننا عبراً أساسية يجدر بكل امرىء التعلم منها. ولئن تكن قلة منا عرضة لكي

تغدو رهينة أو اسير حرب، الا ان معظمنا معرَّض لان يغدو أسير الاجهاد والارهاق. وقد يكون سبب هذا، بالنسبة الى بعضهم، مرضاً جسدياً، وبالنسبة الى آخرين أوضاعاً مالية سيئة، والى سواهم قلقاً او غماً أو خلافات عائلية او فقد قريب عزيز.

وفي اعتقادي ان ثمة أربعة مبادىء أساسية تمكن أسرى الاجهاد من الصمود وحتى من اكتساب قوة لم تكن لهم قبل خبرتهم الأليمة. وهذه المبادىء تؤدي دورها بامتياز لدى اولئك الذين يعانون العبودية الجسدية. لكني أقع عليها يومياً في حياة أناس عاديين اعتادو الصبر على الشدائد. واذا اهتدى المرء بهذه المبادىء، فهي كفيلة بتقويته أيام الضيق.

١. ابقَ على اتصال مع الآخرين

اننا جميعاً، وحتى الأقوى بيننا، نحتاج الى سند الآخرين في زمن الشدة. ولنتمثل بضابط البحرية الامريكية الكابتن جيمس ستوكديل الذي جُرَّ ذات يوم من زنزانته في السجن الى بقعة ريفية معرَّضة لحرِّ الشمس. وهناك أُرغم على البقاء ثلاثة أيام ويداه موثقتان وراء ظهره ورجلاه مقيدتان بأغلال حديد ثقيلة. ولم يسمح له الحراس بالنوم، بل انهالوا عليه ضرباً. وبعد ضربه في احدى المرات، أتاه حارس يمسح دمه بمنشفة ويكلمه بلغة السجون السرية لينقل اليه العبارة الآتية: "باركك الله يا جيم ستوكديل."

أما في السفارة الامريكية في طهران، فقد اقتيدت السَّجينتان كاترين كوب وآن سويفت الى غرفة الحمام معصوبتي الأعين. وكان هذا يُكرَّر كل صباح. وهناك كانتا تفتشان في سلة المهملات عن رسالة او عبارة تركها احد الزملاء السجناء. وتقول كاترين كوب: "كنا نفعل ذلك لنشعر بقرب الآخرين منا ونستمد القوة احدانا من الأخرى."

ان الاتصال الذي يُجريه المنكوبون بعضهم ببعض والدعم الذي يقدمه أحدهم الى الآخر مهمان جداً وقت الأزمات. وربما احتجنا احياناً الى نصيحة من صديق حكيم وأحياناً اخرى الى عبارة مُشجِّعة. غير ان العديد من الناس ينكفىء على نفسه لدى مواجهته خبرة مرة.

وربما كنا نجهل مقدار الدعم الذي يمكن ان نستمده من صديق حميم أو من قريب في أزمنة الضِّيق. والدعم نفسه يمكن ان يمدنا به طبيب او رجل دين أو خبير نفسي. والمهم ان يجد المرء الشخص الذي يمكنه مد يد العون اليه.

٢. ساعد الآخرين في اجتياز الصعوبات

ان رثاء المرء لحاله لن يزيد قدرته النفسية على التحمُّل. لكن هجر دور الشهيد والشفقة على الآخرين الذين يعانون تجارب مشابهة هما الكفيلان بتقويتنا.

ومن هذا القبيل ما حدث لسفير أمريكي سابق في كولومبيا هو دييغو آسينثيو، أمضى وزملاءه الديبلوماسيين ٦١ يوماً محتجزين لدى ارهابيين ساموهم صنوف العذاب

والهوان. وهو يتذكر ذلك الحادث قائلا: "أظن أن الامر الذي ساعد معظمنا هو عدم بقائي قابعاً في الزاوية، بل عملي لمصلحتنا جميعاً. والواقع ان عنايتي المستمرة بزملائي الرهائن لم تُبْقِ لدي وقتاً للتفكير في المحنة وبكاء حظنا العاثر."

وهناك مثل آخر على الأثر الايجابي الذي يخلفه الاهتمام بالآخرين، نجده في تجربة ضابط البحرية الامريكية بورتر هاليبورتون، وهو أبيض من الجنوب حيث العداوة على أشدها بين السود والبيض. وقد وجد نفسه في أحد سجون فيتنام الشمالية في زنزانة واحدة مع ضابط أمريكي أسود من السلاح الجوي هو الميجور فريد تشيري، وكان هذا مصاباً بجرح بالغ. وخلال الأشهر التالية، كان هاليبورتون يرغم تشيري على تناول الطعام. كما كان يغسله ويحمله الى المرحاض ويتكلم اليه دونما انقطاع لكي يُبقي ذهنه منشغلا عن عذابه الجسدي". ولئن بقي تشيري حياً، فهو مدين بحياته لزميله الضابط البحري. ولكن كما يقول جون هابل في كتاب عن أسرى الحرب: "ان العناية بالآخرين تقوّي المعتني والمعتنى به على السواء في الضيقات. انها تعزز ثقة الاسرى بأنفُسهم خلال عذابهم الطويل."

ومن السهل في حياتنا اليومية ان نتغافل عن حاجات الذين حولنا. ولكن يَحْسن بنا ان نستمد عبرة من تجارب الأسرى لنعرف ان مساعدتنا الآخرين في اجتياز محنهم تعيننا نحن كي نواجه مآسينا الشخصية.

٣. أمْسِك بزمام حياتك اليومية

ان أسوأ نقطة في عذاب العديد من الأسرى هي معرفتهم المفاجئة انهم في أيدي الأعداء. ومعظم الذين تجاوزوا العداوة أمكنتهم السيطرة على الموقف.

وكان جون ليمبرت، احدى رهائن طهران، كلما دخل عليه سَجّانُه الايراني دعاه الى الجلوس. "لقد باتوا ضيوفي،" يقول جون، "وبهذا أقنعتُ نفسي بأن الحيز الذي يؤويني هو ملك لي. وهكذا تغلبتُ على ضعفات نفسية كثيرة."

وكان أسير آخر يحيي حارسه كلما عامله بعنف بعبارة "السلام عليكم." فاذا صمت الحارس ولم يجب، اعاد الاسير العبارة حتى يلين السجان ويرد له التحية بأخرى، مما قوى موقف السجين وفتح عينيه على الجانب المشرق من وجوده.

هذه الأفعال الجريئة تعطينا عبرة فعالة، الا وهي ان في امكاننا مواجهة الأزمات اذا لم نستسلم لليأس ولجو الأسر الخانق. وعلى غرار الرهائن، يجدر بكل منا ان يحقق افعالا تُظهِرُ له ان في يده توجيه مصيره.

٤. ثِق بقوتك الداخلية

نادراً ما نحتاج الى اخضاع قوة التحمُّل لدينا الى الفحص الدقيق. لذلك يبقى معظمنا من دون فكرة عن مقدار قوته الداخلية. ولا ريب في ان الناجين من الأسر يمنحوننا البرهان الحي عن الطاقة الكامنة لدى كل منا والتي تعينه على مواجهة المصاعب.

وبين الامريكيين الذين نجوا من سجون فيتنام الشمالية واحد اسمه ايفيريت الفاريز، سجل الرقم القياسي ببقائه في المعتقلات نحواً من عشر سنين. وهو أمضى الأشهر الاولى في سجن انفرادي لا تبلغه الا أصوات الجرذان الضخمة المنطلقة من زاوية الى أخرى. واصيب السجين بمرض حاد في امعائه وارتفاع في درجة الحرارة. لكنه، في أحلك الساعات، لم يفقد الأمل، بل ظل يصلي ويفكر في زوجته وعائلته.

وجاءته الضربة الأشد عنفاً حين علم، بعد ست سنوات من الأسر، ان زوجته تطلب الطلاق. ويتذكر ان ذلك كان اشد هولا من كل عذاب جسدي تلقاه.

وفقد الفاريز معنوياته ودخل طوراً من الانحطاط النفسي والجسدي دام ستة اشهر. "ثم في يوم صيف،" يقول، "أتيح لي التنزه خارجاً. ونظرتُ الى السماء فوقي، فاذا بها زرقاء واذا بي لا ازال حياً. وقلتُ لنفسي "من المضحك ان تكون تركت ذلك الامر يقض مضجعك." وللحال اكتشفت لديّ قوة لم أكن أدري بها."

وها هو الفاريز اليوم، بعد مضي ثماني سنوات ونيف على اعتاقه، يعيش مع زوجته الثانية المخلصة وابنيه بالقرب من العاصمة الامريكية واشنطن، وهو على وشك نيل شهادة الحقوق من جامعة جورج واشنطن. وقبل أشهر عينه الرئيس رونالد ريغان نائباً لمدير "فيالق السلام" في حكومته، وهي الفرقة التي تُعنى بالأعمال التطوعية في مقابل إعفاء افرادها من الخدمة العسكرية.

ويقول الفاريز: "كثيرون يتعجبون لصمودي طوال ذلك الوقت. ولاولئك أقول: "ان ذلك في مستطاعكم أنتم ايضاً." والحق ان الناس لا ينظرون الى الطاقات الكامنة في ذواتهم."

ان الفاريز على حق. فنحن نواجه المصاعب معظم الاحيان مقتنعين بأنها ستُضعِفُنا بل ستحطمنا. وقلما قدَّرنا ان لدينا طاقات تجلُّ عن الوصف.

■ جوليوس سيغال

الديبلوماسي هو الشخص الذي يرفع حاجبيه، عوضاً عن رفع صوته، لدى اكتشافه خطأ.

ف.١٠.

زوجة واسعة الخيال

أكبر مشكلة واجهها مدير شركة كبيرة خلال سنته الاولى في الوظيفة كانت الكلام أمام جمهور كبير. وقدمت اليه زوجته النصيحة الآتية: "عندما تقف أمام عدد كبير من الناس لتخطب فيهم، تخيل أنك ترى كلا منهم في ملابسه الداخلية." وعمل الرجل بتلك النصيحة، وغدا خطيباً لا يُجارى.

ر.ب.

تأمّلات معَاصِرَة

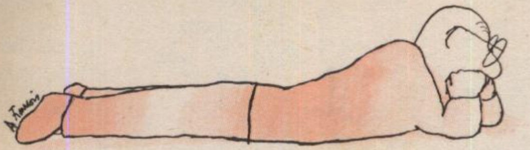

البسمة تُغْني

البسمة لا تكلف شيئاً، لكنها تنطوي على طاقة خلق عظيمة. وهي تغني اولئك الذين يتلقونها من غير ان تفقر من يعطيها. وعلى رغم انها تحدث في طرفة عين، الا ان ذكراها تدوم أحياناً الى الأبد. ولا أحد من الغنى بحيث يستغني عنها، تلك التي يمكن ان نسميها غنى الغني والفقير على السواء. انها تخلق السعادة في البيت والارادة الصالحة بين البشر، وهي العلامة التي يُعرف بها الأصدقاء. انها راحة المتعب ونور اليائس والعلاج الطبيعي لمشكلاتنا. الا انها لا يمكن ان تباع او تستعطى او تستعار او تُسرق، فهي لا تعني لأحد شيئاً الا اذا تلقاها من سواه. ولا أحد يحتاج الى ابتسامة اكثر من الذين لم يَبقَ لديهم من ابتسام يعطونه للآخرين.

كاتب مجهول

اللوم لا ينفع

كل لوم هو اضاعة وقت. ومهما يكن الخطأ الذي تراه في الآخر ومهما بلغ لومك له، فهذا اللوم لن يغيرك. وكل ما يفعله لك اللوم هو البحث عن أسباب تعاستك وخيبتك خارج ذاتك. وربما أفلحتَ في خَلق حس بالذنب لدى من تلقي اللوم عليه، لكن هذا لن ينقص شيئاً من تعاستك.

واين داير

الافكار الجميلة

لتكن أذهانكم أعشاشاً للأفكار المشرقة الصافية. فالقصور المسحورة التي تعمرها الأفكار الجميلة لا تقوى عليها الزعازع. وان الخيالات والذكريات والتواريخ والأقوال النبيلة لا يأتي عليها الألم ولا يسلبنا اياها الفقر. انها بيوت لم ترفعها يد، وفيها تسكن نفوسنا وتجد راحتها.

جون رسكن

اعرف حدودك!

من أجل فهم حياة شخص ما، لا يكفي أن نعرف ماذا يفعل، بل يجب أن نعرف أيضاً ما الذي يتركه عن عمد. ثمة حدود لعمل المرء الجسدي والذهني. والحكيم هو من لا يضيّع وقتاً في تحري مسائل ليس مؤهلا لها. والأحكم منه هو ذاك الذي ينتقي، من بين الأشياء التي يقدر عليها، تلك التي يجد في انجازها أكبر متعة ممكنة.

وليم غلادستون

الايمان بالذات

أن تؤمن بنفسك: تلك هي المسألة. حتى عندما كنت في مأوى الايتام: أطوف الشوارع بحثاً عن قوت: كنت أؤمن بأني أعظم ممثل في العالم. واذا كنت تفتقر الى السعادة التي يمنحها الايمان بالذات: فأنك: لا محالة: سائر الى أخفاق.

شارلي شابلن

الجنين يكتمل عقله في الشهر السادس!

معلومات مذهلة عن اثر الموسيقى والتدخين ورغبة الام في الانجاب، في تكوين شخصية الطفل قبل ولادته

وقبل سنوات امضيت عطلة نهاية اسبوع مع بعض الاصدقاء في الريف. وكانت مضيفتي هيلين حاملا في شهرها السابع. وكنت اراها في المساء تجلس وحيدة امام المدفأة تغني تهويدة حلوة لطفلها الذي لم يولد بعد.

وبعد ولادة طفلها اخبرتني هيلين ان الاغنية كان لها تأثير سحري فيه، اذ مهما اشتد صراخه فانه كان يهدأ حالما يسمع التهويدة. وبصفتي طبيباً نفسانياً يهتم لاختبارات ما قبل الولادة، فقد اثار حديثها فضولي ورحت اتساءل عما اذا كان لتصرفات المرأة الحامل اي تأثير في طفلها قبل ولادته. فرحت انقب في النشرات العلمية عن معلومات تساعدني في فهم عقل الطفل في رحم امه.

وقد برزت من هذا البحث صورة للجنين تختلف تماماً عما يطالعنا في الكتب التقليدية لطب الاطفال من انه مخلوق غير فعال ومن دون عقل. وكان الدليل على هذه الصورة الجديدة يتعزز عاما بعد عام. فقد اكتشفنا في اواخر الستينات ان هناك تواصلا بين الام وطفلها بعد الولادة واسمه "الرباط." وطبيب التوليد الفرنسي فريدريك لو بوايي مؤلف كتاب "الولادة من دون عنف" (١٩٧٥) كان لديه حدس بأن الطفل خلال ولادته يستحق - بل يتطلب - اهتماماً خاصاً ورعاية وحناناً. والبحث الجديد، من نواح كثيرة، ليس الا تتمة منطقية للدراسة السابقة لتبكير تكوّن رباط المحبة والرعاية خلال فترة الحمل.

لماذا يرفس الجنين؟ - معظم ما اثبتته الدراسات الفيزيولوجية والعصبية والبيوكيميائية والنفسانية ينطبق على الطفل منذ شهره السادس في الرحم فهو منذ ذلك الحين كائن حي يأسر الالباب.

ويشير هنري تروبي، وهو مدرس سابق لطب الاطفال واللغات وعلم الانسان في جامعة ميامي في فلوريدا، الى ابحاث ترجع الى العام ١٩٦٠ وتظهر ان الجنين يبدأ السمع وهو في الرحم منذ الشهر السادس. والاغرب من ذلك انه يستجيب لحديث والدته. والجنين في شهره السادس يتجاوب مع الموسيقى ويمكنه حتى تمييز ايقاعها. فاذا اديرت موسيقى فيفالدي، هدأ الجنين واسترخى مهما كان هائجاً. واذا وضعت موسيقى بيتهوفن او اي موسيقى صاخبة، فان معظم الاجنة تبدأ الرفس بعنف.

ويقول بوريس بروت قائد فرقة "فيلهارمونيك اوركسترا" في اونتاريو (كندا): "كنت في مطلع شبابي احار من مقدرتي الفائقة على عزف بعض القطع الموسيقية من دون النظر الى النص. فكثيراً ما يحدث، وانا اقود الفرقة في تجربة اولى، ان يبرز لحن من الكمان فأتابع مجرى اللحن من دون ان اقلب الصفحة. ولقد حدثت والدتي بذلك يوماً، وهي عازفة كمان محترفة، ظناً مني انها ستستغرب ذلك خصوصاً ان لحن الكمان وحده هو الذي كان واضحاً في مخيلتي. لكنها عندما سمعت عناوين القطع التي كنت اعزفها زال عجبها، فجميعها كان مما اعدته لبرنامج موسيقي

Condensed from «The Secret Life of the Unborn Child.» (c) 1981 by Thomas Verny, M.D. and John Kelly, published by Simon and Schuster, Inc., New York. Photo of the fetus: (c) S.J. Allen / Woodfin Camp and Associates. Other photo: Stockphotos Inc. / Masterfile.

عندما كانت حاملا بي، ولم تعزفه بعد ذلك."

ومنذ ١٩٤٨ عمد الباحثون في جامعة كارولينا الشمالية الى تعليم ١٦ جنيناً الاستجابة بالرفس لذبذبات حسية. والجنين يتجاهل عادة مثل هذه الاحاسيس الناعمة. الا ان الباحثين المذكورين احدثوا رد فعل مكتسباً لدى الاجنة بتعريضها اولا لصوت عال ينبعث عن بعد خطوات من الام، ثم ادخلوا الذبذبة حالا بعد الصوت. وفي آخر الامر اصبح الترابط بين الذبذبة والرفس آلياً، حتى ان الاجنة تعلمت الرفس بتأثير الذبذبة وحدها من دون الصوت.

وتوحي الدراسة ايضاً كيف تبدأ معالم الشخصية في التكون لدى الجنين. فسمات المحبة والكراهية والخوف والهلع - بل كل الصفات المميزة التي تساهم في تكوين الشخصية - هي نوعاً ما نتاج ردود الفعل المكتسبة داخل الرحم.

فما الذي يثير القلق المتمكن لدى الجنين والذي يبقى اثره طويلا؟ احد العوامل هو تدخين الام. فقد اظهرت بعض الدراسات الاثر العميق الذي يتركه تدخين الام في جنينها. من ذلك تسارع شديد في نبضات القلب وانخفاض في التزود بالاوكسجين ونقص في الوزن.

ومن الطبيعي ان لا يدري الجنين ان امه تدخن. لكنه يكون نما كفاية ليبدي انزعاجه الناتج من نقص في تزوده بالاوكسجين. وربما كان الضرر النفساني اقوى واشد مما يدفع الطفل الى حال مزمنة من الخوف وعدم الثقة. فهو لا يدري متى سيرجع ذلك الاحساس المزعج او مدى ايلامه لدى حدوثه. لكن الخبرة علمته ان ذلك الحدث سيتكرر.

ويبدو ان امراً عادياً كنبضات قلب الام قد يكون له تأثير نفساني في الجنين. فهذه الدقات الرتيبة المطمئنة هي كالنجوم الساطعة في عالمه المظلم. وقد ثبت ذلك قبل سنوات في احد المستشفيات عندما بثت دقات قلب احدى الامهات في دار حضانة ملأى بمواليد جدد. فقد حدث ما ادهش الباحثين عندما رأوا ان الاطفال يتصرفون على نحو مختلف ايام البث. وفي المدى الطويل بدأوا يأكلون اكثر وينامون افضل ويتنفسون احسن، كما زاد وزنهم وقل صراخهم وخفت نسبة مرضهم.

اربع نساء - عندما القي محاضراتي يحار الناس في قبول الزعم ان الطفل قبل مولده يستشعر افكار والدته واحاسيسها. ويسألون: كيف يمكن الجنين ان يفكك رموز والدته من "حب" او "راحة" او ان يتحسس مشاعرها نحوه؟

ولقد تابع الدكتور جيرارد روتمان من جامعة سالزبورغ في النمسا مراقبة ١٤١ امرأة خلال الحمل والولادة. فاستنتج ان موقف الام هو العامل الاساسي الذي يؤثر في مستقبل الجنين. وهو يرى ان هناك اربع فئات انفعالية من الامهات:

١. الامهات المثاليات اللواتي اثبتن، في حالي الوعي واللاوعي، رغبة

حقيقية في انجاب اطفالهن. وقد نعمن بحمل سهل وولادة خالية من الازعاج، كما كان مواليدهن افضل صحة جسدياً وعاطفياً.

٢. الامهات المأسويات ذوات الموقف السلبي من اطفالهن، وقد اصبن بمشاكل صحية جسيمة خلال الحمل. اولئك هن امهات النسبة الاكبر من الاطفال الذين ولدوا قبل الاوان والذين يقل وزنهم عن المعدل العام، كذلك الاطفال المشوشين عاطفياً.

٣. الامهات المتقلبات اللواتي كن سعيدات في الظاهر لكن اطفالهن اكتسبوا تقلبات نفسانية اظهرتها تجارب روتمان. وعند الولادة اصيب العديد من هؤلاء الاطفال بمشاكل هضمية وسلوكية.

٤. الامهات الباردات اللواتي لديهن اسباب مختلفة لعدم الرغبة في الانجاب. فمنهن من يعملن او يعانين مشاكل مالية ولم يكنَّ على استعداد ليصبحن امهات. لكن فحوص روتمان اثبتت انهن في دخيلتهن اردن الابقاء على الجنين. وقد اكتسب اطفالهن هذا الشعور المزدوج الذي يبدو انه شوشهم. وعند الولادة بدا كثيرون منهم بليدين ولامبالين.

ويعطي الدكتور بيتر فيدور - فرايبرغ من استوكهلم في اسوج (السويد) صورة حية للنفور المتولد داخل الرحم. فالطفلة كريستينا ولدت قوية ومتمتعة بالصحة. لكنها رفضت الرضاعة من ثدي والدتها. فاقنع الطبيب امرأة اخرى بارضاع الطفلة. وعندما وضعتها الممرضة - وهي شبه غافية - في حضن المرأة الغريبة تلقفت كريستينا ثديها وبدأت المص. وقد اثار تصرفها استغراب الطبيب فراح يستوضح والدتها التي اعلمته بانها كانت ترغب في الاجهاض. واضافت: "الا ان زوجي كان يريد الطفل، ولذا ابقيت عليه." وتبعاً للدكتور فيدور - فرايبرغ، فهذا الامر لم يكن سراً على كريستينا التي كانت تتألم منذ زمن بعيد لرفض والدتها لها.

ولكن ما هو تأثير الاب في هذا المجال؟

ليس ما يؤثر في الام مثل قلقها على زوجها. واهتمامه بها امر حيوي، فهو معيلها وهو الذي يؤمن سعادة طفلها. وقد اثبتت دراسة في اوائل السبعينات ان المرأة المرتبطة بزواج عاصف هي عرضة لانجاب طفل محطم نفسانياً اكثر بضعفين من المرأة التي تنعم برباط زوجي هانىء وآمن. وتوحي بعض الدراسات بأن الطفل وهو في الرحم يتبين حتى صوت ابيه. فاذا ما ولد وسمع ذلك الصوت، فانه يستجيب له جسدياً على الاقل. فهو يكف عن البكاء، مثلا، اذ ان ذلك الصوت يبعث في نفسه الاطمئنان والسكينة.

لهذه الاكتشافات اثر في الابوة يفوق التصور. ومعرفتها تتيح للأب والام فرصة عظمى للتأثير في طفلهما قبل ولادته وشده اليهما وبعث السعادة والطمأنينة في نفسه، ليس فقط في فترة حمله وانما مدى حياته.

■ توماس فرني وجون كيلي

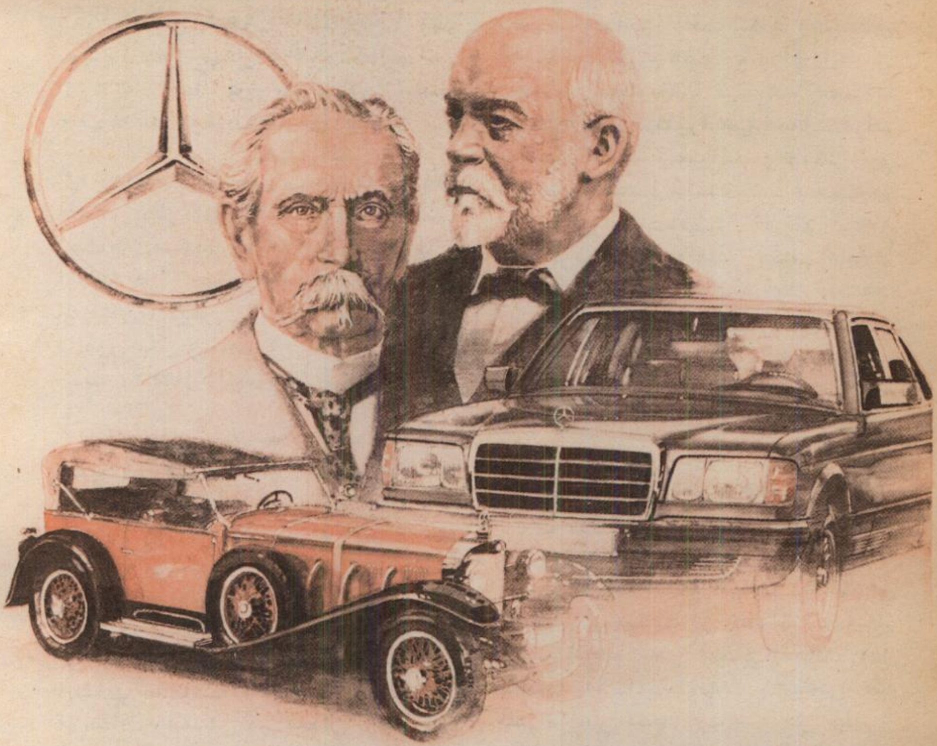

اسطورة المرسيدس

في الوقت الذي تسرح مصانع السيارات عمالها في انحاء اوروبا والولايات المتحدة، تواصل مبيعات "دايملر - بنز" تصاعدها. ان السر يكمن في اسطورة المرسيدس

Illustration: G.M. Heesch. Photos: Bildarchiv Daimler Benz AG

في كينيا يطلق الناس على مالكي سيارات المرسيدس لقب "وابنزي" اي "قبيلة بنز." وبه يصفون حديثي النعمة في بلادهم. فالفكرة الاولى التي تراود هؤلاء حين يصبحون اثرياء هي ان يشتروا سيارة مرسيدس.

وفي الولايات المتحدة سيارة يملكها روبرت اوريلي من أولمبيا، ولاية واشنطن، ادرجت في "كتاب غينيس للارقام القياسية" بعدما سجلت أطول مسافة تقطعها سيارة وهي ١،٩٠٦،٤٧٢ كيلومتراً. ولا غرو انها كانت من نوع مرسيدس.

وفي سندلفنغن في المانيا الغربية تسلم رجل سيارته الجديدة من مصنع "دايملر - بنز." وكان مأخوذاً بها بحيث نسي زوجته وانطلق على الطريق الرئيسية ميمماً شطر كارلسروه. وبعدما قطع مسافة ١٠٠ كيلومتر لاحظ غياب الزوجة فعاد خجلا الى المصنع.

ما هو سر هذا الولع بالمرسيدس؟ وماذا يجعل ٩٥ في المئة من مقتني هذه السيارات يعاودون شراء سيارة من النوع نفسه؟

لا احد يشتري سيارة مرسيدس لمجرد جمال شكلها. وسواء أكان ثمنها ٦٧ الف مارك، (٢٧ الف دولار) وهو سعر الطرازات الممتازة مثل «SEC٥٠٠» من دون الزوائد، او ٢٥ الف مارك (١٠ آلاف دولار) وهو سعر الطرازات الاساسية ذات محرك الديزل، فان الطرازات الـ٣١ التي تنتجها مصانع "دايملر - بنز" تبدو متشابهة الى حد بعيد.

واذا لم يكن السر كامناً في جمال شكلها، فاين هو اذاً؟

يمكن تلخيص الجواب بعبارة واحدة تتردد كثيراً في مقر شركة "دايملر - بنز" في انترتوركايم احدى ضواحي شتوتغارت، بحيث يصح ان تتخذ شعاراً للشركة: "كما اعتاد غوتليب دايملر ان يقول، لا يدوم الا الأفضل."

كل فرد في مصانع "دايملر - بنز" يتملكه هاجس النوعية الفضلى، وواحد من كل عشرة عمال هناك يتعلق عمله بمراقبة النوعية. فيكفي ظهور خدش او تقشر بسيط في طلاء سيارة جديدة لكي تعاد كلها الى المصنع وتطلى من جديد. هذا الهاجس نفسه ينعكس على سمعة المرسيدس الباهرة في نواحي السلامة والجدارة والقيمة المالية لدى بيعها كسيارة مستعملة تعرض للبيع، وعلى نحو متعاظم في اقتصادها في الوقود.

قصة مخترعين - في زيارتي الاخيرة الى انترتوركايم عام ١٩٨١، التقيت شاباً امريكياً هو مدير في احدى شركات الطيران، جاء ليتسلم خامس سيارة مرسيدس يشتريها منذ ١٩٧٦. هذه المرة كانت من طراز "CD ٣٠٠ كوبيه." وهو قدر ان في امكانه بيعها خلال سنة بالسعر الذي دفعه، اي ٢٤ الف دولار. وكان حقق ارباحاً في اعادة بيع السيارات التي اشتراها بلغت ٣٠٠٠ دولار. وقال لي: "هذا هو السبب الرئيسي الذي يدفعني الى شرائها."

وتفخر شركة "دايملر - بنز"

بالشكل الرصين والعملي لسياراتها. ولما كان الشكل الخارجي لا يختلف من سنة الى اخرى، فان هذه السيارات تظل تبدو حديثة مدة أطول من معظم السيارات الاخرى. ويقول فريدريك فان فنسن رئيس قسم الهندسة التطويرية في انترتوركايم: "لا يمكننا في اي حال ان نلحق بالزي الشائع، حتى اذا شئنا ذلك. فتصميم طراز جديد لسيارة مرسيدس وتنفيذه يستغرقان مدة تراوح بين ست وسبع سنوات، ثم يتطلب انتاجه ثماني سنوات اخرى. وبما ان سيارة المرسيدس تبقى في السير مدة ١٥ سنة، فذلك يرفع المدة الى ٣٠ سنة

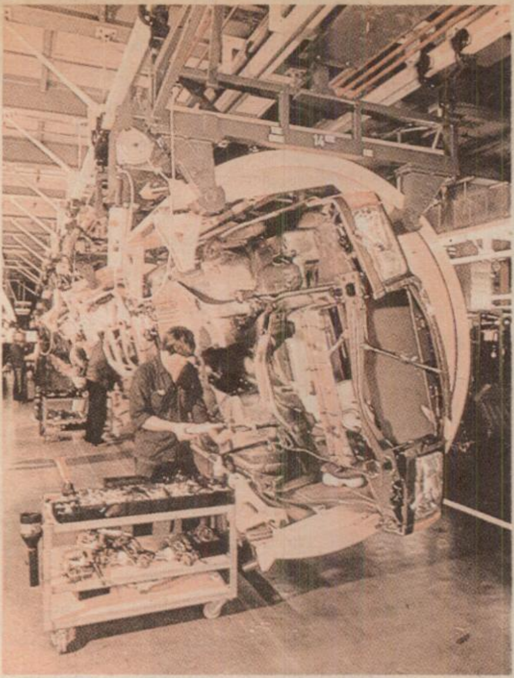

دعائم معلقة في مصنع التجميع في سندلفنغن (المانيا الغربية) تدير السيارات الى الجهة التي تلائم الميكانيكي.

صدمة مواجهة لسيارة ليموزين "١٢٦ - W " من سلسلة «S» الجديدة (٢٨٠ S الى ٥٠٠ SEL).

تمضيها المرسيدس بين مرسم التصميم وحظيرة الانقاض. كثيرون يتساءلون كيف سيكون شكل سيارات العام ٢٠٠٠. الحقيقة أننا نصنع هذه السيارات الآن."

خلال السنين العشر المنصرمة ضاعفت شركة "دايملر - بنز" انتاجها مرتين تقريباً كما ضاعفت مبيعاتها ثلاثة اضعاف، وامست ثالث صناعة كبرى في ألمانيا الغربية ببيعها ما مجموعه ٤٤٠ الف سيارة سنوياً. والشركة هي ايضاً اكبر منتجة للشاحنات في اوروبا. اما في فئة الشاحنات الثقيلة - ١٦ الى ٣٢ طناً - فهي الاكبر انتاجاً في العالم قاطبة. وفي حين تعمد شركات صناعة السيارات في انحاء اوروبا والولايات المتحدة الى تسريح عمالها بسبب الركود الاقتصادي وأزمة الطاقة والمنافسة اليابانية، تواصل مبيعات شركة "دايملر - بنز" تصاعدها بمعدل ثابت هو ٢،٧ في المئة سنوياً. حتى ان الزبائن يحجزون الطرازات الجديدة قبل خروجها بسنوات. وسيارة المرسيدس الصغيرة الجديدة التي ستعرض في اوائل ١٩٨٣ بيع كل انتاجها على مدى بضعة اشهر.

هذا الولاء جاء نتيجة التزام التفوق النوعي طوال قرن من الزمان. ان غوتليب دايملر وكارل بنز، وهما مؤسسا شركة "دايملر - بنز" الحديثة المزدهرة، هما ايضاً مؤسسا صناعة السيارات في العالم. ومن الغريب انهما لم يلتقيا قط، على رغم انهما عاشا على بعد ١٠٠ كيلومتر فقط، كل من الآخر - بنز في مانهايم ودايملر في كانستات قرب شتوتغارت. عمل كل منهما منفرداً، وتوصلا في وقت واحد (عام ١٨٨٦) الى صنع أولى السيارات العاملة بالبنزين. كذلك على انفراد أصبحا اول رجلين صنعا عربات مسيرة بمحرك.

عام ١٨٨٦ صنع بنز سيارة ذات ثلاث عجلات ولها كوابح من الجلد، تستمد قوتها من محرك يستهلك سائل تنظيف كان يشترى من صيدلية. وهذه السيارة عرضت للبيع بسعر ٣٠٠٠ مارك، او ما يوازي اليوم ٢٠ الف مارك (٨٠٠٠ دولار). وكانت تثير فضول الناس حيثما ذهبت. ولكن لم يشترها احد.

غير ان بنز لم يقنط. وبحلول العام ١٨٩٣ انزل الى الطرق سيارة ذات أربع عجلات دعاها "بنزفكتوريا". واعقبها بعد سنة بسيارة اقتصادية خفيفة دعاها "بنز فيلو". وهذه كانت مجهزة بسرعتين اماميتين وترس للسير الى الوراء ومحرك قوته ١،٥ حصان يدفعها بسرعة ٢٠ كيلومتراً في الساعة، اي خمسة كيلومترات أسرع من الثلاثية العجلات. الأهم انها كانت اول سيارة تنتج على نمط تجاري.

اما منافسه غوتليب دايملر، الذي تحدر من عائلة خبازين وعمل في مصنع "غازموتورن فابريك دويتز" الذي كان يملكه ن. أ. اوتو، فكان حينئذ يصنع محركات ثابتة تعمل بالغاز لاقت رواجاً كبيراً. وفي ١٨٨٢ ترك دايملر وظيفته ليجرب حظه، آخذاً معه مهندساً شاباً اسمه فيلهلم مايباخ. وحوّل الشابان سقيفة لزراعة الخضر يملكها دايملر، مشغلاً. وفي

اقل من سنة تمكنا من صنع اول محرك يعمل بسرعة ٩٠٠ دورة في الدقيقة، وكان أسرع بثلاثة اضعاف من اي محرك سبقه وله ثلث وزنه.

وبحلول العام ١٨٨٥ حسن دايملر محركه الى ان نجح في وضع محرك معدّل على دراجة خشبية. وكانت هذه اول دراجة ذات محرك في العالم.

شركة رائدة ـ في العام ١٩٠٠ طلب اميل يالينيك، وهو رجل اعمال ناجح وقنصل النمسا في تيس (فرنسا) آنذاك، شراء ٣٦ سيارة من شركة دايملر. وكان يريد سيارة قوية وذات هيكل قريب من الارض. وطلب ان تحمل هذه السيارة اسم ابنته مرسيدس البالغة من العمر ١١ سنة. وجاءت النتيجة عام ١٩٠١، وكانت اول عربة متحركة ذاتياً تشبه السيارات التي نعهدها اليوم. وعلى نقيض سابقاتها التي كانت تصنع على هيئة عربات الخيل وكانت غير ثابتة على نحو خطر، جاءت المرسيدس منخفضة الجوانب ومجهزة بعمود قيادة مائل ومحرك قوته ٣٥ حصاناً. وكانت تحقق سرعة لا تصدق انذاك، ٨٦ كيلومتراً في الساعة.

لم يتح لدايملر ان يعيش ليرى النجاح الذي حققه، اذ توفي عام ١٩٠٠. وكان يعرف ان بنز هو منافسه الأوحد. أما بنز الذي تقاعد عام ١٩٠٣ وتوفي عام ١٩٢٩، فعاش ليرى الشركتين تندمجان عام ١٩٢٦ لتولد شركة "دايملر ـ بنز."

حافظت الشركة الجديدة على التقليد الرائد الذي وضعه مؤسساها. والانجازات البارزة الاخرى التي حققتها تشمل أول سيارة مجهزة بمحرك ديزل انتجت عام ١٩٣٦، ثم المرسيدس المتفوقة (سوبر مرسيدس) عام ١٩٣٧ وهي سيارة جبارة سعة محركها ٧،٧ ليترات فيعطيها قوة دفع تبلغ ٢٣٠ حصاناً.

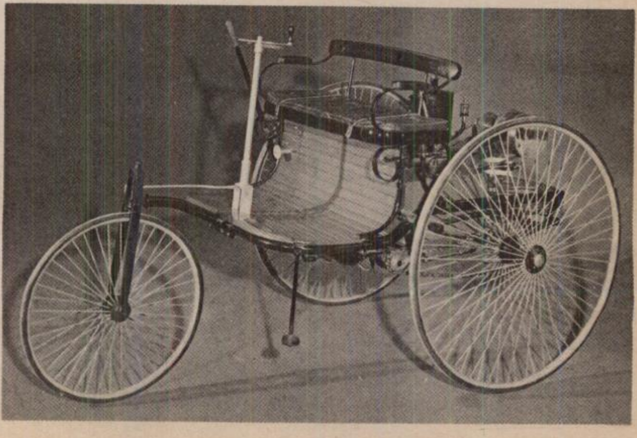

"سيارة براءة الاختراع" من العام ١٨٨٦. هذه السيارة التي يبلغ وزنها ٢٣٠ كيلوغراماً وقوتها ٠،٩ حصان وسعتها ٠،٩٨ ليتر، والتي يحوي محركها اسطوانة واحدة، يمكنها ان تحقق سرعة ١٥ كيلومتراً في الساعة.

واليوم تجد اشخاصاً كثيرين على استعداد لمجادلتك في ان افضل سيارات العالم هي مرسيدس "٥٠٠ SEL" وثمنها ٦٣،٨٤٥ ماركاً (نحو ٢٦ الف دولار)٠ وهي فخمة وتليق بكبار الشخصيات وذات قدرة تسارع متفوقة ويمكنها احتمال صدمة مواجهة بجدار اسمنت بسرعة ٥٥ كيلومتراً في الساعة مع اعطاء سائقها حظاً في النجاة بنسبة ٧٥ في المئة٠

لكن ما يميز هذه الشركة عن سواها حقاً هو ان كل سياراتها تلبي في الاساس مواصفات يطلبها الزبائن٠ فمصنع التجميع في سندلفنغن يكتظ بالادمغة الالكترونية والربوطات (الاشخاص الآليين)٠ وهكذا، فحالما تتجمع المعلومات اللازمة عن حاجات الزبون، تلقم في الدماغ الالكتروني الذي يؤمن تجميع اكثر من عشرة آلاف قطعة مختلفة تؤلف السيارة التي طلبها الزبون٠

ومن اجل وقاية الركاب، تدبر دائرة السلامة اصطدامات مصطنعة لمئة سيارة كل سنة، وهذه كلها تكون جديدة ويبلغ ثمنها نحو خمسة ملايين مارك (مليوني دولار)٠ وتصطدم هذه السيارات بجدار من الاسمنت، فالمهندسون يريدون ان يعرفوا ما اذا كانت خزانات الوقود تثقب وتسرب محتوياتها او اذا كانت الابواب تظل قابلة للفتح بعد الاصطدام٠ وعلى النهج نفسه، فحينما تقع حوادث اصطدام خطيرة لسيارات مرسيدس في جنوب ألمانيا، يهرع فريق جوي خاص من خمسة رجال الى مكان الحادث ليدرس كيف حدثت الاصابات وما هي التغييرات التي يمكن ادخالها لتحاشي وقوع اصابات مماثلة٠

ولشركة دايملر في انترتوركايم متحف يضم أشهر الطرازات التي انتجتها الشركة٠ وقد ركبتُ مرة سيارة بنز من طراز ١٨٨٦ تدعى "سيارة براءة الاختراع" وتعتبر اول عربة مسيرة ذاتياً في العالم٠ وهي ذات ثلاث عجلات ولها مقود في شكل قضيب عمودي يشبه ذراع مضخة٠ جلستُ فيها على علو متر فوق الارض وقدتها بسرعة لا تزيد على سرعة رجل راكض٠ وكان محرك بنز قوته ٠،٩ حصان يهدر وراء ظهري فيما العربة كلها تتراقص تحتي٠

بعد ذلك اتجهت الى طريق الاختبار حيث انشأت شركة "دايملر ـ بنز" مسالك واجواء تحاكي جميع احوال الطرق والمناخ ٠ عند احد الاطراف تنحدر الطريق عمودياً ٩٠ درجة بحيث تشعر انك تطير في الهواء بسرعة تزيد على ١٤٠ كيلومتراً في الساعة وان وزنك ازداد ضعفين٠ عند تلك النقطة تماماً استدار سائقي غيدو موخ، وهو احد اثنين حققا رقماً قياسياً عالمياً في السرعة (٣٢٥ كيلومتراً في الساعة) في سيارة مرسيدس اختبارية مجهزة بمحرك ديزل من طراز "C ١١١" وقال لي: "هل ترى؟ يمكنني ان ارفع كلتا يدي عن عجلة القيادة٠"

عندئذ بدأت انا ايضاً أدرك المواصفات التي تضفي على هذه السيارة المتينة ميزتها الفريدة٠

■ ماكس جوردان

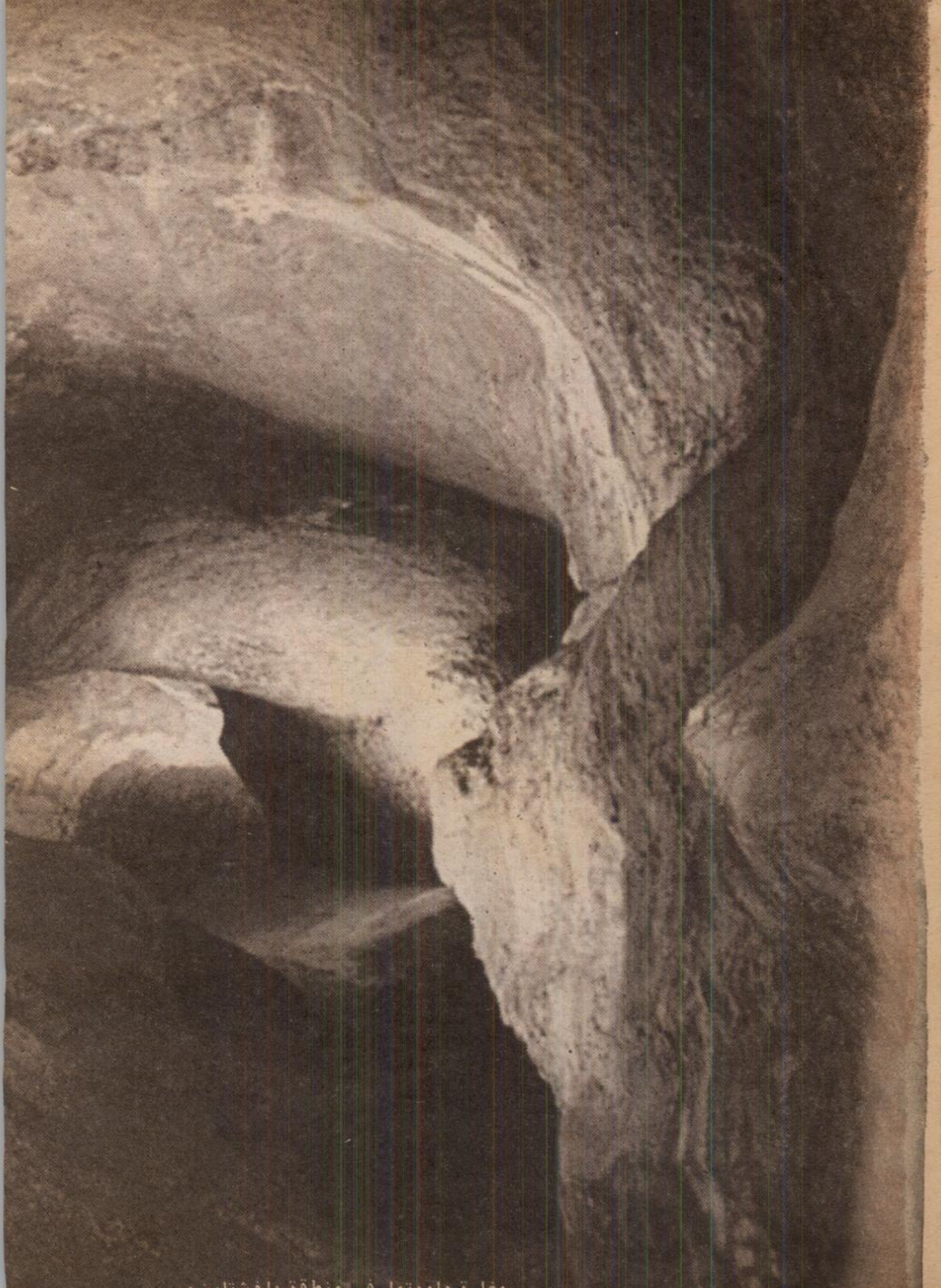

مغارة ماموتول في منطقة داخشتاين .

هنا ابدعت يد الخالق عالماً من الجمال والنظام والتناسق.
وهنا تحلو المغامرة في كهوف رائعة تحت جبال الألب

كهوف النمسا قلاع مسحورة خارج الزمن

وقفنا على ارتفاع كيلومترين فوق سطح البحر وعمق ٣٠٠ متر تحت سطح الارض. وكنتُ تلمست طريقي مع دليلي والتر كلاباخر عبر نفق ضيق ومتعرّج قادنا الى أسفل منحدر حاد يتألف من الحجار والطين، وهي ركام ألوف السنين. وفيما انا انسلق صعداً حذرني كلاباخر: "هنا ندخل الظلام الدامس."

عند قمة المنحدر كشف مصباحنا قبة عالية غبراء يبلغ اتساعها حوالى ٢٠ متراً. وامامها، على بعد يتجاوز نورنا الكاشف، كانت الظلمة حالكة وعميقة كسماء الليل، من دون قمر او نجوم. تلك هي قاعة الجبابرة في آيسكوغيلول في اعماق سلسلة تاننغبرغ من جبال الألب النمسوية.

يفد الى هذه الكهوف ألوف الزوار كل سنة ليستمتعوا بمشاهدة هذا الجمال الرائع في جوف الارض. اما بالنسبة الى هواة كشف الكهوف، فهذه البلاد توفر لهم المغامرة في أغنى بقاع العالم. وتتباهى النمسا باحتوائها على ٦٠٠٠ مغارة يعتبر عدد كبير منها من اضخم كهوف العالم واعمقها. وبينها مغاور اكتست انفاقها الجليد الاخضر الزمردي، وكهوف كلسية متعرجة فيها اغوار يناهز عمقها ارتفاع ناطحة سحاب، ومغاور مائية لا يبلغ اعماقها المظلمة سوى الرجال الضفادع.

قبل ١٥ مليون سنة كانت منطقة الألب تلالا منبسطة ترصعها البحيرات والبرك. وكان الماء يتسرب من شقوق

صغيرة اتسعت مع السنين حتى أمست اغواراً وانفاقاً وقاعات وقباباً ضخمة. وفي تلك الاثناء كانت قشرة الارض تتحول وتدفع منطقة الالب الى أعلى. ورفعت الكهوف بفعل الضغط الجيولوجي الهائل. وهذا يفسر لماذا أعلى الكهوف هي عادة أقدمها.

وتمنيت لو ان هناك مصعداً - جيولوجياً او غير ذلك - ونحن نتسلق كهف آيسكوغيلول أعلى الكهوف المفتوحة للجمهور في النمسا. وكان من الطبيعي ان نجد هناك عدداً قليلا من الزوار. فالامر يستغرق ثلاث ساعات للتسلق من الوهدة الى مدخل الكهف، وهو فجوة في الصخور في حجم باب كبير. وداخله ممر يتلوى هابطاً، بعده تغدو الارض باردة كالجليد.

تجربة غريبة - تمتاز النمسا بالكهوف الجليدية، وان يكن هناك بعض منها في اماكن اخرى. هذه الكهوف التي تقع تحت مستوى الجليد الأبدي تمثل عالماً عجيباً. والسياح الذين يؤمون آيزريزنفلت (عالم الجليد العملاق) وهي مغارة سياحية تقع جنوب سالزبورغ، يشعرون انهم يجوسون في قلعة مسحورة تلتمع سقوفها بألوان حمراء براقة من الصدأ، وجدرانها مبطنة بشلالات متجمدة، وترتفع من ارضيتها تماثيل مدهشة من الجليد الطبيعي في حين تتدلى من سقفها هوابط رائعة كأنها ستائر فاخرة مطرزة بالوشي.

على عمق مئات الامتار في جوف الارض وجدنا الجمال والنظام والتناسق. ان وقوفك في مكان تحدث فيه التغيرات بمعدل مليمترات كل قرن، مكان يقف خارج حدود الزمن، هو تجربة غريبة تبعث السكينة في النفس. اذذاك ادركت لماذا لجأ انسان ما قبل التاريخ الى الكهوف هرباً من العالم الخارجي الزاخر بالاخطار والمفاجآت.

الأدوات والاسلحة البدائية التي عثر عليها في كهوف الألب النمسوية تدل على ان رجل "نياندرثال" القديم كان يعيش في تلك الجبال قبل ٤٠ الف سنة. وهناك بقايا متحجرة لحيوانات فقارية برية من ازمنة ما قبل التاريخ، مثل الجاموس البري والماموث والكركدن، ترقى الى ١٥ مليون سنة. واكثر هذه المتحجرات تعود الى دب الكهوف الذي بلغ طوله واقفاً على قوائمه الاربع ٣،٥ امتار، ويشبه دب كودياك المعاصر في الاسكا. كانت هذه الدببة تعيش جماعات وتتخذ المغاور وُجُراً لها وقبوراً. ففي دراخنول (كهف التنين) قرب غراز نفق طوله ٥٠٠ متر وقد ملأته عظام عشرات الألوف من دببة الكهوف.

ان اقدم رواد الكهوف في النمسا كانوا صيادي العظام في العصور الوسطى الذين دأبوا على جمع عظام الحيوانات المتحجرة لبيعها الى الصيادلة. فالعظام، مسحوقة او مخلوطة في شكل تعاويذ، كانت غالية الثمن كدواء يشفي انواع العلل.

لكن رواد هذه الايام يبحثون عن كنز من نوع آخر: عن التحدي المفعم بالخطر في اقتحام المجهول. ويقول

الاستاذ هوبرت تريمل مدير المعهد النمسوي لارتياد المغاور: "عندما تكتشف نفقاً جديداً، فربما تكون دخلت مكاناً لم تطأه قدم انسان من قبل." ولكن عندما تعثر على آثار وجود بشري عفا منذ عهد سحيق، فذلك أشد اثارة. وفي احدى الحجرات عثر فريق من رواد المغاور النمسويين على عظام دببة مرتبة في تناسق يوحي بانموذج شعائري هو دليل على طقوس يعود عهدها الى ٤٠ الف سنة.

اما بالنسبة الى سيغفريد غامسياغر المسؤول عن المغارتين السياحيتين الكبيرتين في منطقة داخشتاين، وهما رايزنايشول وماموتول، فالتحدي الرئيسي في اي اكتشاف يكمن في احساسك بأنك لا تدري الى اين تسير. ويقول: "انت في الظلام، وخلف نطاق النور الذي يلقيه مصباحك يمكن ان تفاجأ بأي شيء، بحيرة او نفق مغمور بالماء او بئر عمقها مئات الامتار." ان الهبوط بالحبل في جوف بئر عمودية عمقها ٣٥٠ متراً عمل لا يقدم عليه ضعاف النفوس. ورائد الكهف يضع كل ثقته في جهاز وحيد هو مصباحه. وضياع هذا منه قد يؤدي الى هلاكه.

كهف الرعب ـ من دواعي العجب ان التقنية الحديثة لم تدخل اي تحسين على المصباح الكربيدي الذي يحرق مركبات الفحم. والمصباح الذي يستخدمه رواد المغاور اليوم لا يختلف قطعاً عن المصباح الذي حمله عمال مناجم الفحم قبل قرن. ولكن حتى

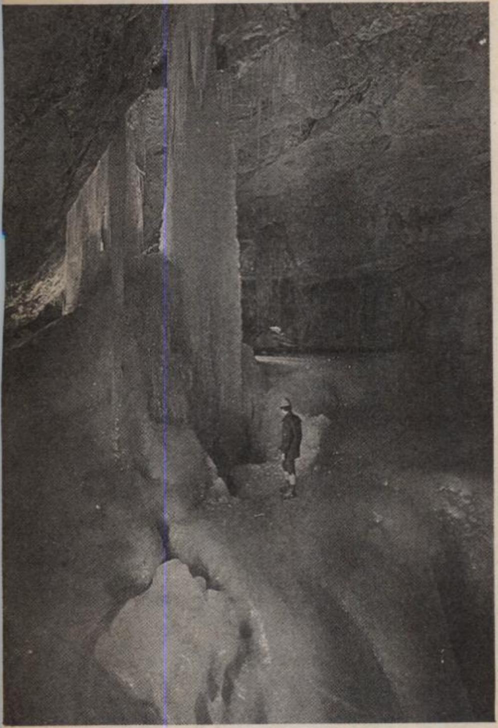

عمود جليدي في قاعة ترتستان في مغارة رايزنايشول.

المصباح الكربيدي لا يسلم من سقطة في بحيرة جوفية. وهذا ما حدث لدليلي في اثناء مغامرة فردية في جوف لامبرختسول التي تعتبر من الناحية الفنية أشق كهوف النمسا وتقع قرب سالزبورغ.

ويستعيد كلاباخر ذكرى ما حدث: "هناك بحيرة صغيرة بعمق ٢٠٠ متر داخل الكهف. وفي منتصف الطريق عبر الماء فرغ قاربي المطاط من

Photos: E. Scheurecker, Schärding

الهواء فجأة وغرق، فسقط مصباحي وكل امتعتي في الماء. وتمكنت من السباحة الى الضفة وحاولت ان اتلمس طريق العودة. في تلك الظلمة الحالكة اخذت اناملي تتحسس كل حجر وشق وحصاة وانا احاول ان اقارن بين ما اتلمسه وما اعرفه عن معالم المغارة. كان كياني كله مركزاً على اطراف اصابعي. ولم يكن الوقت يسمح بالهلع. ولو حدث هذا لانتهيت. اخذت أتقدم فتراً بعد فتر، وعندما لاح لي ضوء النهار كدت ان أبكي من الفرح. لقد امضيت اربع ساعات في قطع تلك المسافة التي لا تتجاوز المئتي متر."

كان والتر محظوظاً، فحتى اصغر الحوادث قد يكون خطراً جداً في جوف الارض. وكسر احد الاطراف قد يعني انقضاء ساعات وربما ايام قبل ان يتمكن المصاب من العودة الى سطح الارض. والتقنية تكون غالباً غير مجدية في مواجهة الطوارىء هناك. ومع ذلك فان الحوادث المميتة التي وقعت اخيراً في الكهوف النمسوية قليلة جداً.

حين يعترض رائد المغاور مانع قاطع، يكون ذلك عادة نفقاً مغموراً بالماء. وحين يسبح غطاسو المغاور في المياه الباردة العكرة عبر انفاق متعرجة في احشاء الجبل، لا يكون امامهم مجال لاي خطأ في التصرف. هذه الانفاق المقوسة تكون احياناً ضيقة بحيث يضطر الغطاس الى نزع قارورة الهواء ودفعها امامه ثم وصلها في الجهة الاخرى من المعبر.

وأشد الاخطار هو فقدان الرؤية، كما يحدث حين يحرك الغطاس رواسب القاع او حين تهب عاصفة ماطرة فوق سطح الارض ويمتلىء النفق بالماء العكر. وقد اخبرني والتر ونحن نتقدم في الكهف ان هذا كان سبب هلاك غطاسَيْن في ابريل (نيسان) ١٩٧٥ داخل المغارة التي تدعى بحق "شوكوفن" (كهف الرعب) في سلسلة جبال هاغنغبرغ. فالنفق الضيق الذي عبراه على عمق عشرة امتار تحت الماء اعتكر بالطمي، فعجزا عن الاهتداء الى المخرج. وانتشل رفقاؤهما جثتيهما في اليوم التالي.

بعد سماع هذه القصة ابتهجت اذ لاحت لي رقعة من الضوء الرمادي على الجدران كانت اشارة الى ان المنفذ قريب. وكان مضى على استكشافنا كهف آيسكوغيلول اربع ساعات. وغمرني شعور مدهش حين عدت الى الهواء الطلق والعالم المألوف. ومع ذلك ظلت خواطري تعود بي الى العجائب التي رأيتها هناك في جوف الارض.

في ذلك المحيط الذي يتخطى الزمن، من العسير على المرء الا يفكر في حياته القصيرة.

حين خرجنا الى النور كانت الرعود تقصف. وحذرني والتر من خطر الصواعق. ثم قال مبتسماً: "الجبل يعرف اننا غادرناه، وربما بهذه الرعود يريد ان يقول لنا وداعاً."
وأخذ والتر يهبط المنحدر الثلجي بقفزات رتيبة وواسعة، وعدوت في اثره بأقصى ما امكنني من سرعة.

■ كريستوفر ماتيوس

حكايات من العالم

مغـاور رييودي جانيرو

هل تعلم أن مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية تقع في مهد بركان قديم خامد؟
لقد اكتشف عالم الآثار كارلوس مانيس بانديرا عدداً مذهلا من المغاور تحت تلك المدينة الشهيرة يجهل وجودها كثير من السكان. وهناك كهوف كبيرة يبلغ ارتفاعها أربعين متراً، ونهر جوفي ينتهي على هيئة شلال ضخم، ومغارة كبيرة خضراء يكسوها الطحلب.
وعدد الكهوف في ريو دي جانيرو هو ٨٤، وكلها سهلة البلوغ. وفي رأي بانديرا أن الدعاية المدروسة لهذه الامكنة من شأنها أن تجتذب أعداداً هائلة من السياح.

ر.م.س.

نظافة الثلج

توّصلت ادارة منتجع للتزلج في بلدة آلتا من أعمال ولاية يوتاه الامريكية الى حل ّ لمشكلة تراكم القمامة في السفوح. فاذا قبض على أحد المتزلجين وهو يلقي القمامة في الخارج صودرت عدّته وأجبر على ملء كيس كبير بالقمامة التي خلـّفها هو وسواه كشرط لاستعادة عدّته وأستئناف التزلج.

ب.م.ن.

طريق متعركة

أبتكر المسؤولون عن السير في ويلنغتون، عاصمة نيوزيلندا، طريقة فعـّالة لحلّ مشكلة تغيير السيارات أتجاهها في الشوارع الضيـّقة المسدودة. فهم وضعوا لوحة متحرّكة فوق الطريق، وما على السائق الا أن يكبس زرّاً فتتحرك اللوحة وتدير سيـّارته التي تكون فوقها في الاتجاه المطلوب، موفرة وقته..ومنقذة أعصابه.

صحيفة "ناشونال أنكوايرر"

أبناء العائلات الكبيرة

في سيول، عاصمة كوريا الجنوبية، يقال أنه اذا تسلق المرء قمة جبل نامسان، وهي أعلى نقطة في المدينة، ورمى حجراً على جانب الجبل، فالراجح أنه سيقع على شخص يحمل أسم "كيم" أو "لي" أو "بارك".
وجدير بالذكر أن أسماء العائلات لا تتجاوز الـ٢٤٩ في كوريا الجنوبية ذات الخمسة والثلاثين مليون نسمة. وفي طليعتها عائلة كيم التي تبلغ نسبتها ٢١،٩ في المئة من عدد السكان، تليها عائلة لي، ونسبتها ١٤،٩ في المئة، ثم عائلة بارك، ونسبتها ٨،٥ في المئة.

صحيفة "داتا آسيا"

الألواح الشراعيّة

ركوب الامواج فوق الواح شراعية رياضة
عالمية جديدة يتهافت عليها الهواة
ويعشق التفرج عليها
رواد الشواطىء

ركاب الالواح الشراعية على الشاطىء في جنوب فرنسا.
Bruno Barbey, Magnum

ليس على شاطىء خليج كايلوا في هاواي من يستحم او يبني قلاعاً من الرمل. بل ان مجرد الوصول الى المياه امر عسير، فلقد اصطفت على الشاطىء الواح طويلة ضيقة شبيهة بيخوت صغيرة مكسورة الصواري. وحول هذه البدع الجديدة احتشدت جموع الشباب السمر الاقوياء وهم يلمعونها او يشمعونها او يزينونها.

بعد تلقيهم الاشارة يندفع الشبان نحو الماء وقد امسك كل منهم لوحاً بأحدى يديه وصارية بالاخرى. يدفعون هذه الالواح برفق وسط الامواج المتكسرة، ويرفعون الصواري ويوجهون الاشرعة الى الريح. واذ تتحرك الالواح يقفز الشبان فوقها وينحنون الى الوراء وسط النسيم، وسرعان ما تراهم يقفزون فوق

الدورة المفتوحة لبطولة العالم في جزر المارتينيك عام ١٩٧٩.

François Dardelet. Agence S.A.M.

الرياضة في فرنسا،

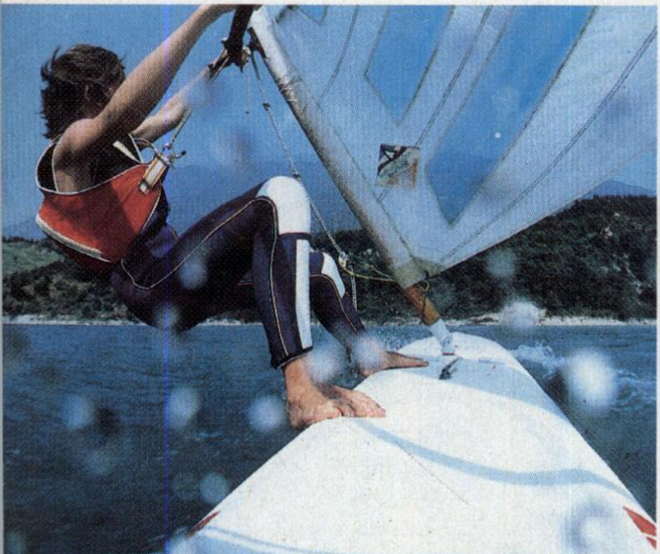

M. Moisnard. Explorer

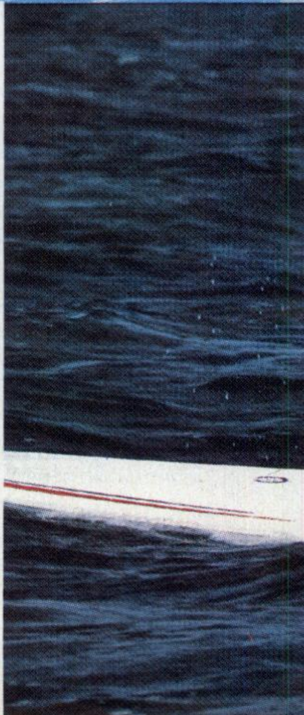

الامواج وينزلقون على الماء كالحجار المقذوفة بمهارة فوق سطح البحر.

حدث كل هذا في صبيحة احد الايام على الشاطىء شمال شرق اواهو. على ان المنظر نفسه تمكن مشاهدته على شواطىء الريفييرا الفرنسية وشمال المانيا واوستراليا واليابان وتايلاند واسوج (السويد) وبلدان اخرى لا يقل عددها عن الثمانين. فرياضة "الالواح الشراعية" تجذب اليوم اعدادا متزايدة من الهواة. ويمكن اعتبارها اسرع انواع الرياضة نمواً في العالم اليوم. وهناك اكثر من ١٥٠ شركة تنتج هذه الالواح الشراعية، كما فاقت مبيعات "مكسرات الامواج" مبيعات اي نوع آخر من المراكب الشراعية. وتزداد هذه المبيعات بمقدار ٣٠ في المئة كل عام. وفي تجارب السرعة التي اقيمت عام ١٩٨١ حطم لوح من صنع شركة "تن كيت" في هولندا اربعة ارقام قياسية من اصل خمسة ارقام عالمية للسرعة الشراعية. وبذلك تقرر انه اسرع مركب على سطح الماء يعمل بقوة الريح.

ولتشجيع الاقبال على هذه الرياضة قررت لجنة الالعاب الاولمبية ادخالها في الدورة الصيفية المقبلة التي ستقام في لوس انجلس عام ١٩٨٤.

بدأت هذه الرياضة في جنوب كاليفورنيا في اواخر الستينات. وهي من ابتكار المهندس الالكتروني هويل شفيتزر، ومهندس الطيران جيم دريك. لكن النجاح الاولي لهذه الرياضة بدأ في اوروبا، خصوصاً بين هواة التزلج الذين كانوا يبحثون عن الاثارة خلال غيابهم الطويل عن ثلوج الشتاء. وتلقفت النوادي الاوروبية هذه الرياضة الجديدة، وانجذب اليها الهواة لانخفاض كلفتها. فحالما تحصل على الشراع (★) فانك لا تعود في حاجة الى وقود ولا الى مكان لوضع المركب ولا الى ميكانيكي. ويمكن حفظ اللوح الشراعي في المرأب او حتى في خزانة كبيرة ونقله في السيارة الى المياه، في بحر او بحيرة او قناة.

وطريقة التعلم سهلة. قال احد المدربين: "اني علمت اطفالا في السادسة او السابعة من العمر. وفي هذه السنة علمت عجوزاً يناهز الرابعة والسبعين. ان اي شخص يمكنه ان يمارس هذه الرياضة اذا توافرت لديه التجهيزات الصحيحة، انها ليست مجهدة كما تبدو، وهي اكثر اماناً من التزلج. فعندما تقع تسقط عن اللوح في مياه هادئة."

وهناك عامل آخر عزز هذه الرياضة في اوروبا. فقد مَنح شفيتزر – الذي اصبح الآن من اصحاب الملايين – حقوق انتاج هذه الالواح في المانيا وبريطانيا وكندا واوستراليا واليابان فقط. وهكذا ظهر منافسون يروجون لالواح جديدة. ففي فرنسا وحدها اكثر من ٤٠ شركة تنتج ١٥٠ صنفاً.

وعندما شاعت هذه الرياضة كثرت المسابقات التي يتبارى فيها راكبو الالواح وغزت الاسواق ثياب خاصة. وعلى سبيل المثال فان شركة شفيتزر

(★) يراوح ثمن اللوح والشراع بين ٥٠٠ و١٥٠٠ دولار.

Condensed from Geo, (August 1981), (c) 1981 by Gruner & Jahr USA, Inc., New York.

اقامت هذا العام الوف السباقات في انحاء العالم.

وهناك سباقات التعرج والمسافات الطويلة والحرة والمثلت الاولمبي، كذلك لعبة تشبه كرة القدم المائية، وسباق الدخول والخروج بين الامواج المتكسرة حيث يتسلل المتبارون وسط الامواج في موازاة الشاطىء. وهناك ايضاً مباريات القفز فوق الامواج وهي امتع السباقات عند المشاهدين.

ان مستقبل هذه الرياضة ليس في تسجيل الارقام القياسية ولا في براعة ممارسيها، بل هو في توفيرها تسلية جماعية. ان مستقبلها الحقيقي هو لنا نحن الذين نذهب الى الشطآن ونشعر بالرياح تدغدغ ظهورنا والمياه تندفع بين اصابع اقدامنا، ونختبر ذلك الشعور الغريب داخل اجسادنا اذ نخرج الى الهواء ونعود الى الماء بسلام بعيداً عن الضجيج وصخب اليابسة.

■ كليفورد ماي

زوج مثالي

قال رجل لصديقه: "اتفقتُ وزوجتي على الامر الآتي: اذا لم ترقني الطريقة التي تنجز بها هي شيئاً ما، انجزت الشيء بنفسي".

ج.ر.

مصادفة خير من ميعاد

اعتاد طبيب الافراط في التدخين. واستُدعي ذات مساء لعيادة مريضة. وحاول قياس نبضها، لكن يديه كانتا ترتجفان، فأخذ يتمتم: "يا إلهي! إنه التدخين." وانصرف من غير أن يفعل شيئاً.

وأفاق صباح اليوم التالي وضميره يؤنبه، إذ لم يجد تفسيراً لعجزه كي يواجه به المريضة. ولكن ما أن نهض من سريره حتى وجد رسالة منها تقول: "لقد اكتشفت سبب مرضي. لكني أرجوك أن تتغاضى عن ذلك في مقابل المبلغ الذي تجده طيّ الرسالة."

و.ج.

خبرة كافية

سألني زميلي في الغرفة الجامعية اذا كنتُ أعرف شركة يمكنه العمل فيها خلال عطلة الصيف، فنصحتُه بالذهاب الى مخزن يديره والدي. ولما وصل الى المكان، لم يدع له أبي مجالا ليقول من أرسله، وأنما بادره بسلسلة من الأسئلة كان أحدها الآتي: "هل لديك خبرة في التعامل مع اناس سريعين الغضب؟".

وبعد تفكير، أجاب صديقي: "اني شريك ابنك في السكن الجامعي. لقد مكثتُ معه سنة حتى الآن."

وهكذا نال الوظيفة من غير أن يسمع أيّ سؤال آخر.

غ.ف.

امنح اولادك المزيد من الفائدة كل شهر

صَدَرَت "سمور" مجلّة الفتيان الشهرية الرفيعة المستوى باللغة العربية تصدر بعد أن وضعت فيها مؤسّسة "والت ديزني" أفضل ما لديها من خبرة في عَالم الصّغار.

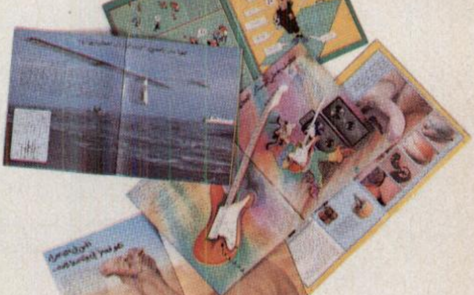

ثمانٍ واربعون صفحة بألوان "ديزني" الجذابة تغمر حياة فتيانكم بالفائدة والمتعة والسرور.

علاوة على ذلك، فان ادخال شخصيات "والت ديزني" على العديد من مواضيع المجلة يجعل اولادكم ينجذبون نحو اشياء يحبونها ربما تعجز المدرسة عن توفيرها لهم في كثير من الاحيان.

وَكل عَدَد من سمّور يحتوي على مواضيع متنوعة شيقة وَمفيدة وَمسلية

كتابُ الشهر

بُطرُسُ الأكبَرُ

ملخّصٌ من كتابٍ
بقلم روبرت مَاسي

بطرس الأكبر

درس روبرت ماسي التاريخ الامريكي في جامعة ييل في الولايات المتحدة والتاريخ الاوروبي الحديث في جامعة اكسفورد البريطانية. وهو ألـَّف كتباً عدة منها "بطرس الأكبر" الذي نال عليه، باستحقاق، جائزة "بوليتزر" الأدبية الأمريكية عام ١٩٨١.

وهذه المقاطع المختارة من كتابه تعرض المراحل الاولى من حياة القيصر الروسي، وفيها واجه مكائد كثيرة دبرها له الاقربون والابعدون. ويصف الكاتب، بأسلوب شائق، حماسة القيصر واندفاعه الى المعرفة وحياته الصاخبة وحيويته، وأثر ذلك كله في الدولة الاكبر مساحة في العالم.

"يكتب ماسي التاريخ بوضوح وبلا ادعاء. وكتابه هذا ممتع للقارىء."
مجلة "نيوزويك"

"هذا الكتاب ساحر كرواية، بل هو أكثر سحراً من معظم الروايات."
صحيفة "نيويورك تايمس"

في الربع الثالث من القرن السابع عشر، كان السائح الآتي الى موسكو من اوروبا الغربية يعبر الارياف المحيطة بالمدينة حتى يصل الى نقطة مشرفة عليها تسمى "تلال الدوري."

وهو اذ ينظر الى موسكو من هناك، يرى تحت قدميه "أغنى مدينة وأجملها في العالم،" بمئات القباب الذهبية المشرئبة فوق رؤوس الاشجار. واذا كان السائح في ذلك المكان عند الغروب، فلا بد من ان يحمله التماع الذهب تحت أشعة الشمس الآفلة على اطباق عينيه.

وكانت الكنائس ذات الجدران البيضاء منتشرة في أرجاء مدينة تضاهي لندن مساحة. وفي الوسط يقوم الكرملين، مفخرة موسكو، بكاتدرائياته الثلاث الرائعة وأبراجه الحصينة التي تتدلى منها الأجراس وقصوره العظيمة ومنازله التي تعد بالمئات. ولا عجب أن يبدو الكرملين، ضمن جدرانه البيضاء العظيمة، مدينة في ذاتها.

في تلك الأثناء كان القيصر الثاني من سلالة رومانوف يحتل غرف الكرملين الملكية. وهو ألكسيس ميخايلوفيتش، "السيد الاعظم والدوق الأكبر، قيصر الروسيا الكبرى والصغرى والبيضاء، الحاكم المطلق." ولبعده عن افراد شعبه واستحالة وصولهم اليه، كان ذلك الشخص المهيب محاطاً بهالة خاصة. ومن غرفه ذات الانارة الضئيلة كان يحكم أكبر دولة على الأرض.

كان ألكسيس في الاربعين عندما توفيت زوجته القيصرة ماريا ميلوسلافسكايا في شهر مارس (آذار) ١٦٦٩ وهي تحاول تأدية دورها الملكي في انجاب وارث للعرش. وكان الحزن عليها كبيراً ليس من قبَل زوجها فحسب، بل من أفراد عائلة ميلوسلافسكي الكبيرة ايضاً الذين لم يدخل نفوذهم البلاط الروسي لولا هذا الزواج.

أما وقد قضت القيصرة فقد بات نفوذ العائلة في خطر، نظراً الى ان ابني القيصرة لم يتمتعا بصحة جيدة. ففيدور، وهو في الثامنة، كان ضعيف الجسم، اما ايفان، وهو في الثالثة، فكان نصف أعمى ومعاقاً في النطق. واذا مات الاثنان قبل أبيهما أو بُعَيد موته، فان باب الخلافة يُفتَحُ على مصراعيه ويندفع المتناحرون الى العرش. وهذا يعني ان الأمة الروسية كلها، باستثناء آل ميلوسلافسكي، تمنت أن يجد الكسيس زوجة له في أسرع وقت.

وبات القيصر الذي أضناه الترمل، يقضي معظم الامسيات في منزل صديقه الحميم ووزيره الاول آرتيمون ماتفييف، وهو شخص غير عادي بالنسبة الى موسكو القرن السابع عشر. فهو لم يكن من طبقة الاشراف، لكنه وصل الى السلطة بجدارته الشخصية. وكان مهتماً بالدرس والتحليل وشغوفاً بالثقافة الغربية.

في احدى تلك الأمسيات وقعت عين القيصر على نتاليا ناريشكينا، وكانت في التاسعة عشرة، وقد دخلت الغرفة لتقدم الطعام والشراب. وراح الكسيس يحدّق اليها وقد لاحظ

Condensed from «Peter The Great His Life And World,» (c) 1980 by Robert K. Massie, published in hardcover by Alfred A. Knopf, Inc., New York. Painting by Sir Godfrey Kneller, Royal Collection, Kensington Palace, London, copyright reserved.

صحتها الجيدة وعينيها السوداوين اللوزيتين وسلوكها الرصين المتواضع. وقبل ان ينصرف القيصر تلك الليلة، سأل صديقه ان كان يبحث عن عريس لتلك الفتاة الجذابة التي تعيش في موسكو تحت وصايته. وأجاب ماتفييف بالايجاب، لكنه أضاف ان الطلاب لا بد من ان يكونوا قليلين لان مهر الفتاة المخصص لها من والدها ومنه شخصياً ضئيل نظراً الى قلة مواردهما.

وبعد أيام قليلة سأل القيصر صديقه عن تطور المسألة، فقال: "الشبان، يا مولاي، يأتون يومياً لرؤية الفتاة، ولكن يبدو ان أحداً منهم لا يفكر في الزواج."

- هذا خير! فقد وجدتُ لها شاباً من شأنه ان يروقها. انه نبيل جداً ولا يحتاج الى أي مهر. وأظن أنها ستقبل به.

"لا شك في ان نتاليا ترضى بأي شخص يدبره لها صاحب الجلالة. ولكن قبل ان تعطي موافقتها يحسن ان تعرف من هو."

- حسناً، اذاً. قل لها انه أنا. فأنا مصمم على الزواج بها.

وخرَّ ماتفييف عند قدمي سيده وقد أدرك، على الفور، الحسنات والسيئات التي ينطوي عليها قرار الكسيس. فاذا ارتقت الفتاة الموضوعة تحت وصاية ماتفييف مقام القيصرة، فهذا يعني ان انسباءها واصدقاءهم سينالون أكبر حظوة في البلاط. لكن هذا لا بد من ان يؤلب آل ميلوسلافسكي ضدهم.

ومنذ اليوم الأول لزواجه، لم يخفَ على أحد ان الكسيس أحب زوجته الشابة ذات الشعر الاسود حباً كبيراً. وزاد سروره عندما علم، في خريف ١٦٧١، أنها حُبلى. وراح الاثنان يصليان كي يرزقهما الله ذكراً، الى ان وضعت القيصرة، في الاولى من فجر ٩ يونيو (حزيران) ١٦٧٢، ذكراً ممتلىء الجسم والعافية سُمي بطرس.

وأخذت الوالدة العطوفة والوالد المعتز وماتفييف المبتهج يتبارون في اغداق الهدايا على الطفل. وسرعان ما غصَّ جناح بطرس بالألعاب. وفي احدى الزوايا أوقف حصان خشبي ذو سرج من الجلد مرصَّع بالمسامير الفضية مع لجام يتخلله الزمرد. وعلى طاولة قرب النافذة وُضع كتاب مصوَّر تحيط به الشموع المضاءة. وهو كان يحوي مجموعة من اللوحات. الا ان دمى بطرس المفضلة وألعابه الاولى كانت عسكرية. وكان يحب قرع الصنوج والطبول. وملأ الطاولات والأرض بشخوص العساكر والحصون والرماح والسيوف والأسلحة النارية. وعلى طاولة بالقرب من سريره وضع بطرس أحب الألعاب طراً لديه، وهي مركب صغير أهداه اليه ماتفييف.

وما ان بلغ بطرس الثالثة والنصف حتى واجه صدمة قضت على حياته الطفولية. ففي فبراير (شباط) ١٦٧٦ مرض القيصر ألكسيس وتوفي وهو في السابعة والاربعين، وكان في أوج الصحة والنشاط. وبعدما كان بطرس ولد أبيه الأصغر والمفضل، غدا في أعين الحساد ابناً من زواج والده الثاني. وبارتقاء فيدور العرش، وهو

الفتى العليل ذو الخمس عشرة سنة، عاد آل ميلوسلافسكي الى السلطة بكل قوتهم.

على رأس تلك الجماعة كان ايفان ميلوسلافسكي الذي ما أن سمع بوفاة الكسيس حتى ترك وظيفته كحاكم لمقاطعة أستراخان وأسرع الى موسكو ليأخذ مكان ماتفييف كوزير أول. وكان متوقعاً ان يبعد ماتفييف بحجة منحه وظيفة رسمية اخرى. لذلك أذعنت القيصرة نتاليا لدى معرفتها أن ماتفييف أمر بالتوجه الى سيبيريا ليتولى حكم احدى مقاطعاتها. الا انها ذهلت وهلعت عند اخبارها ان ايفان ميلوسلافسكي أصدر أوامر جديدة بخصوص ماتفييف وهو في طريقه لتسلم الوظيفة. فقد أوعز الى أعوانه ان يقبضوا على الوزير السابق ويجردوه من كل ممتلكاته ويسوقوه كسجين سياسي الى بلدة نائية في القطب الشمالي. والواقع ان ميلوسلافسكي حاول اصدار أمر باعدام ماتفييف. لكن فيدور رفض طلبه.

وهكذا أقصيت نتاليا وولدها بطرس عن الحياة العامة باقصاء ماتفييف وأعوانهما الآخرين عن السلطة. وباتت سلامتهما معرّضة للخطر.

المرأة الحديد

مع الوقت استعادت نتاليا اطمئنانها. ذلك ان حياة امير من العائلة المالكة كانت أمراً مقدساً. كما ان القيصر فيدور كان يكن كل العطف لأخيه الأصغر وأمه اللذين بقيا في الكرملين منعزلين ضمن جناحهما الخاص. هناك بدأت تربية بطرس الذي لم تكن له موهبة بحاثة، لكنه كان منفتحاً وفضولياً فوق العادة.

ومات فيدور بعد ست سنوات من توليه العرش من غير ان يترك اولاداً. وكان وليا العهد شقيقه ايفان الذي يبلغ السادسة عشرة وأخاه بطرس الذي يبلغ العاشرة. ومن الطبيعي ان يرتقي ايفان سدة العرش. لكن هذا كان اعرج وشبه أعمى، كما كان ينطق بصعوبة، في حين ان بطرس كان نشطاً وممتلىء الجسم بحيث بدا أكبر من سنه. غير ان الأشراف أدركوا أنه، كائناً من يكون القيصر الجديد، فانه لا بد من وضع السلطة موقتاً تحت الوصاية. وبات معظمهم يمقت ايفان ميلوسلافسكي ويفضل ماتفييف عليه. لذلك ارتأوا اختيار بطرس وتسليم القيصرة نتاليا الوصاية الاسمية، على ان يتولى ماتفييف تدبير الأمور فعلياً. وتم ذلك من دون استشارة صوفيا، ابنة القيصر الكسيس وشقيقة فيدور الراحل وايفان.

وكان المفهوم الروسي للأنوثة هو المفهوم البيزنطي عينه. فالانثى، في اعتقاد الروس، فارغة ذهنياً وقاصرة خُلُقياً وسريعة الى الاباحية لدى أدنى فرصة. ومن اجل الحفاظ على عفتها وتقديمها الى زوجها بلا شائبة عندما يحين الوقت، كانت الفتاة تُحْفَظ تحت الرعاية الصارمة وتلقن الصلاة والطاعة وبعض الأعمال النافعة كالتطريز. وما ان تتزوج حتى تغدو بمثابة قطعة أثاث متحركة في منزل زوجها، ومنه تستمد جميع حقوقها.

هـذا يعنـي ان الفتـاة الروسيـة العادية في القرن السابع عشر لم تكن تعرف سلفاً ما اذا كان الزواج خيراً لها. أما فتيات العائلة المالكة، اي أخوات القيصر وبناته، فكن يَجِدن في الزواج عائقاً بعض الاحيان، نظراً الى أنه كان محظَّراً عليهن بمن هو أدنى طبقة منهن. كما ان الدين حرمهن الزواج من أجانب. وهكذا حُكم عليهـن ان يَعِشْن، منـذ الولادة، فـي جنـاح النَسـاء داخـل القصر، حيث يقضين أوقاتهن في الصلاة والتطـريـز والـثـرثـرة...

وكان مقيضاً ان تعيش صوفيا في جناح النساء، حيث ولدت عام ١٦٥٧ وأمضت سني طفولتها مع اخواتها وعماتها وعمات أبيها خلف النوافذ الصغيرة. الا ان صوفيا كانت تختلف عنهن جميعاً. وكان لها من الذكاء والطموح وقوة الارادة ما يفوق مواهب شقيقيهـا الضعيفيـن وشقيقاتـهـا المغمورات.

كانت صوفيا في الثامنة عشرة عندما توفي والدها وخلفه شقيقها فيدور ذو الخمس عشرة سنة. وهي أخذت تبرز خارج جناح النساء وترتاد مجالس محظرة على بنات جنسها، فتحضر اجتماعات مجلس الاشراف ولقاءات الوزراء التي يأخذها اليها خالهـا ايفـان ميلوسلافسكـي، ممـا انضج آراءها السياسية. وما لبثت ان أدركت ان مكتسباتها العقلية، فضلا عن قوة ارادتها، تُجاري خصائص الرجال حولها بل تبزها، وان لا شيء سوى كونها انثى يحول بينها وبين السلطة العليا.

وجاءت وفاة شقيقها فيدور وتولي اخيهـا بطـرس الـعـرش صـفـعـة لطموحها. وبكت فيدور من كل قلبها. وخشيـت ان تـحـرمـهـا عـودة آل ناريشكيـن الـى البـلاط امتيازاتهـا الخاصة. وهكذا أخذت تبحث عن حل آخر.

في النصف الاول من حياة بطرس، كان مفتاح السلطة الروسية حرس الكرملين، وهم جنود افظاظ ملتحون يمتشقون البنـادق والرمـاح. وكـان معظم افـراد الحـرس الملكـي مـن المواطنين العاديين الذين يعيشون وفـق التقاليـد الروسيـة القـديمـة، فيكنون الاجلال للقيصر وينبذون البدع الجديدة. وكانوا، ضباطاً وجنوداً، يمقتون الأجانب الذين استقدموا الى البلاط لتدريب الجيش على السلاح الحديث. وعلى رغم جهلهم السياسة، فانهم كانـوا يتدخلـون فـي شـؤون الدولة كلمـا تبيـن لهـم ان الـبـلاد انحرفت عن خطها السوي المرسوم منذ القدم.

وفي شهر مايو (ايار) ١٦٨٢، بينما كان القيصر فيدور على فراش الموت، قدم أحد أفراد الحرس الملكي عريضة يتهم فيها قائد فوجه بحجز نصف راتب جنده. فما كان من آمر الحرس الا ان قبض على ذلك الجندي وقاده الى السَّوط. ولكن قبل وصوله الى مكان العقاب انقض افراد الحرس على الجلادين وحرروا زميلهم.

ذلك الحادث الهب صفوف الحرس الملكي. وهب على الفور سبعة عشر فوجاً يطالب افرادها بمعاقبة قادتهم بتهمة الغش وسوء المعاملة. والقي

الحمل على عاتق حكومة نتاليا الحديثة العهد. وسعياً منها الى اخماد الفتنة، ارتأت الوصية ان تضحي بالقادة وترضي الجنود. فقبض على قادة الحرس وجُردوا من مناصبهم من غير محاكمة. وتم جلد اثنين منهم، في حين ضُرب اثنا عشر قائداً بالعصي. وحصل ذلك على أيدي الجنود أنفسهم.

وهدأ جماح الحرس الملكي وقتياً. ولكن سرعان ما انتشرت الأنباء الفاسدة في صفوفهم. فقد بلغهم ان فيدور لم يقض بالمرض، ولكن بالسم على أيدي أطباء اجانب تلقوا أوامرهم من الأشراف ومن عائلة ناريشكين. وهؤلاء هم الأعداء الذين أقصوا ايفان لمصلحة بطرس. وبعد نجاح خططهم الشيطانية، لا بد من ازدياد نفوذ الاجانب في الجيش والحكومة، مما يعني معاقبة حماة القيم الصحيحة، اي أفراد الحرس الملكي.

وفي التاسعة من صباح ٢٥ مايو (أيار) برزت الشرارة الاولى من تحت الرماد، اذ انطلق خيالان من حلقة صوفيا الى قسم الحرس وهما يصيحان: "ان آل ناريشكين قتلوا ايفان ابن القيصر. هيا الى الكرملين. اسرعوا الى السلاح. عاقبوا الخوَنَة."

ثورة الحرس

على أثر تلك الاشاعات اهتاج الحرس الملكي وقُرعت طبول الحرب. وامتشق افراد الحرس بنادقهم ورماحهم ورفعوا راياتهم وقرعوا الطبول وهم في طريقهم الى الكرملين عبر شوارع موسكو. وتجمهروا أمام السلم الحمراء عند مدخل القصر وأخذوا يصيحون: "أين ولي العهد ايفان؟ اعطونا آل ناريشكين وماتفييف! لقد قتلوا ولي العهد! الموت للخونة!"

وأدرك ماتفييف ان عصيان الحرس ان هو الا نتيجة أنباء ملفقة. وأشار على نتاليا ان تأخذ بطرس وايفان الى رأس السلم كي تراهما الحشود. أما نتاليا فقد ارتعدت لفكرة الوقوف أمام جماهير ثائرة ومعها ابنها ذو السنين العشر، خصوصاً لأن اولئك يطالبون بالثأر من عائلتها.

غير انها لم تجد بداً من الرضوخ. وأخذت بطرس بيد وايفان باليد الاخرى ووقفت معهما على الشرفة. ولما شاهد أفراد الحرس القيصرة نتاليا والولدين، همد صراخهم وران على الساحة صمت عميق. وأيقنوا أن احداً شاء خداعهم.

بعدئذ تقدم ماتفييف بلحيته البيضاء وردائه الطويل. وكان ذلك الرجل في عهد القيصر الكسيس آمراً للحرس، وما زال بعض أفراده يكنون له الاحترام. ووقف يتكلم بهدوء ويذكرهم بولائهم السابق وسمعتهم الطيبة كحماة العهد. ونصحهم بالعودة الى مواقعهم بعد طلب الصفح.

وبدا ان الأزمة انتهت. وبعد تحيته الحرس، دخل ماتفييف الى القصر ليخبر القيصرة بما حصل. لكن مغادرته الشرفة كانت خطأ قاتلا.

فما ان ترك حتى قفز الى مكانه

الأمير ميخائيل دولغوروكي، ابن آمر الحرس الملكي. ويبدو ان ميخائيل هذا غاظه تمرد الحرس، فوقف يشتمهم بأقسى العبارات ويأمرهم بالعودة الى مراكزهم فوراً والا ساقهم الى الجلد.

وللحال انحل الهدوء الذي خلفته كلمات ماتفييف، واندفع الحرس أفواجاً فوق السلم وقبضوا على الأمير وألقوه من الشرفة الى رماح زملائهم في الساحة.

ولم يرتوِ غليل أفراد الحرس، بل اقتحموا القصر حيث كان ماتفييف واقفاً في حجرة الانتظار يتحدث الى نتاليا وهي لم تزل تمسك بيديها بطرس وايفان. وعلى الفور تركت الولدين وطوّقت ماتفييف بذراعيها لكي تحميه. الا ان الحشود نحت الفتيين واختطفت العجوز وساقته الى الشرفة. ووسط هتاف الجماهير في الساحة، ألقي ماتفييف عن الشرفة ليسقط على الشفار.

وتبدد الأشراف في كل جانب هرباً من غضب الحرس. الا ان غالبيتهم لم تتمكن من الفرار. فقد اقتحم افراد الحرس الأبواب الموصدة ومشطوا المخادع برؤوس رماحهم. وساقوا كل من قبضوا عليهم من الكرملين الى الساحة الحمراء حيث رفعوهم أهراماً من الجثث.

واستمرت الفتنة يومين آخرين من غير ان يتمكن الثوار من القبض على أحد الد أعدائهم، وهو ايفان ناريشكين شقيق نتاليا. وفي اليوم الثالث نفد صبرهم، فتسلق قادتهم الشرفة الحمراء حيث وجهوا انذاراً الى نتاليا مؤداه أنهم سيقتلون كل الأشراف داخل القصر ما لم يستسلم ايفان ناريشكين فوراً. وهذا يعني ان مصير العائلة المالكة كان مهدداً.

وفي الداخل تولت صوفيا الأمر، فاخترقت صفوف الأشراف الهلعين متوجهة نحو نتاليا، وخاطبتها: "اذا شئت ان تنقذي حياتنا جميعاً، فلا بد، كما يبدو، من تسليم أخيك."

وأمرت نتاليا الخدام بحمل شقيقها اليها، ففعلوا. وراحت تبكي وهي تراه متوجهاً نحو الحرس.

وعند وصوله أمام الجمهور، انطلقت من صفوفه صيحة ابتهاج ثم اندفع المئات نحوه فقبضوا عليه، على مرأى من شقيقته، وأخذوا يضربونه. ثم جروه من قدميه الى أسفل السلم واقتادوه الى غرفة تعذيب أبقوه فيها ساعات يحاولون ارغامه على الاعتراف بأنه اغتال القيصر فيدور وتآمر لانتزاع السلطة.

بعد ذلك جُرّ ايفان ناريشكين الى الساحة الحمراء ورُفع على رؤوس الرماح لكي تراه الحشود للمرة الاخيرة.

وعلى رغم كل الأذى المتعمد الذي حصل، فقد بقي بطرس هو القيصر. ومع بلوغه عزز قوته وقوّى آلَ ناريشكين نفوذهم، فيما لم يدم النصر الذي حققته عائلة ميلوسلافسكي.

وفي الثاني من يونيو (حزيران) الذي أعقب الفتنة، طلب الحرس الملكي، بايعاز من صوفيا، ان يُعلَن ايفان قيصراً الى جانب بطرس، مهددين باقتحام الكرملين مرة اخرى

في حال رفض طلبهم. ولم يستطع الأشراف معارضة الحرس. وفي ٥ يونيو (حزيران) توجه وفد من الحرس الى الكرملين يحمل طلباً أخيراً، وهو تولية صوفيا منصب الوصاية نظراً الى صغر سن كل من أخويها القيصرين. وأعلن الأشراف موافقتهم السريعة. وفي اليوم نفسه صدر قرار بتعيين صوفيا الكسييفنا مكان القيصرة نتاليا وصية على العرش الروسي. وحكمت تلك المرأة الحديد روسيا طوال السنوات السبع التالية.

ألعاب بطرس

للابتعاد عن أجواء الكرملين، أخذت نتاليا تصرف وقتاً أطول في منتجع للصيد في بريوبراجنسكو على بعد خمسة كيلومترات من موسكو. هناك، في الحقول والغابات الفسيحة، نسي بطرس أجواء الدرس وانصرف كلياً الى اللعب. ولم تزل لعبته المفضلة، كعهده أيام الطفولة، الحرب. لكن بطرس كان يختلف عن سائر الاولاد الذين يمارسون لعبة الحرب، اذ في امكانه تحويلها حقيقة.

ولدى بلوغه الرابعة عشرة، كان منتجعه الصيفي استحال مخيماً عسكرياً كبيراً. وكان "جنود" بطرس الاوائل مجموعة من أبناء الأشراف الذين اختيروا حاشية للقيصر الصغير. وما لبث ان صار عددهم ثلاثمئة. وعاش اولئك في ثكنات على أرض بريوبراجنسكو، حيث تلقوا تدريباً عسكرياً وتقاضوا رواتب كالجنود. وكان بطرس ينظر اليهم كخاصته. ومن اولئك الرجال نظم لواء أطلق عليه لاحقاً اسم "لواء بريوبراجنسكو." وهذا بقي، حتى سقوط الملكية عام ١٩١٧، أفضل مجموعة في الحرس الامبراطوري.

وبدلا من ان يتخذ لنفسه صفة كولونيل، انضم بطرس الى الصفوف الدنيا كقارع طبل، مما أتاح له ممارسة احدى هواياته. وبعد ذلك رقى نفسه الى رتبة مدفعي. وهذا خوّله اطلاق القذائف المدفعية التي يصدر عنها أقوى صوت وأكبر أذى. وفي الثكنات كما في ساحات التدريب، لم يميز بطرس بينه وبين الآخرين. فكان يأكل مثلهم ويؤدي نوبة الحراسة في دوره نهاراً أو ليلا وينام في الخيمة. وكان يحفر الخنادق معهم ويسير في المواكب، من غير ان يميزه عن الآخرين سوى طوله.

هذه الفتوّة في الهواء الطلق قضت على تربية بطرس المدرسية التقليدية. فالحقول والأنهار لا مكان فيها للصفوف المدرسية، والبنادق والمدافع تختلف عن الاوراق والأقلام. ولئن يكن الربح الذي اكتسبه كبيراً، فالخسارة كانت أيضاً كبيرة. فقراءته كانت بدائية. أما خطه ولفظه ومعرفته بقواعد اللغة فلم تتقدم فوق مستوى الحداثة. الا انه اكتسب معارف كثيرة على رغم ذلك كله.

ومن الأمثلة على طريقة اكتسابه العلم ما حدث عام ١٦٨٨ عندما عاد احد المواطنين الروس من فرنسا ومعه آلة سدس. وكانت هذه الآلة تستعمل في قياس المسافات، خصوصاً ارتفاع الأجرام السماوية من سفينة متحركة.

ولم يكن أحد من اتراب بطرس أو ممن حوله يعرف طريقة استخدامها. وبعد البحث أُحضر تاجر هولندي عجوز اسمه فرانز تيمرمان، حمل الآلة وحسب المسافة سريعاً بينه وبين منزل مجاور. ولما أُرسل خادم للتدقيق في الأمر، وجد الرقم قريباً جداً مما قاله تيمرمان. وعلى الفور طلب بطرس ان يُلقن طريقة استخدام الآلة. ووافق التاجر الهولندي، لكنه قال ان ذلك يقتضي تعلُّم الحساب والهندسة أولا. وكان بطرس نسي أبسط المبادىء الحسابية كالطرح والقسمة. الا ان رغبته في استخدام آلة السدس حفزته على اكتساب العلوم الضرورية.

وأصبح تيمرمان مرشداً وصديقاً للقيصر الصغير الذي أبقاه معه على الدوام. وذات يوم كان الاثنان يتجولان في أرض ملكية مجاورة عندما انجذبت عينا بطرس الى مخزن خشب شاهد في احدى زواياه مركباً قديماً متداعياً ومنقلباً. وكان ذلك المركب مختلفاً عن المراكب الروسية التي عرفها بطرس، وهي بطيئة ومسطحة يستخدمها قومه لنقل بضائعهم في أنهرهم الواسعة. أما هذا المركب فكان مختلفاً. ذلك ان بدنه المقعَّر وعارضته الفولاذية الثقيلة ومقدمه المستدق كانت كلها تشير الى أنه لم يقصد للاستخدام النهري.

وقال تيمرمان: "لو زودنا هذا المركب باشرعة وصوار حديثة، لأمكنه الابحار ليس في اتجاه الريح فحسب بل عكسها ايضاً."

الجنرال
باتريك غوردون

Mary Evans
Picture Library.
London

فرنسيس ليفور.

Russian Museum, Leningrad

الامير فاسيلي غوليتسين.

ودُهش بطرس لذلك، وود اختبار المركب حالا. واستقدم تيمرمان عجوزاً هولندياً آخر هو كارستن برانت الذي جدَّدَ أجزاء المركب البالية وسدَّ شقوقه وطلاه بالقار، ثم زوده بصار وأشرعة وحبال للكر . وبعد ذلك سُحب المركب على عجلات الى نهر ياوزا، حيث أنزله برانت الى الماء وأخذ يديره بواسطة الأشرعة يميناً ويساراً. وصرخ اليه بطرس كي يأتي ويأخذه.

ومنذ ذلك الحين بدأ بطرس يمارس الملاحة يومياً. غير ان نهر ياوزا كان ضيقاً، مما جعل القارب يصطدم باليابسة مراراً. وكان اقرب مجمَّع مائي واسع بحيرة بليتشيف التي تبعد ١٥ كيلومتراً شمال شرق موسكو. هناك يمكن الابحار ساعة او اثنتين من غير تغيير اتجاه السفينة. ولكن من أين يأتي بطرس بالمراكب؟

وسأل برانت ان كان في استطاعته بناء القوارب على ضفة البحيرة، فأجاب النجار الهَرِم: "أجل، هذا ممكن. ولكن تلزمنا عدة كبيرة."

– مهما يكن الامر، فسنأتي بكل ما نحتاج اليه.

وقُطع الخشب وسُوِّي في الأشكال المناسبة. وكان بطرس يعمل مع الآخرين من الضحى حتى الغسق، فينشرون الأخشاب ويطرقون المسامير في اشراف الرجُلين الهولنديين. ومددوا عارضات لخمسة مراكب هي عبارة عن بارجتين صغيرتين وثلاثة يُخوت، بُنيت كلها برؤوس وأذيال مدورة على الطراز الهولندي. وفي شهر سبتمبر (أيلول) بدأت هياكل

(c) National Museum, Stockholm

القيصرة نتاليا، والدة بطرس.

Russian Museum, Leningrad

صية على العرش، صوفيا، اخت بطرس من ابيه.

القوارب ترتفع، لكن أياً منها لم يكن تم صنعه عندما أُرغم بطرس على العودة الى موسكو. وطلب الى الهولنديين ان يعملا بنشاط لانهاء القوارب مع بداية الربيع المقبل.

لباس الجلال

في نهاية ١٦٨٨ بلغ بطرس السادسة عشرة والنصف وتجاوز الفُتوّة. في تلك الآونة كانت الحياة قصيرة والرجال يتزوّجون في سن مبكرة، ولاسيما الأمراء الذين ينبغي ان يخلفوا أولياء للعهد. وكانت مهمة بطرس التي استدعي من أجلها واضحة، وهي ان يتزوج.

كان اسم الفتاة التي اختيرت له افدوكيا لوبوخينا. وكانت في التاسعة عشرة وقد عُدت جميلة، ولكن لم يبلغنا أي رسم لها من تلك المرحلة. وكانت افدوكيا فتاة متواضعة وتحب ارضاء زوجها، من غير ان تدري كيف تفعل ذلك. ولو كان بطرس قيصراً تقليدياً، لكانت له نعْمَ القيصرة. الا ان عبقريته المَتهورة أربكتها. فهي كانت مؤهلة لاعانته في الاحتفالات الرسمية، لا في بناء السُفُن. ولقد أضجره حديثها منذ البداية، ولم يلبث ان ملّ مطارحتها الغرام. ولم يمضِ وقت طويل حتى بات لا يحتمل النظر اليها.

وفي مطلع ابريل (نيسان) ١٦٨٩، بعد أسابيع قليلة من زواجه، ترك بطرس عروسه في الكرملين واسرع الى بحيرة بليتشيف. وكان الجليد ذاب معظمه عن صفحة الماء.

واستُدعي مرتين الى موسكو. وفي المرة الثانية أصرّت عليه والدته أن يبقى، لأن مجلس الاشراف يستعد لمواجهة حكومة صوفيا التي بدأت تنهار بعد سبع سنوات من الحكم القوي الصارم. وكان أنصار بطرس يعتقدون ان النهاية وشيكة، الا انهم كانوا يحتاجون الى وجوده بالقرب منهم لكي يمدهم بالقوة المعنوية. ولا سبيل الى خوف صوفيا منه ان هو بقي في سرواله القصير الخاص ببناء السفن. أما اذا تسربل برداء المُلك المهيب، فلا شك في أن ذلك يبعث فيها الرهبة.

وكان الرجل المتقدم أيام حكم صوفيا هو الأمير فاسيلي غوليتسين، سليل احدى أعرَق العائلات الروسية. وهو كان مرشدها ووزيرها الأول قبل ان يغدو عشيقها أيضاً. وقد تعرّفت صوفيا اليه وهي في الرابعة والعشرين، أيام ثورتها العارمة على حياة النساء التقليدية. وكان غوليتسين في التاسعة والثلاثين، أزرق العينين وذا شاربين قصيرين ولحية مستدقة الطرف. ولم تأبه صوفيا لكونه زوجاً وأباً. فهذه الفتاة التي مارست جميع الوسائل للسيطرة على السلطة لن تتورع عن اطلاق العنان لرغباتها ودعوة غوليتسين الى مشاركتها الحكم والحب معاً.

أما اعظم انجاز حققته حكومة الوصاية فكان في حقل السياسة الخارجية. ذلك ان صوفيا وغوليتسين، منذ البداية، انتهجا خطاً مسالماً مع جيران روسيا. وكان سرور الملك الأسوجي شارل الحادي عشر

كبيراً عندما أُعلم ان القيصرين ايفان وبطرس لن يحاولا استعادة الأراضي الروسية على البلطيق التي سُلمت الى اسوج (السويد) عام ١٦٦١. الا ان السفارة الروسية في فرصوفيا واجهت وضعاً أكثر تعقيداً. فالبولونيون والروس اعداء تقليديون تحاربوا طوال قرنين كانت الغلبة فيهما لبولونيا. أما الآن فالحرب دائرة بين بولونيا والنمسا من جانب والامبراطورية العثمانية من جانب آخر، والطرفان يسعيان الى التأييد الروسي. وكان أن تخلت بولونيا عن مدينة كييف، احدى أقدم المدن الروسية وعاصمة اوكرانيا، وأعادتها الى الروس. لكن روسيا دفعت ثمناً لذلك باعلانها الحرب على الامبراطورية العثمانية.

الا أن المهمة التي أُلقيت على عاتق صوفيا وغوليتسين لم تكن مواجهة الاتراك أنفسهم، بل اتباعهم التتار الكريميين الذين أسكنهم الاتراك لديهم في مقابل الخدمة العسكرية. وفي مايو (أيار) ١٦٨٧ سيرت روسيا نحو الجنوب جيشاً من مئة الف رجل بقيادة غوليتسين نفسه. وفي ١٣ يونيو (حزيران) أقام الروس مخيماً عند نهر الدنيبر الأدنى. ولم يلبث رجال غوليتسين أن رأوا الدخان يرتفع في الأفق. وكان التتار يحرقون السهوب التي ترتعي فوقها ثيران الروس وجيادهم. وتقدم الجيش الروسي مضطرباً الى نقطة تبعد نحو مئة كيلومتر عن شبه الجزيرة الكريمية (في اوكرانيا). وهناك صمم غوليتسين على الانسحاب، وأمر جيشه بالتراجع لانقطاع الغذاء والمرعى في ذلك الوقت من الصيف.

الا أن غوليتسين، في التقارير التي أرسلها الى موسكو، وصف حملته بأنها ناجحة. ولدى بلوغه العاصمة الروسية في ١٤ سبتمبر (أيلول) استُقبل كبطل حربي. والواقع أنه زحف بجيشه طوال أربعة أشهر وخسر ٤٥ الف رجل وعاد من غير أن يشاهد واحداً من التتار.

وتجدر الاشارة الى أن بطرس منذ البداية رفض تصديق تمثيلية النصر تلك ولم يقف في الكرملين الى جانب ايفان لتحية "البطل" العائد. ولم ترتدع صوفيا عن استقبال عشيقها كبطل في أعقاب حملة ثانية سُيرت عام ١٦٨٩ وباءت بالاخفاق هي أيضاً. لكن بطرس هذه المرة أبدى استياءه على نحو صريح. وهكذا تضخم العداء بين الطرفين وبات احدهما يخشى أي مبادرة مفاجئة من الآخر، مفضلا أن يلزم جانب الدفاع لا الهجوم. وكانت المبادىء الخلقية تمنع أياً منهما من توجيه الضربة الاولى.

"الضربة القاضية"

انفجرت الازمة في ١٧ اغسطس (آب) ١٦٨٩. عصر ذلك اليوم طلبت صوفيا الى فيدور شاكلوفيتي، آمر الحرس، أن يزودها بمرافقين وهي في طريقها صباح اليوم التالي الى دير دونسكوي الذي يبعد ثلاثة كيلومترات عن الكرملين. وكانت الفرقة التي انتدبها شاكلوفيتي لتلك المهمة أكبر حجماً وأقوى تجهيزاً من المعتاد بسبب جريمة وقعت حديثاً

بالقرب من الدير. وبينما كانت الفرقة داخل معسكرها الموقت في الكرملين تستعد للانطلاق، وُزعت رسالة سرية على أفرادها تقول ان فريق بطرس العسكري يستعد للاجهاز على الكرملين تلك الليلة وقتل القيصر إيفان والوصية صوفيا. ومن أجل تهدئة روع صوفيا، أمر شاكلوفيتي باغلاق أبواب الكرملين وتعزيز قواته. وكان أهالي موسكو الذين لم ينسوا الفتنة الدامية قبل سبع سنوات، يترقبون الامور بحذر وخوف.

في تلك الأثناء دخل المدينة أحد سعاة بطرس حاملا رسائل رسمية في مهمة عادية. لكن عدداً من أفراد الحرس أساء الظن في مجيء الساعي. ولدى معرفتهم أنه مُرسل من بطرس، أنزلوه عن جواده وجروه الى القصر لمقابلة شاكلوفيتي. وعرف مُخبر من صفوف الحرس بما حصل، فسير للحال اثنين من أنصار الملكية لانذار بطرس.

وفي بريوبراجنسكو كان كل شيء هادئاً عندما وصل الرسولان بعيد منتصف الليل. وقفز بطرس من سريره وركب حصاناً وهو في ثياب النوم، واختبأ في مكان آمن بينما حمل اليه رجاله الثياب. ثم رافقته مجموعة قليلة منهم الى دير ترويتسكي الذي يبعد ٧٥ كيلومتراً شمال شرق موسكو.

والواقع أن حذر بطرس قاده الى اتخاذ خطوة حاسمة. ذلك أن دير ترويتسكي معقل قوي جداً، تحصنه جدران بيضاء يراوح ارتفاعها بين عشرة أمتار وخمسة عشر متراً وتبلغ سماكتها ستة أمتار. وهي تطوّق الدير على محيط ١٦٠٠ متر، وتملأها المدافع من كل جانب. وربما كان هذا الدير أقدس الاماكن في روسيا، أذ انه حرم العائلة المالكة التقليدي، يفزع اليه أفرادها للتأمل والصلاة والاعتصام. واذا استطاع أنصار بطرس أن يقنعوا الروس بأن القيصر لجأ الى دير ترويتسكي لمواجهة مغتصبي العرش، فلا بد من انتصار قضيتهم.

وجلس بطرس هناك يخط بيده الرسائل الى قادة ألوية الحرس جميعاً، يستدعيهم الى الدير مع عشرة رجال من كل لواء. وكان رد فعل صوفيا عنيفاً لدى اطلاعها على الرسائل، وهددت بقطع رأس كل ضابط يقرر الاستجابة لطلب بطرس.

وفي اليوم التالي زاد بطرس الضغط، طالباً من صوفيا، كوصية على العرش، أن تطيعه. فما كان منها إلا أن احتكمت الى البطريرك يواكيم وسألته التوجه الى دير ترويتسكي واستخدام ثقله لاجراء مصالحة. ووافق البطريرك على الذهاب، ولكن ما أن بلغ الدير حتى وقف الى جانب بطرس. وكان لتخلي البطريرك عن صوفيا الاثر الاكبر في تشجيع الآخرين على اتخاذ موقف مماثل.

وبعدما اصبح زمام الامور في يده، طلب بطرس أن يوافيه جميع الضباط الأجانب في لباسهم العسكري وعلى صهوات جيادهم. وكان اولئك خبراء لدى الحكومة الروسية. ولكن من يكون الحاكم في تلك الحال من الفوضى والبلبلة؟

وتوجه الجنرال باتريك غوردون، وهو المتقدم بين اولئك الضباط، الى غوليتسين طالباً مشورته. فقال هذا انه يريد البحث في الامر مع صوفيا وأيفان، مؤجلا اصدار حكمه حتى المساء. ولما لمس غوردون تردد غوليتسين، اتخذ قراره على الفور. فاذا كان عشيق الوصية وقائد جيشها عاجزاً عن اصدار أوامر، فهذا يعني وشوك انقلاب النظام في موسكو. وكان في ذلك المساء أن توجه موكب كبير من الضباط الأجانب الى الدير حيث يعتصم بطرس. ولدى بلوغهم دير ترويتسكي فجراً، تقدم كل منهم مقبلا يد القيصر.

وكانت مغادرة الضباط الأجانب موسكو، كما دوّن غوردون في مفكرته، "الضربة القاضية" بالنسبة الى عهد صوفيا. لقد انتهى الصراع ومعه الوصاية. وجُرد غوليتسين من رتبة الشرف وصودرت ممتلكاته ونُفي الى قرية في القطب الشمالي. وبُعيد ذلك وصل وفد من قبل بطرس الى الكرملين، سائلا القيصر ايفان أن يطلب من صوفيا الاعتزال في دير للراهبات بالقرب من موسكو. وقاومت صوفيا بادىء الأمر، لكنها ما لبثت ان أذعنت وتوجهت مع موكب رسمي الى ذلك الدير حيث قدمت اليها شقة مريحة أمضت فيها السنوات الخمس عشرة الباقية من عمرها.

وفي ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) دخل بطرس العاصمة دخولا مظفراً وقد جثا أفراد الحرس على ركبهم في طريقه طالبين الصفح. ولدى دخوله الكرملين توجه فوراً الى أخيه ايفان وعانقه. وبعد ذلك وقف، بكامل ملابسه الامبراطورية، على الشرفة الحمراء. وهكذا أصبح ذلك الشاب الطويل، ذو الوجه المدور والعينين السوداوين، رأس الدولة الروسية.

جمعية المرح

ان النصر الذي حققه بطرس لم يجعله يتهالك على الحكم. ففي السنوات الخمس اللاحقة ادار ظهره الى شؤون الدولة، مستأنفاً حياة اللهو التي اختطها لنفسه قبل اعتصامه في دير ترويتسكي.

أما الحكومة فكانت مجموعة صغيرة من أنصار بطرس في معركته ضد صوفيا، برئاسة نتاليا الاسمية، وكانت آنذاك في الاربعين. غير أن نتاليا لم تكن لها قوة صوفيا واستقلالها، بل اعتمدت على الرجال حولها، ولاسيما البطريرك يواكيم الذي كان يبيت عداء كبيراً للاجانب. وهو عقد العزم على طرد الوباء الغربي الذي تسرّب الى روسيا أيام حكم صوفيا وغوليتسين.

ولكن مهما تكن رغبة البطريرك يواكيم أو سواه، فالغرب كان على بعد خمسة كيلومترات فقط من الكرملين. ففي ضاحية موسكو على الطريق المؤدية الى بريوبراجنسكو، كانت تقوم بلدة اوروبية مكتفية ذاتياً عرفت باسم الضاحية الألمانية. وتجدر الاشارة الى أن غالبية الروس كانت، لجهلها اللغات الاجنبية، تعد جميع الأجانب المانا. ولم يكن زوار الضاحية، وهم يسيرون في شوارعها المخططة بالاشجار ويمرون أمام

منازلها ذات الطبقتين أو الطبقات الثلاث والنوافذ العريضة الاوروبية الطراز والساحات التي تتوسطها نوافير الماء، يصدقون أنهم في قلب روسيا. وكان سكان المنطقة يرتدون الملابس الاوروبية ويقرأون الكتب الأجنبية ويتكلمون لغاتهم. ولم يجد بعض الروس الجريئين، المتعطشين الى طرق المعرفة والحياة الغربية، ضيراً من مخالطة اولئك القوم. وهكذا أخذت العادات الاجنبية تتسرب الى المجتمع الروسي. وبعدما كان الروس يسخرون من الاجانب لاكلهم "العشب" باتوا هم أنفسهم يتناولون الخضر مع الطعام. كما اكتسبوا من الأجانب تدخين التبغ وشم السعوط (العطوس).

وكان بطرس، منذ حداثته شغوفاً بتحرّي حقيقة الضاحية الألمانية. لكن اتصالاته بها ظلت محظرة حتى وفاة البطريرك يواكيم عام ١٦٩٠. وبعد ذلك تكررت زيارات القيصر الشاب للمكان حتى بدا كأنه يقطن فيه. هناك اكتشف بطرس الحديث الحسن والرفقة الحسنة.

في تلك الضاحية التي جمعت الجنود الاسكوتلنديين والتجار الهولنديين والمهندسين الألمان، وقع بطرس على اناس كثيرين راقته أفكارهم. وكان أحدهم الجنرال الاسكوتلندي المتجهم باتريك غوردون. ولا غرو في أن يُعجب بطرس بذلك الضابط الذي، وهو في الرابعة والخمسين، زادت الأسفار والمعارك من شجاعته وحكمته وحنكته وولائه. لكن العجيب أن يكون القيصر نفسه، ذو الثمانية عشر عاماً، حظي باعجاب غوردون الذي خدم القياصرة الآخرين من غير ان يخطب ودهم. لكنه وجد في بطرس تلميذاً بارعاً وقريباً الى القلب، فأوكل الى نفسه مهمة تلقينه فنون الحرب. وفي السنوات الخمس التي أعقبت اقالة صوفيا، بات غوردون، اضافة الى كونه خبيراً عسكرياً أجنبياً، صديق بطرس الحميم.

وكان للقيصر صديق آخر في شخص الضابط السويسري الثري فرنسيس ليفور الذي احب ارتياد المجتمعات. وعندما كان بطرس عام ١٦٩٠ في الثامنة عشرة، كان ليفور في الرابعة والثلاثين، طويلا ووسيماً وذا أنف كبير مستدق وعينين تنمان عن ذكاء حاد.

لم يكن ليفور بالمفكر العميق، لكن ذهنه كان يعمل سريعاً وهو يحب الكلام. وكان معظم حديثه يدور على الغرب: حياته وعاداته وانجازاته العلمية. ولدى ذهاب بطرس الى منزل ليفور، كان يخيل اليه أنه يدوس كوكباً آخر. فهو هناك في حضرة الفطنة والافتتان والضيافة والتسلية والاسترخاء.

دخل بطرس ذلك العالم باندفاع. ولم ينقض وقت طويل حتى وقعت عينه على فتاة المانية ذات شعر بلون التبن الشاحب. تلك كانت آنا مونس، وهي ابنة تاجر من مقاطعة فستفاليا. وسرعان ما أصبحت آنا مونس عشيقته.

غير أن غالبية أصدقاء بطرس كانت من الروس. فبعضهم كان من

أصدقاء الطفولة الذين لازموه طوال سنوات المنفى في بريوبراجنسكو، وبعضهم من الرجال الاكبر سناً الذين احتلوا مراكز مرموقة في الدولة وأحبوا بطرس لأنه القيصر، متغافلين عن عشرته الماجنة.

وهكذا كان عالم بطرس الخاص مزيجاً متنافراً من ذوي اللحى الرمادية والشبان المرحين والمغامرين الاجانب. لكن هؤلاء باتوا مع الوقت جماعة واحدة أطلقت على نفسها اسم "جمعية المرح،" وكانوا يرافقون بطرس أينما ذهب. وكانت حياتهم الخاصة فترات من التشرد يطوفون خلالها في الارياف ويحلون على الاشراف للأكل والشرب والنوم. ولم يكن بطرس يرتاد مجلساً الا وفي معيته بطانة تراوح بين ثمانين شخصاً ومئتي شخص.

مخبّلون ومهرّجون

مع الوقت تطور نشاط "جمعية المرح" من المآدب الى الحفلات التنكرية والهزل الماجن. وطالما منح بطرس رفقاءه ألقاباً ساخرة، فسمى الشريف ايفان بورتولين "ملك بولونيا" لأنه، في احدى مناورات بريوبراجنسكو، لعب دور قائد جيش "العدو." وأعطى الأمير فيدور رومودانوفسكي لقب "ملك بريسبورغ" ثم "الأمير - القيصر." وكان بطرس يخاطبه بقوله "صاحب الجلالة" ويوقع رسائله اليه بعبارة "تابِعُكَ وعبدُكَ بطرس." واستمر ذلك النمط من الهزل طوال حكم بطرس.

واستمرت الجمعية حتى نهاية عهد بطرس. ووجد الديبلوماسيون الأجانب في ذلك السلوك فظاظة تداني الفضيحة، كما رآه الكثيرون من أتباع بطرس تجذيفاً. ولكن في عيني بطرس نفسه لم تكن الألعاب التي تمارسها "جمعية المرح" سوى وسيلة للاسترخاء وتناسي هموم الحياة اليومية. وأعضاء الجمعية رجال عمليون يديرون الأمور ويحكمون الدولة.

القبطان بطرس

كعملاق قابع في كهف لا منفذ له سوى كوة ضئيلة يدخل منها الضوء والهواء، هكذا لم يكن للامبراطورية المسكوبية بأسرها الا مرفأ بحري واحد هو مرفأ اركانجلسك الواقع على البحر الابيض، على مسافة مئتي كيلومتر الى جنوب الدائرة القطبية. هناك تتحوّل المياه جليداً ستة أشهر من السنة. والمكان لم يزره قيصر قط، اذ لم يعتلِ العرشَ قيصر تهمه السُّفن.

وفي ١١ يوليو (تموز) ١٦٩٣ غادر بطرس موسكو في اتجاه مرفأ اركانجلسك، يرافقه مئة شخص بينهم ليفور والعديد من أفراد "جمعية المرح" فضلا عن ثمانية مطربين وقزمين وأربعين نفراً من الحرس الملكي. والمرفأ يبعد عن العاصمة ٩٦٥ كيلومتراً على خط مستقيم و١٦٠٠ كيلومتر عبر الطرق البرية المتعرّجة والأنهار. وقطعت الجماعة بادىء الأمر ٤٨٠ كيلومتراً براً، مروراً بدير ترويتسكي وبلدتي

سلافل وروستوف، ثم عبرت نهر الفولغا الى بلدة فولوغدا المزدحمة حيث ركبت عدداً من القوارب حملها عبر البقية الباقية من الرحلة. فمن نهر سوخونا الى نهر ديفينا، ومن هناك شمالا الى اركانجلسك.

ولدى ذوبان الثلج في الربيع كانت الحياة تعود الى المرفأ، حتى اذا جاءت أشهر الصيف اصطفت فيه مئة سفينة أو نحوها تنزل حمولتها من البضائع الغربية وتحمل بضائع روسية. وكان بطرس وأمثاله من الشبان الذين سحرتهم حضارة الغرب يجدون متعة بالغة في ذلك المكان. ومن منزله على جزيرة مواسييف، كان ينظر الى السفن تدخل المرفأ وتخرج منه دونما انقطاع. وعند نزوله الى الميناء كان بطرس يتفقد جميع السفن بحماسة، مستجوباً قبطان كل منها طوال ساعات عن جميع التفاصيل المتعلقة ببنية السفينة.

وآلم بطرس ألا يكون في ذلك المرفأ أي سفينة روسية باستثناء يخته الصغير. فصنع بيديه عارضة سفينة أكبر من يخته، طالباً من عماله انجازها خلال الشتاء.

ولدى عودته الى موسكو واجه بطرس نكسة قوية. ذلك أن أمه ماتت في الرابع من فبراير (شباط) ١٦٩٤ وهي في الثانية والاربعين، بعد مرض مفاجىء دام خمسة أيام. وبقي أياماً بعد وفاتها لا يقوى على الكلام من غير أن ينفجر باكياً. وفي تلك الاثناء قصده الجنرال غوردون الى بريوبراجنسكو حيث وجده "في اقصى درجات الكآبة والغم."

وتمّ دفن القيصرة نتاليا في احتفال رسمي مهيب. ورفض بطرس المشاركة في تشييعها، لكنه زار ضريحها بعد الدفن.

وفي ربيع ١٦٩٤ عاد بطرس الى مرفأ اركانجلسك حيث كان يخته الصغير راسياً على الرصيف استعداداً للابحار. كما كان العمال فرغوا من بناء السفينة الجديدة التي دشنها بطرس بقطع حبالها. وقرر أن يركب تلك السفينة الجديدة لزيارة دير سولوفتسكي الواقع على جزيرة في البحر الابيض. وصعد اليها في العاشر من يونيو (حزيران) ومعه عدد من الاصدقاء والجند.

وفي اليوم التالي اكفهرت السماء وقويت الريح. وعلى بعد ١٣٠ كيلومتراً من المرفأ هبت عاصفة قوية على السفينة، فتمزقت أشرعتها وملأت الامواج المتكسرة قعرها. وتجمع البحارة والركاب يتضرعون الى الله ان ينقذهم.

وكان بطرس واقفاً عند الدفة وهو لم يفقد الامل. وكلما ارتفعت السفينة مع موجة كبيرة ثم هوت، كان يحاول ابقاء مقدمها في وضعه الطبيعي. وكان لعزمه القوي أثره الفعال. وزحف الربان الى مؤخر السفينة وصاح في اذن بطرس أنه يجدر محاولة التوجه الى خليج اونسكايا. وتعاون الاثنان على توجيه السفينة عبر ممر ضيق تحيطه الصخور، ومن هناك الى ميناء الخليج. وفي ظهيرة الثاني عشر من يونيو (حزيران) وصلت الجماعة الى شاطىء الامان بعد ٢٤ ساعة من الرعب.

في تلك الاثناء بلغ بطرس الثانية والعشرين من العمر. وكان الناظر الى القيصر للمرة الاولى يلفته طوله الذي يتجاوز المترين قليلا، مما يعني أن القيصر كان ينوفُ كبرج فوق الآخرين. وكان وجه بطرس فتياً ووسيماً ويداه قويتين وخشنتين وقد تصلب جلدهما من جراء عمله في حظيرة السُّفن. وهو ترك على وجهه شاربين قصيرين ولم يضع فوق رأسه شعراً مستعاراً، بل أطلق العنان لشعره الضارب الى الحمرة الذي استقر بين أُذنيه وكتفيه.

لكن أهم ميزة اتسم بها القيصر الشاب كانت حيويته الهائلة التي منعته من الجلوس طويلا في مكان واحد. وكان يمشي بسرعة يعجز مرافقوه عن مجاراتها. أما اذا أُرغم على العمل المكتبي، فكان يذرع المكان ثم يقف عند طاولة مرتفعة. وفي المآدب كان يأكل قليلا ثم يقف فجأة ليتفقد ما يجري في الغرُف الاخرى او ليتنزه خارجاً.

المعركة الاولى

دُهشت موسكو كلها عندما أعلن القيصر دخول روسيا الحرب ضد التتار وأسيادهم العثمانيين في صيف ١٦٩٥. وظن الشعب أن ذلك القرار المفاجىء جاء نتيجة لعدم استقرار بطرس وتعبيراً عن نزواته. ولكن، من ناحية اخرى، لا يمكن المرء أن ينسى أن المرفأ الوحيد الذي تملكه روسيا يبقى متجمداً نصف السنة، وأن أقرب بحر، وهو البلطيق، ما زال في أيدي الأسوجيين الذين يشكلون أكبر قوة عسكرية في اوروبا الشمالية. وهذا يعني أن الممرين البحريين الوحيدين كانا الى الجنوب وناحية البحر الأسود.

وكان للحملتين المخفقتين بقيادة غوليتسين ان ولدتا لدى الروس شكاً في امكان نجاح حملة اخرى عبر السهوب في اتجاه شبه الجزيرة الكريمية. والأجدى توجيه شعبتين عسكريتين نحو شبه الجزيرة، بهدف الوصول الى ثغري الدنيبر والدون حيث يسد الأتراك منافذ البحر الأسود. وعوضاً عن طَرق السهوب الجافة، ففي امكان الجيش الروسي ان يسافر جنوباً في المراكب.

وتقرر ان يتوجه الجيش الشرقي، وعدد أفراده ٣١ الفاً، عبر نهر الدون للهجوم على محمية آزوف التركية القوية. وقُسم هذا الجيش ثلاث فرق بقيادة ليفور وغوردون والجنرال الروسي غولوفين. وكانت الشعبة الغربية، التي عُهد اليها في الهجوم من الدنيبر، مشابهة للجيش الذي قاده غوليتسين غرباً. ذلك ان عدد افرادها ١٢٠ ألف رجل، معظمهم من الفلاحين المجندين لخوض حملة صيفية واحدة.

وغادرت مجموعة غوردون موسكو في مارس (آذار) متجهة جنوباً عبر السهوب. وتبعها في يونيو (حزيران) القسم الأكبر من الجند بقيادة بطرس وليفور وغولوفين، على متون المراكب الراسية في نهر موسكو التي تحرّكت في مجرى النهر نحو الفولغا، ومن هناك حملت المدافع والذخيرة والمؤن حتى نهر الدون الادنى.

وكانت بلدة آزوف المحصنة نقطة استراتيجية مهمة في سيطرة الأتراك المطلقة على البحر الأسود. وهي تقع على الضفة اليسرى لأقصى روافد نهر الدون الجنوبية، على بعد ٢٥ كيلومتراً من بحر آزوف. وقد أقيمت نقطتان حصينتان على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر من المدينة الى اعلى النهر، تصلهما سلاسل من حديد عبر الماء لمنع السفن الشراعية ذات المجاذيف من التسلل الى المدينة فالى البحر.

وأُطلق المدفع الروسي الأول في حضور بطرس. وبعد ذلك لم تهدأ المدافع بين الجيشين طوال الأسابيع الأربعة عشر اللاحقة. وقد شاء غوردون، وهو أشد العسكريين حنكة هناك، تطويق المدينة من كل نواحيها. ولكن لقلة العناصر الروسية، استحال تطويق آزوف من البر على نحو تام. كما عجز الروس عن السيطرة على النهر لقلة سفنهم. ووقف بطرس ينظر باكتئاب الى السفن التركية التي بلغت العشرين وهي تفرغ التعزيزات للحامية.

وطوال أسابيع الحصار المضني تولى بطرس اطلاق القذائف المدفعية التي أفرغت حممها على المدينة. وطلب من الجنود أن يخاطبوه باسم بطرس الكسييف. لكنه، كقيصر، كان يرئس المجلس العسكري ويناقش الخطط والعمليات مع معاونيه. الا ان مسألة القيادة الجماعية قيَّدت الروس كثيراً. واتخذ بطرس، بمعاونة ليفور وغولوفين، قراراً بالهجوم الفوري على المدينة. أما غوردون فارتأى أن هجوماً من هذا القبيل يقتضي حفر خنادق في محاذاة الجدران. لكن تحذيراته ضُرب بها عرض الحائط. وفي ١٥ اغسطس (آب) شُنَّ الهجوم، وجاء مخفقاً كما توقع غوردون. وتلته محاولة أخيرة لم تكن أكثر نجاحاً. وفي ١٢ اكتوبر (تشرين الاول) رفع بطرس الحصار بعد انهيار معنويات الجيش الروسي وتدهور الأحوال الجوية.

وكان التراجع شمالا كارثة أكثر هولا من حملة الصيف. وطوال أسابيع سبعة راح الروس يجرون الخطى عبر السهوب تحت المطر الغزير وغارات الخيالة التتار. وكانت الأنهار امتلأت بمياه المطر واحترقت الأعشاب تحت شمس الصيف بحيث لم يبقَ للحيوانات ما تقتاته. ووجد الرجال صعوبة في العثور على حطب جاف يضرمون فيه النار. وكان مع الجيش ديبلوماسي من النمسا أرسل الى حكومته تقريراً جاء فيه: "كيف للمرء ان يكفكف الدمع وهو يرى، على امتداد ٨٠٠ كيلومتر عبر السهوب، رجالا وجياداً أتت الذئاب على نصف أجسادها؟"

وفي الثاني من ديسمبر (كانون الاول) وصل الجيش الى موسكو. ولم يجد بطرس مناصاً من تقليد سابقة صوفيا وغوليتسين التي دانها هو نفسه، فدخل المدينة دخول المنتصرين ومعه أسير تركي واحد يتقدمه على مرأى من الجماهير.

الا ان الهزيمة لم تثبط عزيمته. وبدلا من خلق الاعذار الواهية، أكب القيصر ذو السنوات الثلاث والعشرين على الاستعداد للحملة المقبلة.

ارتأى بطرس ان ثمة حاجة الى أسطول لحماية النهر، وأمر ان يتم خلال الأشهر الخمسة التالية بناء ٢٥ سفينة مسلحة و١٣٠٠ قارب لنقل الجنود والعتاد. وكان الوقت المحدد قصيراً، وفيه تقع أسوأ أشهر السنة طقساً. فالأنهار تتجمد، كذلك الطرق البرية، كما يقصر النهار ويطول الليل.

غير ان بطرس شرع في العمل بعدما اختار بلدة فورونيج على نهر الدون الأعلى موقعاً لاعماله، وهي تبعد ٥٠٠ كيلومتر عن موسكو و٨٥٠ كيلومتراً عن البحر. وعلى ضفة النهر الشرقية المنخفضة، أقام بطرس أحواضاً جديدة للبناء ووسع الأحواض القديمة، واستقدم ٢٧٨٢٨ مجنداً من مقاطعة بيلغورود لمباشرة العمل. كما استدعى عدداً من النجارين وبُناة السفن الماهرين من مرفأ اركانجلسك، ومعهم خبراء أجانب وروس. وطلب من دوج البندقية، أي قاضيها الأول، أن يرسل اليه خبراء في بناء السفن الشراعية ذات المجاذيف.

جهود جبارة

وسط تلك الجهود الجبارة توفي القيصر ايفان فجأة في الثامن من فبراير (شباط) ١٦٩٦ عن ٢٩ سنة. واستُدعي بطرس الى موسكو. وكان ايفان ضعيف البنية ودمث الأخلاق ولا يعرف الأذى اليه سبيلا. وكان يُحمَل الى الاحتفالات الرسمية أو التجمّعات الشعبية حيث يهدىء من روع الجماهير أو غَضَبها. ولم يكن لوفاته أي ذيول سياسية، لكنها أكدت تفرد بطرس في الحكم. وهكذا بات القيصر بطرس حاكم روسيا المطلق الصلاحية.

ولدى عودته الى فورونيج، كانت أكوام الخشب جُرَّت الى أحواض البناء وارتفعت هياكل عشرات القوارب. وأكب القيصر على العمل، فكان ينام في مأوى خشبي قرب أحد الاحواض ويصحو قبل الفجر. وراح يعمل على بناء سفينة حربية على الطراز الهولندي، وقد وجد في ذلك العمل متعة فائقة. وكتب في مذكراته الآتي: "اننا، وفق الشريعة التي سنها جدّنا آدم، نأكل خبزنا بِعَرَق جبيننا."

وفي مارس (آذار) تحسَّن الطقس. وفي أواسط ابريل (نيسان) أُنزلت ثلاثة مراكب الى الماء، واصطفت حولها مئات القوارب الجاهزة للابحار. لكن الاستنفار الذي تم لهذه الحملة كان أصغر حجماً من سابقه. وأُلغيت فكرة الزحف الى الدنيبر، ولكن ارتئي ان يكون عدد أفراد القوة المغيرة على آزوف ضعفي ما كان في العام السابق. وهكذا تقرر تسيير ٤٦ ألف جندي روسي، يدعمهم ١٥ ألفاً من اوكرانيا وخمسة آلاف من مناطق الدون وثلاثة آلاف من الكلموك. وتم تعيين قائد واحد للحملة هو الشريف الكسيس شين.

وفي الأول من مايو (أيار) صعد شين الى مركبه. وما أن حل آخر الشهر حتى كان الاسطول كله على مداخل آزوف. واندلع القتال فوراً. وفي ٢٨ مايو (أيار) أرسل آمر

مجموعة الدون تقريراً يقول ان اثنتين من السفن التركية الضخمة راسيتان عند ثغر النهر. وعقد بطرس العَزم على الهجوم، الا انه شاهد، عوَضاً عن السفينتين المذكورتين، ثلاثين مركباً تركياً من مختلف الأصناف والأحجام. فأقلع عن الهجوم وعاد الى مخيمه. وفي الليلة التالية اسر فريق الدون عشر سفن تركية صغيرة. وعلى الأثر تراجعت القوة التركية الباقية الى نقطة التجمُّع الرئيسية وقد هال قُوّادها ما حصل. وابتعدت المراكب التركية الى عرض البحر، تاركة مدينة آزوف.

وبعد أيام قليلة عاد بطرس الى ثغر النهر ومعه مراكبه التسعة والعشرون. وهكذا عُزلت آزوف عن الامدادات التركية.

النَّصر المذهل

بعد تأمين البحر وعَزل المدينة، تابع القادة والمهندسون الروس حصارهم. ومن حسن الحظ ان الاتراك لم يردموا الخنادق الروسية التي تم حفرها العام الفائت، ظناً منهم ان اعداءهم لن يكرروا المحاولة. وهكذا عاد الجنود الروس الى الخنادق نفسها، ومنها باشروا تقدمهم الى المدينة. وبات عدد الجيش الروسي ضعفي ما كان سابقاً، وكان تطويقه المدينة أمراً سهلاً.

وبعد تركيب المدافع دعا بطرس الباشا التركي الى الاستسلام. لكن حاكم آزوف رفض دعوته، ففتحت المدافع الروسية نيرانها على الفور. وفي تلك الأثناء باشر ١٥ ألف جندي، بقيادة غوردون، نبش التراب وتكويمه قرب الجدران حتى تكون من ذلك تل عال ارتقوه وأطلوا على شوارع المدينة.

وفي ٢٧ يوليو (تموز) اندفع ألفا جندي من القوزاق الى المدينة من غير علم قادتهم، بعدما سئموا حفر التراب ورفع المتاريس. لكن هجوماً تركياً مضاداً أجبرهم على التراجُع. وأرسل غولوفين تعزيزات من جنده. وفي اليوم التالي أمر شين جميع الفرق بالانقضاض على آزوف. وقبل الهجوم خفض الأتراك راياتهم علامة الاستسلام.

وكان للأنباء الواردة من آزوف وقعها المذهل في موسكو. فللمرة الاولى منذ حكم الكسيس يتسنى للجيش الروسي تحقيق انتصار. وأرسل بطرس كلمة يقول فيها انه يليق استقباله مع قائد جيشه بقوس نصر وموكب رسمي مهيب. وللحال بَاشرت موسكو الاستعداد لذلك اليوم المشهود.

وفي العاشر من اكتوبر (تشرين الأول) انضم القيصر الى جنده للانطلاق نحو العاصمة.

وامتدت المسيرة بضعة كيلومترات، وعلى رأسها ١٨ خيالا تتبعهم عربة ذات ستة أحصنة تحمل رئيس "جمعية المرح" وهو يرتدي درعاً ويحمل سيفاً وترساً. وبعد ذلك جاء موكب من ١٤ خيالا ووراءهم عربة مذهبة تحمل ليفور وهو يلبس رداء قرمزياً مخططاً بالذهب. وتلاه الجنرال غولوفين ثم ثلاثون فارساً ادَّرعوا بالفضة المتلألئة. ووراء ذلك سارت فرقتان

من قارعي الطبول تتقدمان الراية القيصرية ويحيط بهما أفراد الحرس المدجَّجون بالرماح. وتلت ذلك عربة اخرى مذهبة تحمل القائد العام ألكسيس شين، وعلى الطريق وراءه ١٦ علماً تركياً حُملت مقلوبة وجُرَّت على التراب.

ولكن أين كان القيصر وسط تلك الجماعة كلها؟

لم يكن بطرس على صهوة جواد أبيض ولا في عربة من ذهب تتقدم الجيش. لكنه كان يسير مع ربابنة السفن الآخرين في موكب ليفور، ولا يعرفه المرء الا من طول قامته وبزته البحرية الالمانية. وكان يعتمر قبعة سوداء عريضة غرز فيها ريشة.

هكذا دخل القيصر المظفَّر عاصمة بلاده.

وسرعان ما انتشرت أنباء ذلك النصر الجليل في أرجاء اوروبا مخلفة الدهشة والاعجاب. الا ان آزوف لم تكن سوى بداية. أما اولئك الذين ظنوا ان بطرس سيكتفي بنصره ذاك، فما لبثوا ان أدركوا خطأ اعتقادهم: ذلك ان القيصر القوي اخذ يعدُّ لمعارك اخرى ويسعى الى الحصول على سُفُن حقيقية. ولئن تم له اختراق الحصون التي تفصل بلاده عن بحر آزوف، فالبحر الأسود لم يزل في أيدي الأتراك. ولا بد لاختراق ذلك المضيق بين البحرين من الحصول على سُفُن جبارة.

ومع مجيء الخبراء الثلاثة عشر الذين طلبهم بطرس من حاكم البندقية، بوشر العمل الجدي. ثم وصل خمسون اوروبياً من بُناة السفن الى موسكو، وتم ارسالهم فوراً الى فورونيج.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٦٩٦، بعد مرور اسابيع على بدء أعمال البناء، أعلن بطرس أنه سيوجه الى الغرب بعثة من خمسين روسياً، معظمهم من أبناء الأشراف، لدراسة فن الملاحة وبناء السفن وقيادتها.

وتبعتهم "سفارة جرَّارة" تفوق الـ٢٥٠ شاباً لتمكث ١٨ شهراً في اوروبا الغربية، تكتسب خلالها فنون الملاحة المختلفة. وبُعَيْد اعلان تلك الخطة سرت اشاعة في موسكو مؤداها أن القيصر نفسه على وشك الانضمام الى تلك السفارة وأنه سيذهب متنكراً. ولم يسبق لأي قيصر روسي ان غادر بلاده بأمان.

وكانت زيارة اوروبا الغربية المرحلة الاخيرة من تربية بطرس وتتويجاً لما اكتسبه من الأجانب منذ حداثته. وكان أثر تلك الرحلة في نفسه عظيماً. فقد عاد بطرس الى روسيا عاقداً العزم على تحديث بلاده وفق الأفكار والطرائق الغربية.

والحق ان أثر الرحلة بالنسبة الى اوروبا لم يكن ضئيلا هو الآخر. واذا كان بطرس نقل معارفه الغربية الى روسيا، فان الغرب استمد الكثير من روسيا بعد تحديثها.

لقد اراد بطرس جيشاً بحرياً، كما شاء ابرام المعاهدات لتحديث بلاده. لكنه عَبَّر عن ذلك كله ببساطة، إذ سكّ لنفسه خاتماً، قبل انطلاقه الى الخارج، يحمل الكلمات الآتية: "انني طالب يحتاجُ الى المعرفة."

■ **روبرت ماسي**

مواصفات الانسان

١ دين ٧ جاذبية
٢ اخلاق ٨ جمال
٣ ادب ٩- دلع محبب
٤ رقة
٥ اناقة
٦ رشاقة

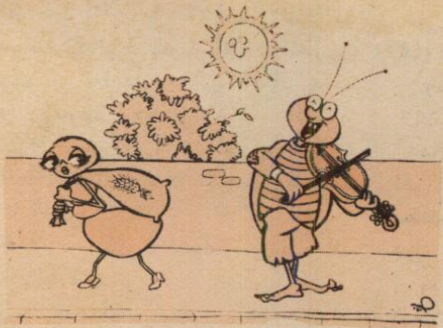

حديقة أفكار

■ في الركض وراء العيش هذه الايام، كثيرون هم الذين لا يتركون في حياتهم مجالا للحياة.

جوزف سيزو

■ ان آراءنا وأفكارنا تعذبنا اكثر مما يعذبنا الواقع نفسه.

سينيكا

■ كثير من المشاكل الاقتصادية اليوم كان حلا في الامس.

ا.غ.

■ المرأة تكون زوجة أفضل عندما لا تحاول جعل زوجها رجلا أفضل.

أ.ت.

■ ان همس الرغبة يصل أبعد من هدير الواجب.

أ.و.

■ الحكمة الجيدة هي عبرة كتاب كامل مسكوبة في جملة واحدة.

ت.ف.

■ عندما تتصارع الفيلة، لا يتعذب سوى العشب.

مثل افريقي

■ الخبرة الروحية لا تعني رفض المنطق العقلي بل تجاوزه.

س.ر.

■ كن شكوراً للحظ الرديء، اذ لولاه لكنت مجبراً على لوم نفسك.

ف.ج.

■ معظم الحقائق عارية بحيث تثير شفقة الناس فيسترونها وان قليلا.

هلموت ولترز

أمِّنوا لأولادِكُم نُمُوًّا صَحيحًا

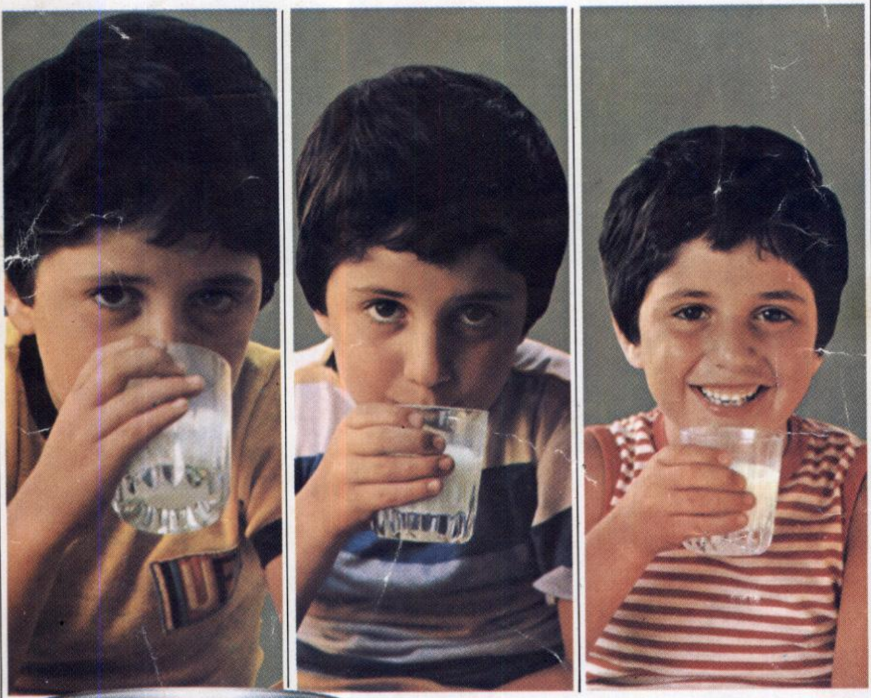

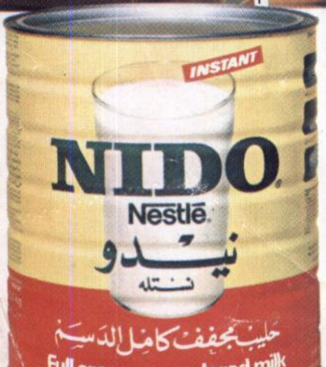

نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نموًا متكاملًا. فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية.

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صافٍ ونقي من الجراثيم، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلاتٍ مخبرية دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة.

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ، يحضر بسرعة، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أيّ وقتٍ من النهار.

نيدو السريع الذوبان

ليَنمو اولادكم ويَنعموا بالعافية

Nestlé. تضمنه نستله